

ببشر عباده الذين يستخونوا يقولون آمنا حسنة  
أولئك الذين هم أئمة وأولادهم أول الألباب

# الْحَمْدُ

بؤن الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد وآتني  
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و ٥ منارا ٥ كمنار الطريق

( مصر - الثلاثاء - مطبع المحرم ١٣٢٦ - ٣ مارس ( آذار ) سنة ١٩٠٨ )

## فاتحة السنة الحادية عشرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الألباب ،  
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بعث في الاميين ليظلمهم الكتاب  
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله واصحابه خير الآل  
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهداهم الى يوم المآب ، ٢٩ : ١٣ الذين  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ  
أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة ، وتجاوز الأعداد المنفردة إلى الأعداد المركبة ، وهو في نحو طبيعى ، وارتقاء تدريجي ، لم تظهر به مساعدة الكبراء ، كما ظهرت بكثير من العاملين ، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء ، كما ظهرت ببعض المصلحين ، بل سار لطيفته على استقلاله ، في جميع أحواله ، وأحواله ، سلاحه تحري الحق ، وعدته التزام الصدق ، وجنته الاخلاص لله ، وحصنه تقوى الله باتباع سنن الله ،

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، تَجَاتِ عَذَابٍ مَّتَّعَةٌ لَهُمْ

الأبواب ،

جاهد في سبيل الإصلاح بقدر الامكان ، وما تقتضيه حال الزمان والمكان ، فهاجته السياسة بدساترها فالت من قريه وصديقه ، ولكنها لم ترحمه عن طريقه ، ووائبه الخرافات بوساوسها ، فالت دون سرعة انتشاره ، ولكنها لم تقو على صديتاره ، وصادمته التقاليد بهواجسها ، فصدت الكثيرين من متقليها عنه ، ولكنها لم تفل منه ، بل عز هوأ واثك في الخطاب ،

١٩ : ٤٨ جَنَّ مَاهُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا ، وانهزم كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا ، وأنى للمتوكي على عكاز القال والقليل ، ان ينافع متضي سيف الدليل ، تحت لواء السنة والتزويل ، إلا أنهم لا يصدونه بل يصدون عنه ، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه ، وكذلك كان يقول المقلدون ، اذ دعوا الى غير ما كانوا يستقون ، ٣٨ : ٥ أَجَلِ الْآلِمَةِ إِلَهًا

وَإِحْدًا إِنَّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ - ٧ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي •

الحق أبلج، لا يخجل سبيله، ولا تخفى على الناظر البصير غرته وحبجوله، فلا يضره ضعف الداعي وغبته، إذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل للبلج، وإن كثرت قبيله، ودعمت فروعه وأصوله، فلا تنفمه قوة الداعي وعصبته، إذا ضعف سريره ودحضت حجته، وإنما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سكت عن معارضتهم المستقلون ٣٩: ٩  
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَلْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَلْمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
 أُولُو الْأَلْبَابِ \*

لا خوف على الحق إلا من الاستبداد، بمنح حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد إلا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الأقوال والأعمال، لهذا لا نخاف على دعوة الإصلاح في هذه البلاد، أو تعود اليها سيطرة الاستبداد، نعم إن سيره قد يسرع وقد يبطل، وإن الداعي إليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الإصابة، وقد يزداد مضاء في الرفض والاجابة، حتى يعمل الاستعداد للإصلاح عمله، ويبلغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨ لكل أجل كتاب ٣٩ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنَّمَا نُزِّلَتْكَ بِفَضْلِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ \*

إن للإسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعليه أكثر المسلمين المتقدين، والبصيرة وعليها نفر من العلماء المحققين، والجنسية وهي تشمل حتى المارقين من المتفرجين، وقد هوجم أولاً في تقاليدته لتحويل العامة عنه، وهوجم في كتابه وسنته لئلا زال الخاصة فيه، وهوجم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على انه لا يخشى عليه من مهاجمة الاجانب عنه ، وانما يخشى عليه من مهاجمة  
الدين يمدون منه ، فالمتفرنجون منهم يقتون العامة عن تقليدهم باسم  
المدنية ، وشب العلم والتقنون المصرية ، ويحلون جنسيتهم الاسلامية ،  
بدعوتهم الى الجنسية الوطنية، وهم لا يتبنون في ذلك بالايحاء بالدين، لانهم  
ياتون العامة عن اليقين ، ويدعون الي ما يدعون ، مستقدين انهم مصلحون ،  
فتعين على اهل البصيرة والرفان ، ان يناخروا عن هذا الدين بالبرهان ، واقفين  
عند حدود السنة والقرآن ، فان كلام من مسلمي التقليد والجنسية ، يترفون  
بان مرتبة البصيرة هي المرتبة العلية ١٣ : ١٨ أفمن يعلم ان ما انزل إليك  
من ربك الحق كذب هو أعشى ؟ انما يدكر اولو الألباب \*

ألا وان من المحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتفرنجين ،  
فانها من قبيل المعاديات ، التي يبروها ( كما نشاهد ) المحو والاثبات ، الأوان  
مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الاسلامية ، مجهولة العواقب ، الا حيث  
يساعدها الحكام مع الاجانب ، فهناك يرجح ان تكون آية الوطنية هي  
المرفوعة ، والراية الاسلامية هي الموضوع ، ويتبع ذلك سرعة تسلل العوام ،  
من هذه التقاليد المعزوة الى الاسلام ، ويهود الاسلام في مثل هذه البلاد  
غزيبا كابداء ، لان اهل البصيرة هم الاقلون عددا ، والاضغفون ساعدا وعضدا ،  
اذا غلبوا بالبرهان ، يُطلبون بالسلطان ، فهم امام اضطهدون جبراء ، وامام مهددون  
سرا ، على انهم لا يقنطون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠  
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \*



ها اذا أقول على رؤوس الاشهاد، ان طالب الاصلاح الديني مهدد حتى في هذه البلاد ، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة علنية ، ورب اصطدام أحدث ظهوراً ، خير من اهلل أوجب ظهوراً ، (٢: ٢١٦ وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، ) فما ظهر حق الا بعد اضطهاد ، ولا خذل باطل الا بعد عناد ، فلا يترك قلب الظالمين في البلاد ، ٣٩ : ٢١ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زوجاً مختلفاً ألوانه ، ثم يهيج قتره مصفراً ، ثم يجنله حطاباً ؟ إن في ذلك لذكرى لأولى الاباب .

فيا أيها الكاشفون الظالمون ، انما كيدكم على ملتكم ان كنتم تقولون ، وبأيها المقلدون الجامدون ، ان تقاليدكم تتحول عنكم تحول الظل وانتم لا تشعرون ، وبأيها العابثون بالجنسية انكم لبناتكم تهدمون ، وتبنون لغيركم من حيث لا تعلمون ، وبأيها المصلحون المستبصرون ، اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ٣ : ١٠٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ١٠٣ واحتصموا بحبل الله جسيماً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . لا تترققم عوامل المدينة فان دينكم عون لكم عليها ان كنتم تقهرون ، ولا تفتنكم سلطة الامم الاوربية فتقلدوها فيما لا تعلمون ، فان روح المدينة والسلطة هو الدين والآداب ،

وقد انعم الله عليكم من ذلك باكل مما انعم به على أهل الكتاب ، ٢: ٢٠٠  
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَتْلَاقٍ  
٢٠١ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

عذاب النار ٢٠٢ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب \*  
ان الفساد قد طرأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد ، فهو يحتاج الى  
تكوين جديد ، ومن المبشرات ان ترى المسلمين ، قد تنهوا الى الحاجة الى هذا  
التكوين ، ولكن اختلفت فيه الآراء ، وعبثت به الاهداء ، ولا زعيم  
يرجع اليه ، ولا امام يقتدى به ، وما على طلاب الاصلاح الآن ، الا اقامة  
الحجة والبرهان ، وتربية استعداد الامة ، الى ان ينهض زعيم من الامة ، ولا  
بد من مسألة الفرق والاحزاب ، واحاطة استقلال الرأي بسياج الآداب ،  
٣٩ : ٨ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ \* منشي المنار ومحوره  
محمد رشيد رضا الحسيني

## الدعوة الى انتقاد المنار

انا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقده  
على ما نشر من المسائل الدينية والعلمية لمدة امور  
(١) انا نتحري في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونستبد  
انا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة فقرضنا الاول  
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل نقصنا ومساعدتنا على ما توخاه  
من الارشاد

(٢) حرصنا على تكميل غيرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به  
نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطق ما عسى ان تقع  
فيه من الخطأ بنفس بعض القراء فلا يجدوا عنه مصرفاً

(٣) اقامة فريضتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثيراً من  
أهل العلم يعتقدون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقبلون أمراً ولا نهياً  
بل يبادون من ينصح لهم ويرشدون الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل  
فإنحن أولاء تؤمنهم من العداة والايذاء ونعدم بقبول النصح والارشاد

(٤) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن  
يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والعناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف  
المسائل وترك الحكم للقراء

(٥) قطع السنة أهل الدعوى ، والمتبين للهوى ، الذين يقولون هذا  
حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان مخطئ او ضال ، او  
نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، أو على غير اخلاص فيما به  
يحكمون ، فالمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق  
فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فأنتم بأكل لحم  
أخيكم بالنية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون ما لا تعملون ،  
أو تلبسون الحق بالباطل وتكتنون الحق وانتم تعملون ،

هذا واننا نشترط على المتقدم الذي نمد بشر انتقاده أن يوجه انتقاده  
الى ما كتبنا من المسائل العامة دينية أو غير دينية مبينا موضع المسألة من  
المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ: ويبين ذلك بالدليل. ولا نعد بنشر الانتقاد المبهم «نحو انتم تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وانما جاءه من وقيمة بعض الكاذبين او من سوء الفهم - ولا الانتقاد الففل من الدليل - ولا ما كان موجها الى الاعمال الادارية او الشخصية او اختيار الباحث والمسائل او أملوب الكتابة. فكل هذا مما تترك لنفسنا الخيارات، مع الشكر عليه، لان فائدته في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها لا يغزر القراء شيئاً

#### شروط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشترك المنار السابقين يمد مشتركاً فيه الى آخر السنة ويجب عليه دفع ستين قرشاً ان كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكاً ان كان من سائر الاقطار وان ردّ المجلة في أثناء السنة لان ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك ان يرسل القيمة سلفاً وان يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (رجب)
- (٣) اذا لم يصل الى المشترك أحد الاجزاء فان الادارة ترسله اليه بنير عن اذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد وصوله اليه في بلده . واذا طلبه بعد ذلك كان عليه ان يرسل ثمنه كمن فقد الجزء وطلب بدله وثمان الجزء الواحد ستة قروش مصرية

﴿ تنبيه ﴾

لم تنشر في هذا الجزء شيئاً من التفسير لسبب عارض

## القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوروبا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتعصبين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الإسلام في أقبح صورة ينزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوروبا وضمف التنصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الإسلام والمسلمين وأثروا في بيان مزايا هذا الدين التي كانت محجولة وفضائل أهله التي كانت مضمومة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كاتاني الإيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل إليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتق به نادي المدارس العليا واكرم مشواه واثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقریظ جريدة النيمس لتاريخ البرنس كاتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابهِ الفائق بصاحب الشريعة الإسلامية ان منزلة النبي هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك أكثر منه كنبی موحى إليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن

سياسة افادنا في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي حجة دينية، اه  
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيس  
وهذا الذي قاله كاتباتي هو اعتقاد الافرنج العارفين بنشأة الاسلام،  
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي انهم يتقدون ان النبي (ص) قام  
بما قام به بحنكته وسياسته، لا بتأييد الله تعالى له بحبه وعنايته، ولو لا هذا  
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا  
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان مجاح النبي  
(ص) كان بسياسة وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبرهم على الاسلام  
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر  
والايات الآتية التي كتبها الي الدكتور شبلي شميل الفيلسوف المشهور  
بعدم التدين . حمه عليها قراءة المنار وهي :

« الي غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار  
« انت تنظر الي محمد كني وتجمله عظيمًا وانا أنظر اليه كرجل واجمله  
أعظم، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين او المبدأ الديني) على طرفي  
نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والإخلاص في القول وذلك أوثق بيننا  
لمرى المودة من صديقك الدكتور شميل

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نحاه للحة النيات (١)

« ١٥ » بر يد باليات معناها لغوي وهي انما صديسي الدينيه وبني بالامر بتو نها  
تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث  
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان الك قد كبرت بدينه  
او ما حوت في اصع الالفاظ من  
وشرائع لو أنهم عقلوا بها  
نعم المدبر والحكيم وانه  
رجل الحجار جل السياسة والدها  
ببلاغة القرآن قد خلب النهي  
من دونه الابطال في كل الوري  
هل اكرن بمحكم الآيات  
حكم روادع للهوى وعظمت  
ما قيدوا الممرات بالعادات  
رب الفصاحة مصطفى الكلمات  
بطل<sup>(٢)</sup> حليف النصر في الفارات  
وبسيفه أنحى على الهامات  
من سابق او لاحق او آت



( المنار ) كتب الدكتور الي بهذا لا ينشر بل ليقرأ على انه خواطر  
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد ما نشره عن الشمس وردت  
عليه في الجريدة استأذنت الدكتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى  
الناري اكثر من البرنس كاتباتي تعظيما للبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن  
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كاتباتي تأثيره لانه لا يفهمه كالدكتور شميل .  
ونحن - على كوننا نشكر لشميل ما اعترف به من مزايا نبينا وكتابنا  
ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف  
بنبوته ولا بحقية كون كتابه إلهياً . وننكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي  
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلاً أعظم منه من حيث كونه نبياً على  
انهم لا يمتنون بمثل هذا التصير الذي قاله شميل وكاتباتي انه نبي وسياسي  
وان نبوته اقوى من سياسته بل يمتنون انه نجح بسياسته لا بنبوته التي  
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان مقاله كاتباتي حق ولو كان  
حقا لكان هو وجميع علماء أوروبا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين المتطرفين

بتاريخ الإسلام كلهم على الحق واستنزم ذلك كون المسلمين على غير الحق  
فما يتطرق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول !!  
نبت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان مآرجه عن  
التيبس من قول كاتباتي كفر ما كان لصاحب جريدة تفتخر بأنها اسلامية  
ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الآتي نقلا عن عدده  
الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منا فقط :

## رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . انا نقلنا عبارة البرنس كاتباتي عن النبي  
ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم ترد عليها وأما الجريدة فقد  
نقلها وهي تعتقدها كفرا ولم ترد عليها فهي المتصرة والملمومة  
وان عرض البرنس كاتباتي من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق  
النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له .  
والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد البرنس  
كاتباتي بقوله هذا حطا من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم  
وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق  
العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول  
« ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط  
المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدايتهم اياه بالنفس والمال سلامة  
أخلاقه من العيوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا  
حجة دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل ويعرف . اهو الإسلام الذي



جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها  
البرنس كابتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما  
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كابتاني ولا هو عرض مؤرخ  
كبير كذا بل هذه المباحث العقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»  
لا يذوق محررها طمها لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً قيمة رأي مؤرخ  
«أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله  
عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام  
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك  
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه  
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من  
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصه  
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من  
كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشارك وهي كونها  
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب  
الالهية الاخرى كما فاقها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل  
القرآن ومزنته ان يقال ان اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة  
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

«هذا ما أردنا بيانه ونترك للجريدة المشاغبة واللفظ والوثوب من

خطأ الى غلط» اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المتنازع في المناقشات السياسية فحرف كلام كائتاني عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتمييز تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كائتاني في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أو كنه سياسته وحنكته أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدماء . وكان للمؤيد مندوحة عن تأييد شبهة كائتاني وتقويتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عميتهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

### رد شبهة المؤيد على القرآن (١١)

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة الرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بهمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لها في نفسها وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمها في تنفيذ

(١) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل ولم يكن لي يدنا مصحف نراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردنا فيها فوضعنا الاعداد الآن ولم نرد في المقالة شيئاً سواها بل نقلت عن الجريدة بحروفها

سياسة (١٨:٥) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ويمتقد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨:١٠٠) قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ) الآية، وقوله تعالى (١٢:١٠٩ و ١٦:٤٣) و ٧:٢١ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويمتقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ الأربعين ولم يعمل عملا اجتماعياً ولا سياسياً وان ماتم على يديه بمدد ذلك انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبقرآن الذي أوحاه اليه فكان روحاً أحياء به حياة جديدة وأحيا به من اتبعه فكان امتداد الجميع بالقرآن لا بتأثير صفات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢:٥٢) وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هدام بصفاته البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨:٥٦) انك لا تهدي من أحييت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨:٦٣) لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يمتقد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره وأخلاقه بالقرآن نفسه فكلماً أنزل الله عليه شيئاً منه ازداد كمالاً به ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كانت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما وما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد  
وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد  
أم هو الرأي ليذكروا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان  
يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فن هذه المجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى  
الله عليه وسلم بهداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ماتم على يديه  
وأيديهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً ولو شئنا لا تبتنا  
بأكثر مما أنبأ به من الدواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع  
السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما  
يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال  
هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويزعمون ان  
الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي  
صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يهد من الرجال المظام عادة ؟  
وقد نقل المؤيد في يوم الاحد الماضي عن جريدة التيمس عبارة  
للبرنس كياتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد  
به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على اعجابه الفائق بصاحب  
الشريعة الاسلامية ان منزلة النبي هي في كفاءته المعجبة كسياسي عنكب  
اكثر منه كني موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهماله حتى الآن  
وهو ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن  
وأى حمية دينية » ؟

نقل المؤيد هذه العبارة وأقرها فأنكرت عليه (الجريدة) ان  
 ينقل الكفر ويقره على غيره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء  
 الازهر . فهاذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الإنكار ؟ أجاب بأنه  
 يعتقد ان تلك العبارة ( التي تليق بنجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم  
 بالحكمة والسياسة لا بالذوة ) ليست كفراً وبين ذلك بما هو العجب  
 العجيب . قال في المدد الذي صدر أمس ( يوم الأربعاء ثالث المحرم ) مانصه :  
 « ان عرض البرنس كائتاني من عبارته ظاهر وهو الاعجاب بأخلاق  
 النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له  
 والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » فلم يرد  
 البرنس كائتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً  
 للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداخي به على أخلاق  
 غير الاخلاق الدالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل  
 القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تفوضوا من حولك »  
 فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله وانتصارهم له وفدائهم  
 اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ  
 القلب ما تقمه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل  
 يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه  
 الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كائتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول  
 ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت اخلاق من أنزل عليه. تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آنفا وهي «وكذلك أوينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع حوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداه المؤمنون بالنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فهل تبعه أم تبع كإتاني وأضرابه الذي يقولون ان كل ذلك كان بمزايا الشخصية البشرية

كاد يقع بين الاوس والخزرج المدوان وتصلى نار الحرب لمناظرة وقت فنزل قوله تعالى (٣٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأتابوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل ان سياسة النبي وبنمته وأخلاقه هي التي الفت بين قلوبهم . على ان اخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» ونقول في دفع هذه الشبهة ان المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا اشد استمسا كالحبل المتين وعروته الوثقى لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقران التي عاتبه الله تعالى على مخالفتها فيها بمثل

قوله (٢٠:١ طه) ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم كانوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يتدلون بترك القرآن . ويتقد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة ) بل القرآن حجة عليك وعليهم

فأدعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في أيدي أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تلمن توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدائه به عمل بعناية الله ما عمل ، وورد قول كائتاني ان خنكته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حمية دينية حباه الله هو ومن اتبعه اياها»  
فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي نصه قلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

### ما علا مبادئنا

قال اللورد كرومر أمس « ان الجامعة الاسلامية تسلم السمي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضمت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق ومنها ما يتضمن سننا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء ناقضة لآداب أهل هذا البصر ومنها ما يتضمن أمرا أهم من ذلك كله وهو افترانغ

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام «  
وقال البرنس كإتاني اليوم وان مزية النبي هي في كفايته السجية  
كسياسي محنك أكثر منه كنبى موحى اليه - ان حنكته وحسن  
سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية»  
فماذا اتسع صدرنا لمبارة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الادب  
وأولها مع انها كادت تكون صريحة في ان الدين الاسلامي دين وضحي -  
ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشير بأنه معترف للنبي صلى  
الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟  
اذا كانت هناك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين  
وتشنيع احدي البارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد  
بان عبارة البرنس لا توجب الازم ولا التعبير به الضليل والتكدير !!  
بل الانصاف يتقاضانا الثناء على جناب البرنس والاعجاب بحرية  
ضميره لا اعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .  
أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه  
وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أو لاثم للقرآن ثانيا كما هو  
نص عبارته - فهذا لا يقدر في فواه ولا يجمله من باب الكفر . ثم اذا  
كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كأراء بعض رجال  
أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا  
مناقشته فيه ما دام انه مستور في نفسه بل نراء قد صرح بضده في  
عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك المبارزة قرينة



على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم  
وإذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب  
لا نفصوا من حولك» رأيناهم يفسرونها بكلام يألف مع ما قاله البرنس  
كأيتاني . فلم تكن عبارة البرنس اذن كفراً بل هي الحقيقة الدينية التي علم  
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من تلك  
منهم اذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم جرءه واغضيت عن كثير ممن لو  
جفوته واغلظت عليه لتركك فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما  
بمث به من الرحمة» فقوله الاخير نص في أن مزايا النبي الذاتية كانت  
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به . وقال الالوسي  
«لا نفصوا من حولك أي لتفرقوا عنك وتفرقوا منك ولم يسكنوا اليك  
وتردوا في مهاري الردى ولم ينتظم أمر ما بث به من هدايتهم وارشادهم  
الى الصراط» فمدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيه لذهبتا بكفاءته  
وحنكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بثته . وقال بعض  
المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكرر واحد من الامرين  
(أي الفظاظه والملاظة) لا يليق بمنصب النبوة لان المقصود من البعثة  
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بعيل قلوبهم اليه  
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيا بهم كريما يتجاوز عن  
ذنوبهم ويماملهم بالبر والشفقة» فلو لا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن  
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفوا حواله  
صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراده البرنس  
فهل تكون بمد هذا كاه عبارة البرنس كفرا وطننا في الدين الى  
حد لا تسمه صدورنا كما وسعت كلام اللورد ويكون المصريون مخطفين  
في اقامة الاحتفال له واعلان التناء عليه - أم لا يكون شيء من ذلك  
وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعه هذا يعلمها هو والواقفون على  
أطواره . وخفي أسراره اه كلام المؤيد  
وقد ردنا هذا التمرية والمغالطة بمقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة  
الذي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

## جواب المؤيد عن شبهته

### ﴿ على القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شئته في الجدل فهو يشاغب ويكابر في أصول  
الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا  
عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين  
وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول  
البرنس كائتاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه  
التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبيننا له بالآيات البيئات أن ذلك  
كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن

فرد علينا أمس باننا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا  
تنكر على البرنس كائتاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له  
بالاحتفال فحصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فعلنا فيما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نميده الآن وانا شننا على البرنس كاتباتي وذلك يتضمن تخطئة المصريين الذين احتفلوا به .

ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كاتباتي واكثر ما يفهم من ودنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كاتباتي مخالف لعقيدة المسلمين في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه لانه ليس يعلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا تلويحاً وهم لم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر باعتقاده فرأيت كما رأى المؤيد ان كلامه كاد يكون طمناً في أصل الاسلام فكنت اليه كتابة كان أثرها انه كتب يبرئ القرآن والسنة من الطعن . وقد صرح صاحب المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فانا الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما كتبه فمسي ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز عن رد الججج التي دمغنا به دعواه في القرآن وصعب عليه الاعتراف بالحق الذي طالبناه به فاتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى فيها وآداباً من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكر انكارنا عليه حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطاع على الجريدة يوم الخميس الماضي تلك شفشتته وذلك مبلغه من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالنبوة وتأيدته بالقرآن وان الصمدية في نفوذها هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في إعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أما الدليل في المقالة الاولى علي ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاجاديت ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد ينقل انما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدلل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا الاتقربوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (١٥٩:٣) فبإرحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحنكته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لكلام البرنس كائتاني ؟

ألم يصرح جهاينة المفسرين بان قوله تعالى «فبإرحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا يلفظ «ما»

يدل على الحصر كما في الكشف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاربه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبأمثالها هي وامثالها بمعونة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً. ويدعم ذلك قوله في آخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجاربك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى) الآيات وسببها معروف مانحصره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عطاء قريش الى الاسلام في أول الاسلام فجاءه عبس الله بن أم مكتوم الاعمى وهو من السابقين الاولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه لثلاثين من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يلبث ان يتبهمم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الا عمى ٣ وما يدريك لعله يزكى ٤ او يذكر فننقمه الذكرى ٥؟ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك الا يزكى ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهي ١١ كلا، فمصل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من أول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل الثقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولما سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبتة الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمة أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في حل الدقيق ليلا الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان الفالون في العناد والجهود من كفار قريش يهربون من سماعه ثملا يجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٢٦:٤١) وقالوا لا نسموا لهذا القرآن وانما فيه للعلم تغلبون

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بمد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه واخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته وبجاحه كانا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيرا من اهل العلم والغيرة مرتاحين مسرورين بما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية تمت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب الينا عبدالله افندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة المفضل صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد

رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فقد اطلعت في صحيفة المؤيد  
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم  
ومجادلتها تنه وعلی ماجاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،  
والنور الواضح ، والبيان الفصاح ، لدعائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،  
بجزاكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت  
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رفق هذا الفتق ،  
والانصياع الى سلطان الحق ، محاباة في الرد ، ومداراة للقصد ، اختلست  
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة  
تأييدا لرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان  
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا  
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المفيدة بنصها

## لا هوانة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من  
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطلقا لما اتقه  
في صدور ذوي الفيرة على الدين بنفثات الدين يريدون المحاباة في الاسلام  
والتساهل الذي قد اتخذه كثير من دعاة المدينة المصرية من المسلمين  
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم ممن

من لا تروج لديهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السماوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمها بصفة كونهم ساسة عقلاء لارسلا وأنبياء ذلك ما يقرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان ينقض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتقصم عراه من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضموا أيديهم في يد اهل المدينة الفرية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبت عقيدة ان الدين وضع الهي وان الكتاب وحى سماوي لم يكن للرسل فيه ولا للاتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هوّن ذلك التسهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملا المسلمين ذلك الرأي بصورة رائقة ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مناسخ مخالفة لصرح القرآن، هادمة لمبنى الايمان، اذ يجمل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون بهد «انها كما تكون له تكون لغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء المحجرين، والساسة المحنكين» -

اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال آية الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصصهم الله وألزمهم الحجة واتمى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسوء مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه ويتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم . أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد



اصبغنا بزوج هذه الدعوى ورضاهما على لسان الميوكايتاني يقال انا متساهلون متساهلون، او متورون متمدون

لست اقصد رمي سعادة صاحب المؤيد بما رمت به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسامين وانما اقول أولا لانصدق ان سعادته لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسي الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصين من موافق ومخالف، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كايثاني بأهون مسا ولا اخف وخزا في احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارفف له قلمه وجرده يقطر غيرة وحمية، ام هي الاهواء، تقبح وتحسن ما تشاء،

ما أخسرنا واطيقتنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدنيوية اسلامنا وطوحنا بقرآنا في مهاوي التساهل الماحي والتساح المالحق لدرك كلمه تقال فينا أو جذب عاطفة تشهد لنا باآرقينا وادركنا من شأو المتقدمين ما تشرب اليه الأعناق وما نحن بياقي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والاتقطاع عما فيه الناس حينئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة، ومواجيل حيل الرئاسة، حتى صدع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حثيثاً كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاد، وبلاء واجتهاد، والقرآن لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومقتده، في كل شيء. ولقد كان يرجي الامر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نخاطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيّلون حالة الامة العربية حينئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرونه قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المعول اكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

( وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم \* صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور )

لم يذق أحد من نبهاء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم بقرون فضلاً عن المسيو كابتائي حتى سعادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في هده من القرآن وهم في حجور الوثنية، واحضان الهمجية، فانتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم. وقع الزلال من ذي الغلة، والدواء من ذي الغلة، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السم وهو شهيد فلا يقال حينئذ « والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا » (أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون )

لم يرتض أصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقيمت جموع  
الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أهدأ عمم النبي  
صلى الله عليه وسلم حتى اقبل مع ابي بكر وعمر في كتيبه الخصراء يقولون  
الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده،  
فقال أبو سفيان (لعثمان) صار لابن اخيك ملك عظيم . فقال له يا ابا سفيان  
انما ذلك الوحي والرسالة . فكيف رضي او تقبل ان يكون ما وصل اليه  
نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته الى الله بسياسته وحنكته ، أكثر من  
نبوته ورسالاته؟ اللهم انا نبرأ اليك من هذا براءة الحق من الباطل . فليصن  
سعادة صاحب المؤيد غيرته على الاسلام من ان ينمض طرفه على اذى  
فيه قرب تالمبح انكأ من تصریح ، ومدح آلم من تجرح ، وليحفظ مكاتته في  
قلوب أهل بيته ، من ان يحابي في دينهم ، على مرأى ومسمع منهم ، فإنه  
لاهوادة في الدين  
عبدالله الانصاري

(المنار) هذا وان الموضوع يتسع لإطالة القول وإيراد الشواهد  
الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وانما اكتفينا بما كتبناه على  
عجل في إدارة «الجريدة» لاننا نقصده تذكير المسلمين ، لا إقامة الحجة  
على المخالفين ، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ويغلب  
على ظننا انه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه ان ينشر حقيقة  
العقيدة الاسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى  
اذ ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً  
من هذا البحث في المنار .

## ما هي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية  
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثقة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتمبير عن حركة من حركات النفس . ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع

الاتفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب او الصيغ  
الناتجة من تأليف هذه الاتفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين  
معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأني ان يكون الكلام الصناعي عاما اي ان كل الناس يدركون  
المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تعريفهم اللغة بأنها اصوات  
يمر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها  
كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان  
معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة  
تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان  
الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي  
ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه  
دائماً ولا تدل على غير ابدأ

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعاً له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقية بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تمثيلها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الدال والمدلول ولا سبيل الي هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فما وقت لغة حتى الآن نيل هذه المزية اللهم الا لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني الملايسه وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ . تلك الخاصة التي يدرك بها الفاعل نظائر المدلول وفوائده والملايسه تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الا نادراً

الثالث الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً يتفق معهما الابهام ويرتفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاعراب في التعبير " ب في ظلمتها وتسر فهمها وكما كان القول طبيماً اي بسيطاً " طرق الكلام على انها طريقة العلم

النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فإني

أحمل لغات أمم أوروبا المعروفة بهذا

غيرها فأجد لها لغات ممتازة تماماً

فأولاً يعرف كل لغة واحدة

تتحدث بها هي لغة

أعني أصلاً

نه

على ذلك لا نحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . ثم يعملون ذلك حتى في العلوم قري الحكميم الفرنسي وهو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يخالفه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنه بغير لفظه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه معناه ما كان هذا لفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الخناز والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عامة لتكون الالفاظ الغربية عن لغتهم برهاً عن سعة مداورهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر اللمسى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عن لم تماثل احرف هجائهم واحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعور بجزنا عن المجازاة اتمتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجملنا تنطق كلماتهم كما ينطقون ونقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصاحبتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لأحد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له بسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد



في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ومحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان  
أخذ العرب العلوم عن أهلها ونقلوها إلى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها لأحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على إدراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسبنا نحن أن زماننا غير زمانهم فكانوا أصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والأتزواء على أنهم في عزم وبعد نظارهم وتمكنهم من أنفسهم لم يعترفوا بلغتهم فينفروا من العجبة لأنها عجة بل استخدموها حيث وجب الأخذ بها تمكيننا للغتهم وحنراً من أن يصيبها الوهن إذا عمدوا بها عن مجازاة تيار التقدم وهم أولو الرأي فيه وخوفاً من أن يميتهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الأمم التي كانت نعاشرهم. أيجوز لنا أن نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقهم بحجة أنهم انقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز أن نخطوا بدمهم خطوة إلى الامام الكن من الذي استأجرنا بحراسا من الخرس على هذه الوديعة؟ وبأي قوة اخضنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وأنحلال المزامم أنقص في الأفهام، أم قصر في الأجسام، أم جهل باننا من البشر لنا كل حقوق الانسان؟؟

ليس لنا أن نتمسك بالقديم لقدمه وان أصبح هديم الجدوى، والا فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا

عن الإباء لنبيش كما عاش الأولون . غير اني ارجوكم ان تعلموا الصبر  
فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ، ولا تمخزوا  
اذا هصرتم عوامل الرقي فتميتتم بن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصوور  
المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه  
وتنطق لغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على ألسنة المتفرجين  
جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبوا طعماً سهل التناول  
والهضم في ممد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا  
لا نطبق اسماً عجيباً يدخل عليها

اليس هي تلك اللغة الحافظة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول  
الفصح المعصونة بكتاب الله تعالى و-نة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي  
لن تأربعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها  
ويشهد أزرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من  
اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا  
الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلاخوف على القرآن مادام في  
الوجود مسلم . الا ترون ان القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية  
من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد  
خلفاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع  
ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم  
للتقدم باليسار لتناولوا السطادتين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا  
فلتقم بها قالوا هي يخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا  
حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جرائم هذا قال الفريج عنا انا قوم جامدون  
وما جودنا الا من الدين فصحنا مع هذا وقتنا لهم بل انتم قوم ظالمون .  
مالنا وللدين نجره في كل امر وتسمية حاجزا في وجه كل باحث حتى في  
الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير  
على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار  
بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابه المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلتسم  
وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بلفتكم فاعتنوا بها وأصلحوها  
وهيئوها لتكون آلة صالحة . فيما يتفوز لكن لا تكثروا من الاشتقاق  
الخارج عن حد القياس المعقول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك  
او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجود والمجبة تهددها على السنة العامة  
وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل  
الجارف سدا من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند  
الضرورة لتكثروا من الناجحين اه

( المنار ) ألقى أحمد فتحي باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث

لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة اربحالا من الفوائد  
والنصائح . وخطب بعده حفي بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة  
في اللغة وفنونها . وانفق الجمهور بمدد ذلك على وجوب التماس الالفاظ العربية  
للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم يلجأ الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب الينا النادي صورة هذا الاتفاق بالمبارة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

### ﴿ قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب ﴾

هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي : يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعها على منهاج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمده المجتمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حنفي ناصف

( المئارة ) قد تحامى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ ( التعريب ) فقال « يستعار اللفظ الاعجمي » وهو يرمي بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلم الاعجمي معرّباً بحافظة على اصطلاح المتقدمين . ولكنه عبر بلفظ اصطلاحي آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وانما يقصد معناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعي والمتبادر انه يرمي بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل المارية التي تستعمل زمنا ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولعله قرار خاص لمجلس ادارة النادي . وعلي هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله

## الدين الاسلامي والمدنية

رسالة لصاحب التوقيع اقتبس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للإسلام والحرب  
نشرناها ترغيباً لئله في هذا الموضوع وان سبق لنا نشر هذه الافكار في المنار

( فهرس ) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة  
الاسلامية - أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين  
القطرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات  
نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام  
ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في  
العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي  
هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

\*\*\*

اني اُكتب ما اُكتب عالماً علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست  
بالشيء العويص الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف  
مساثيره، بل هي مما يمكن تحققها بالاختبار والتجربة اذا صعد الانسان  
منطاد بجته الى سماء الحقيقة غير متمصب لفريق دون آخر فهذا يطل  
الانسان على كبد حقيقتها ويعرف كنهها من سمو ترتيبها ومتانة قواعدها  
واحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي اوجدتها قريحة آدمي مهما  
حاز الصفات والكمالات ولكنها هي هداية الآهية، يخالف جوهرها جوهر  
الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الأنحطاط بعيدين عن التمدن والرقى الفكري يدلك على ذلك وأدهم لبناتهم ومن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تفقي بمتبعها الى الخسران والمهلك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد السجم في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعا الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقتال التي لم تدع قلباً سليماً في البشرية تتمتع بالراحة الا واسقته مما هو أمر من الصاب والطقم - كل هذه القلاقل المزعجة والكوارث المدلّمة جاء الاسلام ليمحوها من على ظهر الوجود وليؤيد السلام العام والوثام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين التمدن القديم فلم يمض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة فقتحوها وانهاالت عليهم خيراتها وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقى في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نتمهم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكاراً سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدماً مدهشاً للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقى فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

نفس  
كتب هير  
في الآلات  
النظر وانمكا-  
والنظر كتابا في ا-  
ومقدار الاشياء الظاه  
عند الشروق أو الغروب  
وقال أيضاً دوى في  
لا يرون الضوء الا من سم ا-  
الاسلامية من علوم ادب وفلسف  
كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودم  
صرا كز عظيمة لدائرة المعارف ومن  
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفان  
وهذه هي اقوال الفلاسفة وكبار المنو

دلنية على ان الدين الاسلامي دين الترفي والمدنية . هذه هي آثار الدين  
 وآثار امله الدين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهي كما قال مسيو مسير  
 ورئيس الارشالية المصرية ردا على الفيلسوف ارنست رينان في خطبة له في  
 جمعية العلماء « نحن معاصر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام  
 القرآن رأي ان محور الاسلام الوجدانية وقطبيه المواخاة وتحسين شؤون  
 العالم بالتدريج بواسطة العلم وهذه هي حقيقة اسباب نصره الاسلام »  
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب في عجة ( الكوارتري رفيو )  
 في مقالة عنوانها ( الاسباب الحقيقية في ارتفاع وانحطاط الامم الاسلامية )  
 « لما كان الدين الاسلامي جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب  
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون  
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولمعري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة  
 ويربط المهبة الاجتماعية ثم استدل على ذلك بكلام كتبه بوسويرث سميت  
 في كتابه المسمي ( محمد والديانة المحمدية ) لا حاجة لنا بسرده في هذا المقام  
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التي كتبناها عن  
 الديانة الاسلامية مستندين على أقوال الفلاسفة والحكماء وكبار المؤرخين  
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزداد كل يوم في الحجج ويشهد العلماء  
 المحققون بروحانيتها حتى أن المسير ارنست رنان الذي حمل حملته على  
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بمدان زجر وواعد، وبارق وارعد،  
 « ان في دين الاسلام اكما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل  
 لي انجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كوني مسلما لولا ان هذا  
 الدين آخر العقل البشري وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء » ولكن



عبارة مسيو رنان الاخيرة ليس لها ادنى نصيب من الصحة وقد علم من كلامنا الذي استغناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا تمسك عنان اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فان في ذلك القدر الكفاية، لارباب العقول والهداية ،  
علي سيد يوسف

( المنار ) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام قد ردا في اوربا على رينان ، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان ، بسيف الحجة والبرهان ، حتى اضطر الى الاذعان ، فرحبها الله وحبها الروح والريحان



## كلمات عن العراق واهله

( لعالم غيور على الدولة . ومذهب أهل السنة )

العراق ولا ازيدك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات ورياله وقارون تنساب فيه انسياب الافعان ، وتحترق منه كل مكان ، غير ان اكثره خراب ، ينمق فيه اليوم والغراب ، لصر المواصلات وفقد الامن وحرمانه من نور المعارف والمدنية . والحكومة فيه كما هي في غيره : عبارة عن شركة سلب ونهب وفساد ، تعمل في خراب البلاد وهلاك العباد ، وهم في غمرتهم ساحون ، وعن الدسائس الاجنبية عمون ، حتى أصبح بر العراق كله



أجمع لفنون الفضل وصفات الكمال كشكري أفندي الآكوسي وابن عمه  
الحاج علي أفندي فلقد رأيت من سمة اطلاعها وقوة دينها وسلامة  
عقيدتها السلفية واستنارة عقولها ووقوفها على حكمة الدين وأسراره ،  
واطلاعها على أمراض الإسلام ، والتهايبها غيرة وحمية على الدين  
ومجاهدتها في سبيله فريقا من الجامدين من المقلدة وعباد القبور ما بهرني  
وعشقتني فيهما . وقد اودوا في هذا السبيل وامتحنوا فما ضعفوا وما استكانوا  
ولا يزالان يصدعان بالحق ويهتنان بضرورة الإصلاح مع منازعة اليأس  
لها . واعدائهما من عبدة القبور والأوهام وانصار التقليد والخرافات  
ينبذونهم باسم الوهاية لينفروا منهم ، ويجرضوا الحكومة على اضطهادهم  
غير أن حزبهم من ذوي العقول النيرة وطلاب الإصلاح أخذ ينمو عدده  
ويكثر عضده ، وكلهم أو جلهم من الأعيان ، وذوي المكاة ورفعة  
الشان ، ولم أر احدا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلها .  
تسحق غريب فيها وقد سميا في طبع الكثير .  
تتبعها والسعي في ط . الأ .

بالشيخ نعمان افندي الآلوسي رحمه الله لتأليفه كتاب (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالحن فلم يعتبروا ولا اتفظوا. ويزعم انه من مجددي الدين في هذا العصر. وهكذا بلغ به الغرور الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة ويليهِ كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره

ونقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :

قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عازمت على ارسال بعض العلماء الى سناجق البصرة والمتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فعلا ونحمد الله تعالى ان الدولة العلية قد تنهت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمرّة فقد سبقها الشيعة وبثوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فادخلوا معظمهم في مذهب الشيعة. يذهب الملا الشيعي الى القبيلة فيمتزج بشيخها امتزاج الماء بالراح بما يسهل عليه من أمر التكليف الشرعية ويحمله على هواه فيها كالباحة التمتع بالمدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيية سره ومستشاره في أمره فيتمكن الملا بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت وبكثي من السياسة غالبا بافهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحمّدة شاه العجم ورئيس الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء

يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع ( لا قدر الله ) بينه وبين رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية ان تدارك الامر بمحض التدارك اذا كان الذين تختارهم للارشاد والتعليم اهل حكمة وفيرة حقيقية يهتمهم الاصلاح والارشاد بحيث يهدمونه على منافهم الشخصية على ان الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه اتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية بمن على الفرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله الموفق اه ( من ص ٢٨٧ )

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن ان اكثر من اجابوا دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان اولئك الدعاة يشنون فيهم الوعاظ يطمونهم الفرائض واحكام الحلال والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها . فعن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب الرسالة ولكن الامر منهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة ولولاها لما كان خلاف وما أضع الدين والدنيا علينا الا بالخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة الاسلامية منتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التآلف والتعارف بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التمدي على الحدود فباتوا يخشون ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات من السنين . فنسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتنها وضرها

## فتاوى المتبائين

هنا من الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (ووظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمما قد متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا ، وان يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافعاله

### أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والانجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(ص ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين  
 حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي الزبير  
 السيد محمد رشيد رضا منشي المنار حفظه الرب المنان  
 أحبيكم تحية تليق بمقامكم الكريم واسأل الله تعالى ان يحفظكم بحفظه  
 السرمدي وان يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم  
 أسئلة ذات بال نرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم النير  
 ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)  
 أحاديث استدلل بها على وجود الاقطاب والابدال والانجاب والاوناد  
 والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلوبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قاب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ  
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصاب بالعراق والنقباء بخراسان والاقاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سنداً ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قولكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب نرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدس صفاته وامجائه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما علي من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي ص ١٣٠ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى  
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهر في قوله سبحانه وتعالى «وسع  
كرسيه السموات والارض» وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش  
لاهد بن تيمية ماصورته بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من  
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم  
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش  
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة  
وما وجدت لهذه المبارقة نسخة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط يمني  
يدون فقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها  
ولحقتها الارضة . فما قولكم في هذه العبارة ابجوز نسبتها الى هذا الامام  
بعد ان بحثنا عنها فما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

محجج بالحجاز

م ح ن

### ﴿ أجوبة المنار ﴾

نقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف البهائي لا يوثق بعلمه ولا بقله،  
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه ، وقد سألنا غير مرة عن بعض الخرافات  
التي يبها في كتبه المنفقة فلم نجب السائلين بشيء . اذ كان يتوقف ذلك على  
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته  
في مراجعة تلك الكتب . اما وقد ذكرتم في هذا الرقم ما سألتكم عنه  
فاليكم الجواب والله الهادي الى الصواب



أما الجواب عن السؤال الأول فاعلم أنه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء، وإن أشار في كثير المال إلى تصحيح حديث علي عند أحمد، إلابدال يكونون بالشام وهم أربعمونرجلا كلمات رجل أبدال الله مكانه رجلا يستقي بهم القيث ويتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» وفي رواية عنه أنهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجهما عنه ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحدا من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره النبهاني عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على أنه من كلام علي كرم الله وجهه لأن روايته المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه منه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورده في فتاواه بصدأ علي عازبا إياه إلى الياضي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الياضي وهو غلط مطبعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن الياضي أن الأبدال سبعة على الأصح ولذلك قال بعد أن أورد حديثه «والحديث الذي ذكره أن صح فيه فوائد خفية (منها) أنه يخاف للعدد السابق قبله» (ومنها) أنه يقضي أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟ يعني خلافا لجمهور أهل السنة» إلى آخر ما قاله علي تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة إلى التنب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بعد بحثه فيه «واعلم أن هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيرا مما ورد فيه

وذكر ما ورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرها من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يگوتوا اهل الحديث فمن هم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قبيل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك نذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

«واقدم وقع لي في هذا المبحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ربيت في حجور بعض اهل هذه الطائفة اعنى القوم السالمين من المحذور واللوم فوفر عندي كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة (كذا) فقرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام الجهم على بر كته وتنسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فانجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والنجباء والقباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بلفظة وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا صرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام الياضي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه علي فلم يسعني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرتني عليه الا شيخنا

شيخ الاسلام والمسلمين وامام النقباء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري وكان من عادي ابي اقود الشيخ محمد الجويني لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه . فذهبت انا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها . فلما وصلنا اليه اقبل علي الشيخ الجويني وبالنغ في اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها « اللهم فقهه في الدين » وكان كثيرا ما يدعوني بذلك . فلما تم كلام الشيخ واراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الاسلام يا سيدي القطب والاوزاد والنجباء والابدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي . فقلت له يا سيدي ان الشيخ - واشرت الى الشيخ الجويني - ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ الاسلام هكذا فعل يا شيخ محمد ؟ وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد ثبت . فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد . ثم قنا ولم يماثني الشيخ الجويني على ما صدر مني « اه

فيؤخذ من هذه الواقعة أمور ( منها ) ان ابن حجر الهيتمي تربي في حجر بعض أهل الطريق وصار تقليدكم وجدانا لا يقبل فيه قول مشايخه وان كانوا عنده من أئمة العلم والعمل والنسك كالشيخ الجويني وهذا هو السبب في انكاره الشديد على شيخ الاسلام ابن تيمية الذي كان لا يقبل في الدين شيئا الا اذا ثبت في الكتاب او السنة نصا أو دلالة . ومن اتبع وجدانه وشعوره النفسي في الأمر لا يقبل فيه دليلا وقد قال الاستاذ

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يتربى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالا » وهذا حسن اذا لم يدس في الدين ما ليس منه . (ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهرا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم (ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبنيا على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر لشيخه الجوزي فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آنفا في الاختلاف في عدد الأبدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجوزي بحديث في ذلك . ونحن نقول أيضا ان الصوفية اصطلمحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر

وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبي لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلف عليه وان حديث علي لم يرد ايضا باللفظ الذي أورده النبي بل ورد بألفاظ أخرى أفواها ما أخرجه الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبي لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يمتد باختياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة : فهذا هو

الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم

ان العلماء قد اختلفوا فيه ففاه بعضهم وأثبته آخرون ولكن لم يقل أحد  
 إنه يجب على الناس الايمان به والنقي هو الاصل وليس عند المتبين دليل  
 من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتج بها ولا من الاجماع الاصولي  
 ( كيف والمسألة خلافية ) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود  
 الحضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية  
 لغشهم بهم في كل شيء حتى انهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة  
 صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية  
 يقولون ان الحضرية مقام أو مرتبة لبعض الصالحين يطلق لفظ ( الحضر )  
 على كل من يصل اليها . فما ذكر من اجتماع بعض الصوفية بالحضر  
 يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر  
 انه اجتمع بالحضر كثيرا ويذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني  
 كما يقول انه اجتمع بفلان وفلان من الانبياء وغيرهم ممن علم موتهم باليقين  
 كالسبتي ابن هارون الرشيد فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا  
 يطوف بالبيت مع الطائفتين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان  
 يفصل بينهما او يشعر به فطم انه روحاني فبما حتى كلفه وعلم انه السبتي ابن هارون  
 الرشيد . وقد اطلال السيد الآكوسي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح  
 المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله اودعها كل ما قيل فيها وخرج منها  
 على انه لا دليل على وجود الحضر حيا لا من الشرع ولا من العقل  
 وأما الجواب عن الثالث وهو احكم من يكذب بوجود الحضر وغيره  
 من الاقطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل  
 أحد من أئمة الاصول والكلام إن ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت ان الشيخ الجويني كان ينكر ذلك وهو معدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر معه التي استتبعتم مائة شيخ الازهر أو شيخ الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند المحدثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابها «لا لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية: «حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لأصل له . قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحدا من أصحابه ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك . وكل ما يروى في ذلك صريحا فهو باطل» وقال «من المفترى ان عليا ألبس الخرقه الحسن البصري فان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقه» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والنهبي وابن حبان والملائي والعراقي وابن ناصر» اهـ

واما الجواب عن السادس - وهو «ما علي من انكرها» اي اجازة الصوفية بخرقتهم عن الحسن عن علي - فقد علم جوابه مما قبله وهو انه ليس على المنكر لذلك الا ما علي كل من ينكر الاحاديث الموضوعية المعزوة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقتراء عليه وهل عليهم الا الثناء الحسن؟ واما الجواب عن السابع وهو أن يجوز نسبة تلك العبارة في التجسيم الى شيخ الاسلام ابن تيمية بمد ما وجد في كتاب العرش التي قيل انها فيه فتبين انها ليست

فيه فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لتيره .  
كيف لا وان بين ايدينا كتب كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تمدوه قط

## باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد \*

أيها الاخوان : نخبكم بمزيد الاسف ان الدستور الايراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الايرانية المستبدة لضعيفة امام حزب المجاهدين الايرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الايراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

ايها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فاذا يكون اذا نحن ساءر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاصر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد  
العثمانية وغيرها من البلاد بامم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري  
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستيائهم من الحكومتين  
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني  
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا  
على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحي جميع الاحرار والناضحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحي  
الجمهورية الديموقراطية وتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الانغياء الظالمون  
حزب الديموقراطيين الاشتراكيين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

## فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى كامل ﴾

مانا لانتهي من نبي الالي نبي ، ولا نخرج من ترجمة مبكي الاوتقبا  
بتأين مبكي ، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين ، أشهر الكتاب والسياسيين ،  
فهاهي ذي قد اغتضرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتنا ، وأبندهم  
في عالم السياسة صيتا ، وأشددهم في ذهاء بلده تأيرا ، وأكثرهم ولبا ونصيرا ،  
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية ، ومدير جريدتي اللواء  
الفرنسية والانكليزية ، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته ،  
واختاره رئيسا له مدة حياته ،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيما قضى نصفها في السياسة ،  
ونصف هذا النصف في الصحافة ، باذلا فيما أخذ فيه جميع أوقاته ، مفرغا



فيه انتهى وجدانه وشموه ، وما زال الشمو والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطه في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له تابتة كبيرة من المعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر غريب ، ماروي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسمرت الافئدة الخاملة ، بل كان لهم بعد ذلك ساطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان بينه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابه ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يعهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأي بعضهم أنهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بيتا نقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمنيها بالرئاسة ، فيجدو به ذلك الى مشافهة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فُتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لها التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى العالي ، جرى الجنان ، طاق اللسان ، قوي الشمو والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فمذه هي الصفات

الفطرية ، التي أهلتها لتلك الناية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة  
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والمكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه انه كان قد سبق لهذا الشعب حركة حيوية ،  
ونهضة اجتماعية اديبه ، تلتها بقظة وطنية ، أتجت ثورة شعبية عسكرية ،  
وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وايقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكنت  
الاسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا  
الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضغائن  
مضطربة ، وحنائظ مضطربة ، وأوهام منزعجة ، وأحلام منزعجة ، مع مجازاة  
الامير توفيق للاحتلال ، ومواتاة له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد  
جديد من الحركة الوطنية ، تجت فيه كتجليات الحقيقة الكاية ، فكان تجليها  
الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعوام ، وكان لسانه الناطق  
جريدا المؤيد والاهرام ، ثم قدر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة  
الضباط وقتنا من الاوقات ، ثم فتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي  
هو عليه الآن ، بأن تفجرت روحه في الناشئين ، فعملت فعلها في غير أصحاب  
المهام من المتعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان  
مصطفى كامل ( رحمه الله ) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،  
ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها ، أو سائقها وحاديها ، وهي هي  
فوق المدعو والهادي ، وامام المسوق والهادي ،

وقد كنت اعجبت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكشبت

فيها مقالة في المؤيد عنوانها ( الحياة الوطنية ) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان، عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجرتي لهذه البلاد وكنت اراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهتفي احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يجعل خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت لك منه ذلك، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له في تعريفها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم بمد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سميها وبينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بمد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما، ونصر من وافقه ظالما كان او مظلوما، وكان الاول من اسباب ببطء انتشار اللواء، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء، كالمبالغة في ذم المحتلين، وانتقاد الحكومة، ومدح الامم، وتحمي الانتقاد عليها، والتبويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب نحو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه  
 المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله  
 مؤسسه وعفا عنه ولعلنا نوفق بمد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في  
 حياته وموته ،

## تاريخ العرب والاسلام

( في سلك القصص والروايات )

لاسلوب القصص المروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا ينال منه الملل ، وجذب  
 الى القراءة لا يجشى منه السأم ، فاذا هي أودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب  
 والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتاع ما يتفق مع اللذة كانت من أقوى ذرائع  
 تهذيب الجمهور وروم طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى  
 تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر . وانه  
 ليحزنا ان نرى أكثر القصص او الروايات كما يقال خالية من هذه الفوائد ، مشتتة  
 على كثير من المناسد ، تعري القتيان والفتيات بالغرام ، وتعجزي الحبي علي ارتكاب  
 الحرام ، وتعلم الاغرار ، حيل الشطار ،

هذا وانما نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك  
 النشأة الصالحة لمتنا ، وينايع تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدينة لسرازم من  
 الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأما في  
 روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ،  
 كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ،  
 والى إيداعه في اسلوب قصصي يسهل تناوله حق على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر  
 عمل توجهت اليه همة الاستاذ الامام ، وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهتنا  
 الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الاسلامي  
 والكاتب الاجياعي ، وقد سمي الرواية الاولى ( خديجة ام المومنين ) وسنشرها في  
 المنار بالتدرج ، وهناك مقدماتها في هذا الجزء

## خديجة ام المؤمنين

( مقدمة )

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث  
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دويّ قويّ وأثر  
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الأرض  
وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب  
بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو  
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالمحجوم على الممالك وفوزهم بهذا  
المحجوم وانتصارهم وغلبتهم على الأمم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم  
وتكوّن ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطالتيكي شرقاً وغرباً  
ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في  
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريّة

هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بغير تفكر كأنه معتاد الحدوث  
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سرّ حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من  
التدبر والتفكر بسرّ ذلك النجاح العظيم الذي أوتيّه أولئك القوم بسرعة

جديرة أن نشبهها بلح البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم أنه حادث من أكبر الأحداث التي حدثت في الدنيا ويراها جديرا بالبحث والتأمل وامان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالايمان به والموافقة له كان نصيب سيدة من اشراف قومه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزممت ان أقدم في هذه الاوراق لمحي الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقاري على سيرتها ان أمرّ به صرة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



## العرب

العرب كسائر الامم أوائلهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفه،  
تقف الآن عند هاتين الكلمتين وتلفت قليلا الى مبحث لطيف مختصر  
فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون اصول اُمتهم الى ابي البشر  
الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل اصول الامم كلها  
حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع أن يجزم بشيء مما يذكر عن تلك  
الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر  
فيحار في تصديق التناقضات ، واترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح  
الحريص على المعرفة الى الاستثناس بما يمكن قبوله من الحكايات في  
هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة أسلافهم الى أول أصل ؟  
لا ندري ولكن يلوح لنا انه لذت للا كثيرين دعوى هذه المعرفة فابتدع  
كل قوم اسطورة في يات أصنامهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في  
كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يتسوا من هذه المعرفة قنعوا  
بأن تكون لهم معرفة ما بأصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات  
وغيرها من المميزات وقد اتسوا من كثرة البحث والاستثناس بالمنقول  
ان البشر المروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية  
و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء للاصول القليلة التي  
تقرت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقبول بعض ما تلقى في  
حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة نليل المحققين  
ولا غليل الخياليين فيسطل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الخياليون مستمسكين بما قد حكي لهم من قبل وربما تسليح الحقيقة  
عن احتجاجها برؤية تائيلها وما تائيلها الا أساطير الاولين  
اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسليح بتلك الاساطير لاننا اذا اشتبهنا  
المعرفة فأمامنا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ مراحل أعمارنا من غير ان  
نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما  
يجوز ان نطمح فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلىنا قبل كل شيء ان نربح أنفسنا  
من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما فطنا  
طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فلماذا لا حاجة الى ما يدكره  
علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال اني لهم  
العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف بيني أهل الفن مبادئ على شيء غير  
معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً  
كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

\* \* \*

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣)  
مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم  
لتقادم عهدهم وهم عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجرهم الاولى، واما  
العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان، والعرب المستعربة هم  
ولد اسماعيل بن ابراهيم  
هذا قولهم وهو لا يجنبني لان البائدة ليست، وجوده حتى تعد  
وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبد. وقد



ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه يفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها ، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلاثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فخر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يعجبني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول « كذب للنسبون »<sup>(١)</sup> ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يقف عند من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي اعل شأهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لها وتمسك بما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن أصلاً آخر ، وللقبائل بعد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتبه : قال الله تعالى

« وفرقنا بين ذلك كثيراً »

وعرب العراق والشام ترجع الي أحد هذين الاصلين أيضا، فعدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون، متقاتلون متدابحون، لا ملك لهم جامع، ولا شرع فيهم وازع، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم، وتذكر فيه مآثرهم وآثارهم، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام، فالاسلام قد جمع الاوزاع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلهم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأخبارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم، واذا لم تنق بنقل أخبارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب، والديانة الجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس، والكنايس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قيسيين ورهبانا، وبيع اليهود ما جهلتهم، والناسفة ما أنكرتهم، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم، فكيف يكون هذا الجليل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . وبما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والعصبية عند التناصر فإذا رجعوا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يعتمد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الامم كتاب يجمع أخبارها وسير أبطالها يعني كثير من أفرادها يحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب اذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرد بأهله وانتمت اليه الثرية ووضعوا لانفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيفوا حظهم من الارتباط بالنسبة الاولى لان لهم عند التناصر - ظا منها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجماجم فالارحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم ترح من أوطانها ودارت في دورها كالارحاء على أقطابها الا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب . والجماجم هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل ا كتفت باسمائها دون الانتساب اليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك انه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم المحاجن ينعون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: ممن الرجل؟ فقال «أني رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحتي وقلت «أني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من مصر» قال «فمن الفرسان أنت أم من الأرحاء؟» فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا وبالأرحاء خندفا . فقلت «بل من الأرحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الأرومة أنت أم من الجماجم؟» فعلمت أنه أراد بالأرومة خزيمه وبالجماجم بني أد بن طابخة . قلت «بل من الجماجم» قال «فأنت امرؤ من بني أد بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت أنه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فأنت إذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين أو من أخوانهم الآخرين؟» فعلمت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد وبالأقلين ولد الحارث وبأخوانهم الآخرين بني عمر و بني تميم . قلت «من الأكثرين» قال «فأنت إذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الذرا أم من الثماد؟» فعلمت أنه أراد بالبحور بني سعد وبالذرا بني مالك بن خنظلة وبالثماد امرأ القيس ابن زيد . قلت «بل من الذرا» قال «فأنت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشباب أم من اللباب؟» فعلمت أنه أراد بالسحاب طيبة وبالشباب نهمثلا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فأنت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قات « من البيوت » قال « قانت يزيد بن شيان بن علقمة  
ابن زرارة بن عدس وقد كان لا يك امرأتان فأيهما أمك ؟

•••

ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا  
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلاب كان لهم حضارات وملوكهم  
التابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغين بالتاريخ . وملوك الحيرة  
( في العراق ) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل تاريخ  
العرب أولهم مالك بن فهم بن غم بن دوس بن سلالة الأزدي من ولد  
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك  
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعد عمرو  
ابن أخيه جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث  
المشهور مع الزباء ( زويا ) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي  
مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما حثالت عليه الزباء وأطمته في نفسها حتى  
اغتر وقدم اليها فقتله وأخذت بثرايها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد  
ابن اخته عمرو الاخضي جد الملوك المناذرة الغميين .

والمملوك الفسائون في الشام مشهورون أيضا بلهم من عرف تاريخ  
الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الأزدي  
ابن الغوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال  
له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من  
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من عمان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بربعم مئة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليح دانه، له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح القرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء، ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبني بها الحنير ومصنعه، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الإيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة، ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل معرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر الأخشي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الإيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الإيهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصاح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بمض

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده  
 أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوها حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه  
 الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث  
 ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الإيهم بن جبلة  
 ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى  
 له قصرًا بالبرية عظيمًا ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك  
 بعده أخوها شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك  
 بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن  
 الإيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني نسطور ، وهو الذي أسلم في خلافة  
 عمر ثم عاد إلى الروم



ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس  
 الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه  
 عمرو المقصور سمى بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده  
 ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى  
 قباد بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباد المنذر  
 ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فمظم  
 شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث  
 المذكور فهرب وتبعته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وبأربمن نفساً  
 من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني صرين وهرب الحارث إلى ديار  
 كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حجر قد ملكه ابوه على بني أسد بن خزيمه فبقي امره  
متاسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وودخلوا في طاعته ثم  
هجموا عليه بغته وقتلوه غيلةً وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أياتاً منها  
بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد ابيه فاستنجد بيكر وتغاب  
على بني أسد فأجده وهربت منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت  
عنه بكر وتلب وتطله المنذر بن السماء ففترقت جموع امرئ القيس  
خوفاً من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على  
قبائل العرب ، وينقل من أناس الى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا  
اليهودي فأكرمه وأزله وأقام عنده ثم سار الى ملك الروم مستنجدا به  
وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره الى ملك الروم قال  
قصيدة تشعير بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن ان الاحقاف بقيصرا  
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدنرا

وقدمت في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر  
فبالله كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت  
أمام الامم والاجيال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرك ان القول  
بأن هؤلاء القوم كانوا مجبولين وانهم كانوا متشبهين من غير ملك جامع،  
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكاف نفسه بخنا وهو  
لما يحط بذلك خبرا



ومتي كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا مزيد  
 كانوا هم أحق بمعرفة انفسهم وحفظ مناخرهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم  
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدة ،  
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، وإذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار  
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لعمر الحق فان تزوير الاساطير لا يستمد وقوعه  
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق  
 من القرائن الشاهدة والنظار الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصبرني رأيه ولا ينس التاريخ والمنقول  
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيرا وإنما يضره وحده . يقال  
 استفادته من المنقول ، ويكثر وساوسه وغروره ، ثم يصل الى درجة لا يثق  
 ممها أحد بمنقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب  
 لا أنافسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية  
 ولا أزيدة شيئاً على ما أوضحت به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل  
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

\*\*\*

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي روي هنا  
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجرد النفس  
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم  
 ومجهول ما وراءها وهما عدنان وقحطان ، فاما قحطان فقد أخذت خبرته

بخطها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته واما  
عدنان فان حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان لهظمه متجاوز النسبة أي  
انه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطقه  
مجدد وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبین بهر العالمين أجمعين  
فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لانتنا  
نريد ان يتعرف القارىء بقوم خديجة الخصوصيين . ﴿ فعدنان ﴾ ولد له  
﴿ معد ﴾ ومعد ولد له ﴿ نزار ﴾ وأولا نزار أربعة ﴿ مضر ﴾ وإياد  
وربيعة وأنمار وقد فارق إياد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق .  
ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة  
الايادي المشهور بالتمصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر  
ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت  
لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر  
ابن وائل بنو شيبان ومن مشهور بهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة  
ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم سيلمة الكذاب  
وولد مضر بن نزار ﴿ إلياس ﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس  
هذا فن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم  
مرضمة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر وضميمة  
وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو نعيم وباهلة ومازن وعظمان وبنو عيسى  
الذين منهم عنزة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فزارة وكان  
بين بني عيسى وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعمائة عاماً . ومن  
بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابحة ومن ذرية طابحة  
 بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة  
 وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمية ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب  
 جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور  
 وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة  
 ابن خزيمية ﴿ النضر ﴾ وملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فمن  
 ملكان بنو ملكان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهور بهم أبو ذر ، وبنو  
 بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهور بهم أبو الاسود الدئلي وبنو  
 ليث وبنو الحارثة وبنو مدالج وبنو ضمرة  
 وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد لمالك  
 هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر  
 وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فمن محارب بنو محارب ومن  
 الحارث بنو الخليج ومن مشهور بهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري  
 فهر يقال لهم قرشيون  
 وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الأدرم ومن تيم المذكور بنو  
 الأدرم ومعنى الأدرم ناقص الذقن  
 وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر  
 وأسماء . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله  
 علي بن أبي طالب  
 وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فمن هصيص

بنو جمع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا  
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنو سهم ومن عدوي بنو عدوي  
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرّة بن كعب ﴿كلاب﴾ وتيم وبقظة فمن تيم بنو تيم ومن  
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن بقظة بنو مخزوم ومن مشهورهم  
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لكلاب بن مرة «قصي» وزهرة ومن ذرية زهرة سعد  
ابن أبي وقاص وأمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا  
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو  
الذي أنزل مجدهم

وولد لقصي بن كلاب ﴿عبد مناف﴾ وعبد الدار وعبد العزى  
فمن بني عبد الدار بنو شيبه حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر  
ابن الحارث كان من أشدّاء أعداء النبي، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا  
خديجة بنت خويلد التي زوي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿هاشم﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل  
فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي  
سفيان مؤسس الملك الأموي، ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن  
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لهاشم ﴿عبد المطلب﴾ ولم يعلم له ولد سواه، وولد لعبد  
المطلب ﴿عبد الله﴾ وحزرة والعباس جد الملوك العباسيين  
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿محمد﴾ النبي عليه الصلاة والسلام

بغير عادي الذين يستحسنون القول فينبغ أن يكتب  
أولئك الذين هم أئمة وأولئك هم أولو الألباب

المجلد الحادي عشر  
١٣١٥

بؤن الحكمة من يشاء من يؤمن الحكمة قد ورائي  
عجبا كبيرا ومليذا صكر الأولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

( مصر الاوطاء - ٢٩ مفر ١٣٢٦ - أول ابريل ( نيسان ) سنة ١٩٠٨ )

## كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

نظرة إجمالية في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفا بنفوذ الحاكم المطلق فمرف من أحوال حكومتها وسيرها الاجتماعي ما يعز على غيره من حكام البلاد أو زلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الاميرالحال عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأ وأثقل قيلا على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا نستخف وطأته ، بل لا نطاق كلمته ، فهو قد حكم

لكل الشعوب التي تنبوا ارض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين  
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلا من  
حيث دينهم ونا فيه من المرونة التي تساعدهم على مجاراة المدينة ما لا يساعد  
الاسلام أهله على زعمه

ولم يكف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي  
اجتماعي بل حكم ايضا في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض  
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات  
المقائد ومكنونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الاسلام من  
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى  
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على  
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصخ المسامح  
وقارعة تصدع القلوب بل هو عبرة للمستبرين وموعظة للمصريين  
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين ( أحدهما ) الحكم  
على شعور الكتاب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الاسلام والمسلمين  
فأرايت بينهم خلافا في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام  
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم ،  
في وقت مفارقتة لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع  
عن احتمال الانتقاد ، بله الشبهة والازراء ، على أنه قد ظهر ضيق صدر  
اللورد قبل ذلك في تقريره الاخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواطاة ولا تقليد إن غاية اللورد من هذا الكتاب هي أن يستل من نفوس أحرار قومه فكرة توقيت الاحتلال، والخروج من مصر في يوم من الأيام، ويقننهم ويقنع أوروبا معهم بأن لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين إلا بقاء الانكاز في مصر لأن المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فإن هو تركه واتبع هذه المدنية كما يجب الأوربيون ويبغون كانت مدينته تقليدية لا حقيقية وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للأوربي والمسيحي ولو غير أوربي ويرون أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر إلى أملاك انكازا وما أظهره من الميل إلى اعدادهم للاستقلال هو من التوبيخ وذر الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالأمانى والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستعمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بديلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان هذه الطرق في السنة الأولى من المار وفي غيرها أيضا هذه صفوة الآراء التي دارت بين الناس في شعور مؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غاية منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الأبواب، معهود عند الكتاب، وما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لصلية، من شواذ الحوادث الجزئية، ولم يسلم اللورد من ذلك فإنه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي أورد الأمثلة لعقل الشرقي الضعيف

التعظيم والادراك « لاعتقاده بالقضاء والقدر ورضوخه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين العتبتين مثل للحكم الكلي العام بما نص ترجمته  
( قال اللورد ) « حدث أكثر من مرة ان المتعصبى فى مصلحة

الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احبانا اى مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رءوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك ليشقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتى »

وتقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع فى أوروبا وفى جميع البلاد من جميع الشعوب وناهيك بالطبقة الدنيا من العمال فان ذكى القطرة عالى النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمتدينين من أهل هذه المهنة بها والغالب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذى ذكره منهم . فحال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشعوب فى ارتقاء العقل وملكة النظام فيه . وانما ينظر فى حالهم من جهة النشاط فى العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فملة الأوربيين وفملة المصريين فى هذه المزايا لما قدر ان يخس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فك باستعدادهم لكل عمل اا وئسى ان أكثر المستخدمين فى سكة الحديد من القبط الذين هم على شاكلته فى عدم الايمان بالقضاء والقدر واني أذكر له شيئا من بلاد بعض الأوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صغار فملة السكة الحديدية فى مصر ناقلا إياه عن



كآب صفوة الآعبآر لصدفقه الشفخ مآمد ففرم الشفة السآلر آله آله آله  
فآه كآب فف الفصل الآف ففقه لفبآز عآدآت آهل فرنسآ و صفآهم مآنصه :  
« ومع ذك ( آف آنشآر المسآرف ) فلآ فزال فف فرنسآ آلفق كآفر  
علف السذآآة وآلآل . و دونك آكآة ظرففة فففس علفبآ مآقرب منبآه  
ففف سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كآز آآء آآآب العمل بآلفء مشآلآ آة  
« بآرفس » و كآز له ابن مشآل آة « برءو » فلم فوفر الابن من كسبه  
مآفشآرفف به آذآء فآرسل آف آفبه فشآكف له القل و فطلب منه شراء آذآء  
له فآشآراء له و آله فف الطرفق وهو مفكر فف كفففة ففصآله آفبه ففنبآهو  
مآش آذ مسر مآذفبآ للسلك الكهربآف ففقال هذآ ففرفرفق ! آف فف آآله  
الآذآء وهو ففوصله لآفبف . فآء آف عوء السلك وعلق ففه الآذآء و آسرف  
آف العوء بقوله « آوصل هذآ لآفبف فلآز فف المكن الفلآف » و ذهب  
مسر ورفآ بآطلاعف علف مسلك سهل بلآ مفر ورف . ثم مسر من آء مففقذآ  
مآ فمل السلك بآلآذآء فوآء فف ذك المكن آذآء عفبآ آففآه اللبس  
ففرآ و قال « آن آفبف لعلل آفبف آوسل فف القدفم لآسآمفن به علف آمن  
الآدفء » فآنظر آف هذف البلاءة آف لوف صدفرت من آآء المشرفقف  
لشبنوا بآبمع آلنس بآه و آشف ففبء عن المعآرف و ففهب الآآلآق ،  
( و قد صدق ظننه صدفقه لورء كرو مسرفآه فف شنع علف الشرقفن كآفة بآ  
و قم من بعض فعلة سكة الآدفء بمصر )

( ثم قال ففرم ) « وآعلم آن مثل هذآ الرجل كآفر سفآف القرف الصففرفة  
وآلآل بل و فف آهل المدن كآفر ممن فففقذآ بآلآرفآت البآطلة و فففقذآ  
الآففر لآ آبآر و آبآدآت ، و ففشآم بآلآوقآت ، ففقدرفآف فف كآفر من بلدآهم

وبلدان الطليان وكذا الانكليز طاقات في حيطان فيها منارات توعد ليلا بالزيت أو بالشمع السلي تقربا الى بعض اوليائهم أو الجن معتقدين حلول المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم ان شمع الشحم أو الناز من البدع التي لا يتقرب بها وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أما كن اعتقاد حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخبايا فنون أوروبا ما يتعجب منه السامع مما ترى الاورباويين ومن تشكل بشكاهم وتباهى بتقليد يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها سخرية وينزهون أوروبا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولا شد منها بل ربما أسند ذلك الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد لئلا ذلك بل انها هي المهدية والمنقذة من ضياع الجهل الى نور المعارف الحائمة على العلم وفتح البصائر « اه بحروفه هذا ما قاله عن اهل فرنسا وهم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية واذا كان أذهانا . على أنه قال ان الانكليز كذلك بل قال في كلامه من عادات الانكليز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج الفرنسيين سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فيتطرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السحرة والدجالين بما يخرج عن حد العقول وكاد التلم ان يكون عندهم مجهول الاسم فضلا عن المسحى سوى ما يرطن لهم القسوس في الكنائس « الخ أقول اما خرافات القبور والاولياء التي قال انهم يعيرون الاسلام

بمثلا وهو منها بريء فقد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم  
أو مجاورينهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية بريتان منها وقد  
قال صلى الله عليه وسلم « لتبين سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع »  
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ - قال « فن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما  
وان تعجب فوجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والماي  
المصري في الحساب فقد قال بعد ما تقدم ما ترجمته كما في التويد :  
« وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين للمصري المماي  
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالارقام أو الكمية فان عددا  
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري عن عمر  
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً « ان عمر الرجل مئة سنة »  
ويقول في نفسه ماذا بهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي ،  
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي  
المتعلم والمصري المماي ولماذا لم يقارن في الحساب والارقام بين المتعلم من  
التريقين ؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة  
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان  
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنيا على قاعدة  
عادلة لظنهم ان الانكليز اعلم وأبرع فامتحنوا التريقين فاسفر الامتحان عن  
فوز المصريين وتخطف الانكليز عنهم وسكت التريقان على ذلك الامتحان  
فلم يعلموا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلخوفهم  
ان يحق عليهم رؤساؤهم ويتقدموا منهم  
ومما يتقدم عليه في كتابه تقليده لغير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتبين بمعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فإنه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علماء اهل مصر علماء الاسلام المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول باعه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته إياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكامه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يتدنه بشيء من ذلك وإنما كان يقصد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسباب المحاكم الشرعية . وماذا كر لي عنه انه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه المحاكم ومعارضة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقلديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوانين وذكر اللورد كثره شكوى الاهالي من الظلم وضيق الحقوق في هذه المحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء ينافي الاصلاح العدل قال له اللورد هل تصدق بأستاذ انه يخطر في بالي ان شريعة قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المفاسد مسائل « اكاديمية » اي من تقاليد المشايخ التي تشبه تقاليد رجال « الاكبروس » عند النصارى

أقول هذا بالمعنى كما احتفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة وأبين خطأه وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثاله من أساطين السياسة وامانيهم في ذلك وما يجب علينا من العبرة

والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباة الاعلام ،

## قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصبير وإنما ألم بذكر بعض كبار الرجال المشهورين المأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين بعين الرضى كما نظر الى الشيخ محمد بيرم التونسي على أنه مدحه بشيء يراه هو مدحا ويراه جميع المسلمين ذمما إذ قال فيه «علمه ذكاؤه انطوري ان النظمات التي تطلق بها أسلافه ( يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون ) لا بد أن تلامى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي !! رأى كل هذه الامور بعين الناقد البصير » وقال بعد ذلك ان مثله اذا ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه « يكتني يندب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه » ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال بيرم من خيار المسلمين طريقة قادرة على احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي !! ونحن نعلم فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد بيرم وما سمعنا عنه ممن لقيه أنه كان متمسكا بهذا الفقه ويراه أحسن نظام ويعتقد انه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك الرسوخ في الاسلام ؟ أرى انه على إطراره ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث اراد مدحه ولم يعرف حقيقته الدينية كما هي ولا يرضي سر يدي الشيخ محمد عبده ان يكون مثله مرضيا للورد في ذلك وان كانوا يطمون انه لا يعد جميع هذا الفقه ولا اكثره من الدين . وانا نذكر الآراء في الورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة ونبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

اختلقت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده فأحبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العراقية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صفع عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فهين الشيخ بمد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثلا على نفع عمله الفتوى التي أفتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفئة التي يتبعي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والناية المظن التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن كان الدين الاسلامي أو يتركوا الشماز التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون ذاتها لسهام نقد الناقدين وطمن الطاعنين من الذين يخاض بمضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين أما سر يدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاه والنجاة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم منقولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين ، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين ، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين ، غير ان معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبرها فلزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشده اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبي  
متهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من  
الأوربيين . ولعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من اهل دينهم  
وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة  
التي تطلبوا بها على تلك المعارضة» وههنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه  
السيد محمود تضاوي عبارة في المقدم

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن المحاكم الشرعية ما ترجمته  
« هذا واني أوافق السر ملكولم مكرث على ما قال عن الضربة  
الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بوث المرحوم الشيخ محمد  
عبده فقد أشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا  
التقرير وأعود فباسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور  
عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم له كراه أحسن اظهارا بترقية المقاصد  
التي كان يري اليها في حياته » اهـ

اما ما قاله السر ملكولم مكرث وصرح به اللورد بموافقته عليه فهذا  
نص ترجمته

قول المستشار القضائي في الشيخ محمد عبده

« ولا يسفي ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي  
بغير أن أنسلكم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد  
عبده في شهر يولييه الثالث وان أبدي شديد أسفي على الخسارة المظيمة  
التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق



بالشرية الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة في عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بخدم جزيلة لا تقدر في مجلس شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيراً من الاصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسره بموته نظراً لسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء وظيفته في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكمل اليه امر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . اما الآن فانه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة قرب من درجته فلعل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحفانية ستظل زمناً طويلاً تشر بخسارتها بفقده « اه كلام المستشار

قول اللورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشيخ محمد فكان عالماً من طراز يفضل كثيراً طراز اخوانه الذين أشرت اليهم (كالمساجد والبكري) وكان أحد زعماء الفتنة العرابية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق وانقياداً تشبه بالانكار عليه في ذلك وعينه قاضياً حسن المنال وأدى الامانة حقها . وكان متوسماً في آرائه وعلى علم ونباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من الاستعانة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المتفرجين وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية وكان عدوا للاخديويين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات صالحين لما أعرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقبة الامر ان الرجل كان منطورا على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كثيرا ولكن اذا نظرنا الى نسيج محمد عبده والذين يعلمون تعاليمه من جهة امكان اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر ستانلي لاين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون أحد اثنين « امام تعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم المسيح دون مضاهاها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية كلية بحرفية تعاليم دينه دون مضاهاها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده في حقيقة امره « لا أدريا » ولو انه يستاء من هذه النسبة لو نسبت اليه . وكان مباشره ومخالطوه يعلمون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أعين المتسكين بالقديم سائر الى الهلاك لاجالة . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في أنه أسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كلية عليكرة وغاية الدين يتسبون الى تلك المدرسة هي زكية طرق  
الاسلام في عين الانساوا بالحري في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه  
المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام بالمروق من الدين يمنعه من المسير معهم  
طويلا وزاهم من الجهة الاخرى غالباً غير مترنحين الى حد ان يجذبوا  
اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم  
وادنى من المصري المثالي في تفرجه ولذلك ترى مهمتهم عسيرة جدا  
ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بهما لانهم  
حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون وسيري كل مصري محبا لوطنه ان في  
تقدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في اتقاذ برجرامه الا وهو جعل مصر  
مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً»

وقد طق الورد في ذيل هذه الصحيفة قوله - اني قدمت لمحمد  
عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق ففضلا  
عن العداة الشديد الذي كان يلاقه من المسلمين المحافظين كان لسوء  
الحظ علي خلاف كبير مع الخديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الافناء  
لولا ان الانكاز ابدوه بقوة . وقد ائنت عليه في تقارير السنوية  
ثناء عظيماً وأنا أعظم الناس أسفاً حقيقياً علي وفاته علي اني في الوقت نفسه  
لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالمت بعض  
الابناء الجديدة في كتاب المستر ولفرد بلنت فيظهر ان المستر ولفرد بني  
آراءه في المسائل المصرية علي ما سمعه من محمد عبده فقال عنه في كتابه  
التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف  
ما ياتي بلسان محمد عبده .

« عرض علي الشيخ جمال الدين الفتك باسماعيل يوما عند مروره  
 بربه يوماعلي كوبري قصر النيل فاستحسنت رأيه وواقفته ولكن الامر  
 اقتصر على الكلام بيتنا ولم نوفق الى شخص يتولى تنفيذ هذا العمل »  
 فكفاني أن أقول بعد هذا أن العالم المتمدن عموما ينظر شزوا الى الوطنيين  
 ويحتقر بالاكثر اوائك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم  
 السياسية بمثل ارتكاب القتل « اه من ترجمة المؤيد

### المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة  
 يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لا ذم فيها ولا تعريض وعبارة  
 التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في  
 التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الى الذم في بعض المواضع فانه لما وصفه  
 بالعلم فضله على السادات والبكري وهما لبسا من العلماء ولما ذكر انه متهم  
 بالفلسفة فسرد ذلك بالفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال  
 المؤيد في هذا التفاوت ما يأتي

« قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو  
 صديق مخلص للورد كرومر وقضى هذا اللورد زهنة الذي صادق فيه  
 هذا الشيخ وهو يساعده في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن  
 بصريح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافتاء طويلا . كان اللورد  
 يطرده مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكلما جاءت مناسبة لذكره

في تقاريره ويخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يطن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه . فلم هذا ؟؟

### رأى المؤيد في صداقة اللورد للشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير » .  
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة العراقية وأوضح ذلك وأكده وذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكليز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره ونوه بها حتى نفضها اليوم فأراحنا وراح الناس قال مانصه:

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لانه كان يريد أن يضع في يده رجلا قوي المارضة لدود الخصام عدواً لتوفيق باشا أولا وخلفه ثانيا ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولاصراء في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كانت نظريته وهو ينتقم باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن تمت حاجة لان يداري اللورد فيه كل المداراة واننا لاحظ  
 أن يداري نفسه لما كتب عنه أولا فيما كتب عنه انيا فجات كتابته هكذا  
 خليطا من المدح والقدح وتوب الرياء يشف عما تحته

### قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا ان المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلا عالما فاضلا ذا خلال  
 محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد  
 عنه انه كان ملحدًا أو لا أدريا أو ضعيف الايمان لان الايمان من أعمال  
 القلوب التي يستأثر الله بطهارتها وما ظواهره فكانت مجال مقال كثير لا صدقائه  
 من جهة ولا أعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالما مصليا  
 يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل  
 لذلك بغيرة لا تقتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يعتقد في نفسه اعتقادا  
 ملا جوائحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك  
 جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك . وأضنف الجواب في  
 أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي  
 خياليا غالبا كما قال اللورد لانه كان في كثير من الظروف ينجيل له أن  
 يقبض بكتنا يديه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من  
 جهة فيفضل في الامرين معا حتى يقول الجانب الخديوي من جهته ما يقول  
 فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضنف السياسي فيه

« هذه كلمتا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلناها بحرية تامة في هذه  
 المناسبة لنقول : ان كان اللورد أصاب في بضع ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لانه لم يكن يعضده  
ويساعده الا لفرض واحد وهو أن يكون هدواً حقيقياً دائماً للخديو  
فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للطعن على  
عقيدته والعقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم  
مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الطعن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار  
مصلحاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو مارق من الدين حتى  
انه لما مدح الشيخ يريم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام  
الاسلام على المعلومات المصرية قال عنه انه كان كمن يحاول أن يربح الدائرة»

#### قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكاتب فكران أو شعوران عند الكتابة في موضوع  
هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام  
أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما ذلط به المؤيد هنا  
حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لنفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلاسي اللورد  
في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ  
كان يتنعم باطرائه في دفعه لمداه الخديو، ثم ذمه بمد موته وخروجه هو  
من مصر لزوال هذه الحاجة . فان هذا الثناء العظيم في تقريره الذي ليس  
عندنا مدح منه سواء قد كتبه بمد موته واذا كان عند صاحب  
المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلتها  
بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبع

(٢) ان كوز الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة المرابية لا يصاح

سببا ولا جزء سبب لمساعدة اللورد إياه والا لمساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بنص الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قلما وجد

فيهم صالحا وانه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يعارضه لصدق وطنيته

فوافقته صاحب المؤيد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان

صادق الوطنية . ثم مثل بفضله للباشوات بمداوة الخديو الحال وايه ووجهه

ونحن لا نوافقته على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل

فمومعقول مهما كانت سنه ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسندين ذلك .

واما توفيق فقد كان هو وأستاذه جمال الدين من حزبه وشيعته على أبيه وقد تقم

منه اخراج استاذه من البلاد ونفيه هو الى بلده وكان راضيا منه أتم الرضى

عند ما ساعد الوزارة الرياضية على الإصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي

الثورة المرابية كان الشيخ مقاوما للعرايين ولما استفحل الامر كان مرشداً

معتدلاً بحسب علمه وقد ظهر له في اثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز

على العرايين فكرهه في اثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته

في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبح الاسكندرية كانت بايعاز من الخديو

ليثبت لاكترا وسائر الاوربيين محجز عرابي عن حمايتهم وقد كتب

برودلي المحامي عن العرايين شيئاً من هذا في كتابه نقلا عنه . وأما

العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع

المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جملة مستشاراً في الاستئناف وهو

هو الذي اختاره بنفسه متنياً للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في رقي

الشيخ محمد عبده في الوظائف الاعدم المعارضة والفضل الايجابي في ذلك



للأمير وحده كما كان يصرح به الشيخ سرار آء ولكن حدث في السنين  
الآخرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسعاية بعض المفسدين الذين يعرفهم  
صاحب المؤيداً كثر من غيره إذا كان يقاوم سعائتهم ومفاسدهم إلى أن غضب  
هو أيضاً . وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار إليها المؤيد في ترجمة  
حسن باشا عاصم فقال ما معناه أنها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب  
تعرضه عليه الذمة وكان يراه مولاه فيها متعتاً . - وله أن يقول مثل  
ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده . -

فمن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم أن إظهار اللورد الصداقة للشيخ بضع  
عشرة سنة لا يتأتى أن يكون المراد به دفعه في عداوة الخديوي كما قال المؤيد . على  
أنه كان أثبت من أن يدفع بيد اللورد أو غيره فقد كان في الذروة العليا  
من الاستقلال في فكره وإرادته وناهيك أيضاً بوطنيته وديانته . حقا  
أقول أنني كنت أراه حتى في المدة الآخرة التي تولى فيها سوء  
التفاهم بينه وبين الأمير يمتنى لو يكون الأمير موقفاً مؤيداً في كل شيء  
يرفع شأن البلاد ويفيدها مصنوعاً من كل شيء ضار وأنني سمعته غير مرة  
يقول إننا كنا معلقون برجليه فإذا أهبطه الإنكاز درجة هبطنا تحته  
لامعه ، وأنا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقسم بأنه لو أمره أن يخرج من  
البلد لا مثل . ولكنه كان ينكر على المعية أموراً كثيرة ويتمنى الوفاق الممكن  
الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى . على أن المؤيد استنبط من عبارة  
اللورد أنه يحاول أن يطمئن على الشيخ أكثر من كل إنسان في مصر  
لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي أن يكون سبب هذا هو الاستثناء  
عنه بموته وخروجه هو من مصر ??

(٤) توجيه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خيالاً غير وجهه فانه جعل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يخيل له ان يقبض بكتا يديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفشل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخيالن شاسع جداً . وخیال المؤيد وجهه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يقرب من الامير للاستعانة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم ابداء النصيحة الواجبة اذا عرض موجبها وكثيراً ما كان يعرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ويحبه رأيه ويثق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستعانة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منها شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجال يثق أمير البلاد وعبيد الاحتلال معا بكفائتهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لان الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ عبده وعمله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قراء عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جزم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يظن في ايمان الشيخ لان الايمان محله القلب وان ظواهره كانت مجال مقال كثير لاصدقائه ولاعدائه . فنقول انا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بعلمها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضي المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق تخلص اللورد كرومر » فالإخلاص كالأيمان محله القلب ولا يمكن ان يطعم عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنعه أخرى؟

أما الظواهر التي تدل على قوة إيمانه فهي اقوى من الظواهر التي تدل على إخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بأنه كان ابداً الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملاً خاصاً به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سنيان لم يقل فقال انها كانت مجال مقال كبير - قد قال من نفسه مقالا جازماً هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالماً يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بغيرة لا تقتر . وفي آخر عهده من الدنيا كان ينتقد في نفسه اعتقاداً ملاً جوامعاً أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهاداً حقيقياً وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك » فالذي ينتقد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحداً او لا ادرياً اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صديق المؤيد وان كان في تعبيره بلفظ «رسول اصلاح» غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان ينتقد ان دين الاسلام لا بد ان يعود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والخرافات والتقاليد والمادات وانه هو عالم بحقيقته وبكيفية  
تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وازائته بالحجة وان هذا العمل فرض  
محم عليه . وقد نمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملك جنانه ووجدانه  
فبذلك كان يرى انه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في  
استطاعته ان يتوانى فيه . وقد ذكر قاسم بك امين في تأينه ان بعض  
اصدقائه كانوا يلومونه على تفریطه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي  
قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيهدم بالتخفيف ولاكنه يصبح في الغد  
اشداهما وعناية مما كان عليه بالامس . وصدق المؤيد في قوله انه لم ينل  
حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لو نال هذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام  
ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنعه من ذلك

## رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد ان الجواب عن التفاوت بين كلاي اللورد المذكور في  
كتابه وقد صدق في هذه ولكن اخطأ اجتهاده فيما بينه به اذ لا اجتهاد  
في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد  
فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في  
الموضعين . اما الذي ذكره وأهمله فهو هامش اللورد<sup>(١)</sup> الذي يذكر فيه  
دهشته من استمداد مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاختلال من محمد عبده  
وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد  
فدونك ترجمته نقلا عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن  
المعارف : « لقد دهشت بل اعترتني خيبة أمل عندما قرأت في كتاب ألفه

مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشهير رجاحة اسمه «أوقرة اسمه» لتهم أو تبريحات من هذا النوع ولا بد أنه كان على يقين من أنها لا أساس لها . وكنت أرجو منه أفضل من هذا « اه علق هذا على هامش معناه هل نظر الانكليز الى انحطاط المصريين السياسي أو الاجتماعي نظر المتعيط فلم يحاولوا ترفيتهم كما يزعم بعض منة الناقدين ؟ ونحن نقول ان الرجل لم يبط اسمه لترويج التهم أو التبريحات كما ظن اللورد وإنما أراد الموعدة والتبويه الى الصواب الذي يمتدده ولكن صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويج كتابه وهو ما كان يقول الاما يعلم تمام العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة الى جورفيل أمرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قبيل ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أهم وأفضل عرض له من حياته . وانا نورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجورفيل عن المعارف

( التعليم العام ) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الامبلغ مئتي ألف جنيه مع ان في وسعها اتفاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية اثني عشر مليوناً من الجنيهات وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم التي نتقاضها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من ذلك الى حد ان صارت تربية الاولاد عبأ ثقيلا حتى على أوساط الناس واذا استر هذا التزايد أمسى التعليم زخرفا لا يتسنى التعلي به الا في بيوت

الاغنياء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم يجاهرون به كل المجاهرة ويبدو منهم على الدوام في حديثهم ونقاريرهم وكتبهم .

نعم انه من المسلم الي حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءاً من دخله لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب ولده في التعلم مراقبة فعلية ليحماه على الاستفادة من تعليم يكلفه كثيراً من النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحدٌ ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستتج من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عقيماً فانه مما تبني ملاحظته ان التعليم في المدارس المصرية من عهد محمد علي ( باشا ) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانياً في كل هذه المدة ولم يمنع هذا ان تنتج تلك المدارس عدداً من الرجال المتعلمين تعلماً حقيقياً وممظماً من الفقراء ولم يضر اوريا ان التعليم مجاني في كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غير من الاختبار في مصر وما حضر من الاعتبار باوريا مادام الذين ييدم مقاليد حكومتنا مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكفرهم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات على نظارة المعارف يقودون صغارهم اليها سائلين التصديق عليهم يقبولهم مجاناً في مدارسها معتدزين بفقرهم ومدلين بما يكون بعض افراد أهلهم قد أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان العناية الالهية والرحمة القلبية تلين صلابة ذلك المبدأ ولو صرة واحدة ولكنهم يضطرون في آخر الامر الى الرجوع الى بيوتهم أو الى قراهم خائبين خائري الغزائم غير راضين لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم اماني كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا «ان ابن ظهرانىكم من أبناء وطنكم اغنياء في وسمهم  
إنشاء مدارس مجانية للفقراء»

آه وأسفاه! نعم ان أبناء وطننا في وسمهم القيام بهذا العمل وبأحسن  
منه ولكن مصر لما يوجد فيها محبون للانسانية وأخص من بينهم محبي  
الانسانية المستعيرين، قد يوجد أحيانا بعض منهم يشيدون مساجد لا  
حاجة اليها لكثرتها عندنا وببعض آخر يقف جزءا من عقاره على ولي  
ولكن همه الناس وانباطها الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت  
زمننا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية  
من جهة قيمته فأننا نضطر الى القول بأنه قليا يكون رجلا في قدرته ان يمارس  
حرفة تقوم بمعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفاً فكيف بالتواضع  
في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب  
ومدرسة الهندسة خاتمة . اما جميع العلوم الاخرى التي تتألف منها معارف  
الانسان فالمصري قديماً أخذ منها بعض معلومات سطحية في المدارس التجريبية  
ولكن يكاد يكون من المتعذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه  
غالباً ان يجهلها . فعلم الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية  
وعلم الفلاسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية  
وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية  
فكان فينا القضاة والمحامون، والاطباء والمهندسون، ممن تختلف  
درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بمد  
الفكر والنظر وبشهادة الفؤاد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على  
السي وراه مطلب من مطالب الكمال  
وصفوة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها  
مصممة على ان لا تجرد عنها تلخص في أمور ثلاثة ( أولها ) مساعدة  
التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب حيث تعلم الكتابة  
والقراءة وقواعد الحساب الرابع ( ثانيا ) التقليل من نشر التعليم في الامة  
ما أمكن ( ثالثا ) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اضيق الدوائر  
المصرية موقنون بأن من بيدهم مقاليد أمورهم العمومية لا يميلون  
كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقا وعقولا وهذا الرأي مما يدعو  
الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً  
من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وليت شعري ماذا يربح الانكسار  
من التماذي في ترك هذا الاعتقاد راسخا في النفوس ، واذا كان ثمة أمر  
يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فالتعليم العام اذ لا يمكن  
ان يوجد تناقض بين مصلحة الانكسار ومصلحة المصريين في هذا المقصد  
فمن أراد استدرا ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك  
ان يبنى بتعهد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه  
من مماتي الانسان فلا بد من امتزاج العنصرين الاوروبي والوطني واخذها  
على التكاتف في السير نحو هذه الغاية يدا بيد  
ولعمري ان الانكسار ليسيون الى انفسهم اذا اوهنوا الاهلين وارخصوا  
من قيمتهم وصنروا من شأنهم قائما مصاحبتهم في ان يكون ابناء هذا الوطن



اعزاء اغنياء احراراً فان موارد الثروة والخير للانكليز منوطة بما يصيبنا من ثراه ورخاه »

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المعارف ويليهِ كلام عن الحقانية ومعاملة الانكليز للموظفين المصريين ملخصه انهم يتمسكون ضعيف الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يعد نفسه مشترعا فكما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانونا جديدا وأنفذه لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكلفة الاخذ بقوله على ان فيه من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنثبه له ؟ اما انه لا ينكر منها شيئاً ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاما في عيوب ادارة مصر لرجل معروف بالصدق وعلو المكاتبه عند الاوربيين ولذلك قال انه أعطى رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب أو أتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين سعد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرهم انما هو تجربة . فهل له ان يقول مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟

لقد كان هو وجميع أهل الرأي في مصر يمتقدون حقية ما كتبه وهذا الاعتقاد لا يزول الا بعمل ينقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية مخلصة فيما فعلت وتفعل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متعمد

منها فلتتداركها بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يسر عليها الا هتداء اليهم  
 أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فنه ما هو حكاية عن  
 اعتقاد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد آناً بعد آناً  
 وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه  
 لا أساس له ؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف  
 بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة  
 التلاميذ والعجرائد والناس على مستر دنلوب بما كان قد ازدحم في مراكز  
 الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول  
 الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو  
 آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهرتم الظهور  
 اما باقي كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المختلين في التعليم وهو  
 مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال ( كما في ص ١٣٣ وما بعدها  
 من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥ )

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية  
 التي هي فوق الكتابية وزيادة الاجور فيها .» ثم احتج على ذلك بكون  
 الفرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أورياً لكي تعد جمهوراً من الشباب  
 المصريين لخدمة الحكومة ولتطابق بعض الفنون . ثم ذكر ان محمد علي  
 انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباساً الاول ألفاها بعد ان خرج  
 منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها اسماعيل لفرجة البلاد كما كانت  
 وانها كانت مجانياً بل كان التلاميذ فيها يأكلون ويأخذون مرتبات واطهر  
 استعسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال « ويجب على الحكومة

ان تتوخى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفقها عليه . والاموال التي تنفقها على هذه المدارس تصير تنفقا على التعليم الاهلي الا لزم حاجة الامة ، ويعني بالالزم لحاجات الامة تعليم الكتابيب والصنائع فقط وهذا ما لا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « اما تنفقه على تعليم اولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليما اوريا فأخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الهممة منذ سنة ١٨٨٤ لاخذ الاجور من التلامذة ولا بطلال التعليم المجاني تدريجا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئا جدا الى عهد قريب » ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز » الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحان الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورفيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم اغنيا يجب ان ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره ( ص ١٣٥ و ١٣٦ ) « واذا أريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم مخايل النجابة الفائقة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموال تلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل أولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدوا انفع جدا من تكثير المدارس الابتدائية المتفرجة » ( للكلام بقية )

وعاشم افندي سر كيس السوريين بمصر وغيرها الى الاكتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي ينوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال توددا من شعب الى شعب ما بمنزلة الشقيقين. فلي الدعوة كثيرون وبدا تنهء مدة الاكتاب اقيمت الحفلة بندق شبرد وحضرها مع جمهورا لاكتئين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا افتتح الاحتفال سليم افندي سر كيس ببيان الفرض منه 'خطب سليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء' انشد تقول افندي رزق الله قصيدة «مصر وسوريا» 'خطب سليم بك باخوس في اكرام الرجال للرجال: تلقت قصيدة للأمر شيكيب ارسلان' خطب اسما عيل بك عاصم انشد امين افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظم تلقت قصيدة لاسعد افندي رستم قرىه كتاب في تحية الصحافة للشعراء المرسل من ادارة جريدة صاغة الحرب بنبو يورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شادودي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كيس لحافظ افندي هدية رواق المري في البرازيل وهي قلم من الذهب بشكل الريشة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السوريين وهي دواقر مقلمة من الفضة. وختمت الحفلة بقصيدة الشكر من حافظ وهي

لمهر ام لربوع الشام تنسبُ هنا الطي وهناك المجد والحسبُ  
 ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلبُ الهلال عليها خافقُ يجب  
 خدران (الضاد) لم تهتك ستورها ولا تحوّل عن معناها الادب  
 أم اللغات غداة الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب  
 ايرغيات عن الحسى وبينهما في راثات المالي ذلك النسب  
 ولا يمتان بالقربى وبينهما تلك القرابة لم يقطع لها سبب  
 اذا ألت بوادي النيل نازلة بات له راسيات الشام تضطرب  
 وان دعا في ترى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان متعجب  
 لو أخلص النيل والأردنُ ودّها تصاحفت منهما الأمواه والغشب  
 بالواديين تمشى الفخر مشيته يحنُّ ناحيته الجود والدأب  
 فسأل هذا سخاه دونه ديمٌ وسأل ذلك مضاه دونه القضب  
 نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب

في الشرق والغرب انقاس مسرّة  
 لو لا طلاب العلاء لم يتغو بدلاً  
 كم غادة بزوع الشام باكية  
 عفي ولا حية إلا عزيمته  
 يكرّ صرف الليالي عنه منقلباً  
 بارض (كولب) ابطال غطارفة  
 لم يحسب علم فيها ولا عدد  
 اسطولهم امل في البحر منحل  
 لهم بكل خضم مسرب نهج  
 لم تبد بارقة في أفق منتجع  
 ما عيبتهم أنهم في الارض قد ثروا  
 ولم يضرهم سراء في مناكبها  
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا  
 أو قيل في الشمس للراجلين منتجع  
 سمو الى الكسب محموداً وما فتئت  
 فأين كان الشأميون كانت لها  
 هذي يدي عن نبي مصر تصافحكم  
 فما الكناة إلا الشام عاج على  
 لولا رجال تفالوا في سياستهم  
 ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم

تهو اليك واكبادها لهب  
 من طيب ريك اكن العلاء لهب  
 على أليف لها يرمي به الطلب  
 وينثني وحلاه المجد والذهب  
 وعزمه ليس يدري كيف ينقلب  
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وثبوا  
 سوى مضاه تحامى ورده الثوب  
 وجيشهم عمل في البر منترب  
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب  
 الأ وكان لها بالشام مرتقب  
 فالشهب مشورة مذ كانت الشهب  
 فكل حي له في الكون مضطرب  
 الى الحجره ركباً صاعداً وكبوا  
 مدوا لها سببا في الجوا واتدبوا  
 أم اللغات بذاك السعي تكنسب  
 عيش جديد وفضل ليس يحتجب  
 فصاخوها تصافح نفسها العرب  
 ربوعها من بنيا سادة تب  
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا  
 فاما الفخر في الذنب الذي كتبوا

## إنجيل برنابا - مقل متناهي

قد تم طبع إنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجمه الدكتور خليل سعادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الافرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى المرشد بروح الله ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين

أما بعد فاننا نرى مؤرخي النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فلفقدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أمثالهم الى ما شاء الله

وأما من يجب العلم ويحتمل التقليد من كل أمة فهو يود اذا اراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أمرها وبيني رجب بعضها على بعض بمناقشة والتفكير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وان لم تظهر لرجال الكنيسة

لوقية تلك الاناجيل كلها لكانت اغزر بنايم التاريخ في باجها ما قبل منها أصلا للدين وما لم يقبل ولرأيت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة اصونة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها

إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحدهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجي بعده ليم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الانبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استعدادهم وإنما كثرت الاناجيل

لان كل من كتب سيرته عليه السلام سبها إنجيلا لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الانجيل (إنجيل برنابا) و برنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرميل صحبه بولص زمانا بل كان « هو الذي عرف التلاميذ بولص بعد ما اهتدى ( بولص ) ورجع الى اورشليم » (١) فلعل تلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان بولص بعد ما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولا وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن بولص انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا عرو اذا عدت الكنيسة إنجيل برنابا إنجيلا غير قانوني أو غير صحيح

لم نقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي يحرم قراءتها فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بثة نبينا صلى الله عليه وسلم على ان بعض علماء أوروبا برنابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الله كتور سعادة في مقدمته والثبت مقدم على الثاني صرت القرون وتعاقت الاجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عثروا في أوروبا على نسخة منه مندمتي سنة فهدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التمهيب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وانبرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي ترجمتها بالانكليزية وتمم نشرها وقد أهدت اليانسخة منها

عند نشرها فأبنا انه يجب ان لا يكون حظ قراء العربية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صدقنا الدكتور خليل سعادة فوافقت وغبته رغبتنا وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفية وبأثرنا طبعا بعد مآرضتها على الاصل لاجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوروبا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لخصها الدكتور سعادة في مقدمته فن مباحثهم ما هو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها ولغتها ومنها ما هو من قبيل الطرص والتخمين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبعهم في مثل هذا البحث أصحاب مجلتي المنتطف والهلل

ويجب ان نفيه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفية ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة اطلاق البحث أو بناءه على أسسه ولو مفروضاً . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلطة وربما كان فاسداً فيجبي كل ما يبي عليه مثله لأن ما يبي على الفاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما امتحن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عمد الى جرة كانت في الشمس قلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ثم قلبها ولمس الجانب الآخر منهم فاذا هو سخن فطالبهم بعله ذلك فظنقوا ينشعلون الطل وهو يرددها ولا سألوه عن رأيه في ذلك قال انه يجب أن يثبت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل للارض سخناً غير صحيح بل قلبها انالاختر فظنقكم وكذلك فعل بعض الباحثين في أنجيل برنابا فرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تعيين واضعه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم ام حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفسده حتى رأى الدكتور سعادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهودياً أندلسياً من أهل القرون الوسطى تنصر ثم دخل في الاسلام وأثمن



اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حق المعرفة بعد الاطاحة بكتب العهد القديم والجديد . واستدل على هذا الفرض بطله الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التلمود واحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه الى كتب اليهودين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطى وهي التي بين أيدينا الآن كقصة هوشع وحمي الى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها احبانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطى وما بعدها لما وقع في هذا الغلط الظاهر مع علمه الواسع واستدل أيضاً بموافقة بعض مباحثه للقرآن والاحاديث وما كل ما وافق شيئاً في بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه والا لزم ان تكون التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي لارحميا من الله لوسي عليه السلام . على أن معظم مباحث هذا الانجيل لم تكن معروفة عند أحد من المسلمين وأسلوبه في التعبير بعيد جداً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يثني عليه والانبيا ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الاسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة اليونيل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعاده ضعفها بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يعول عليه في هذا المقام فان موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر داني يمكن ان يملل بأن داني اطلع عليه وأخذ منه ان لم يكن ذلك من قبيل تواردها وطور

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيحتمل ان تكون لراهب فرمينو الذي اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البايا بأن يكون دخوله في الاسلام حمله على تعلم العربية حتى كان مبلغ علمه فيها ان يترجم بعض الجمل بعبارة سقيمة تغلب عليها العجمة وما فيه من العبارات الصحيحة على قلبها لا ينافي ذلك فان كل من يتعلم لغة اجنبية في سن الكبر تكون كتابته فيها لا اول العهد من هذا القبيل؛ صواب قليل، وخطأ كثير، على ان اكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن ان يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القوس أو من هم على شاكتم قد تعلم العربية لتبين هل فيها مصادر لهذا الأنجيل يمكن ارجاعه اليها . و يرجع هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبيهاً له بالقران أما عزو هذه الهوامش الى مسلم عربي في الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب اذ لا يوجد مسلم عربي ولا عجمي بطابق لفظ السور على غير سور القرآن أو يقول « الله سبحانه » كما جاء في مواضع منها هامش ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبحانه الله » ما يحفظه كل مسلم من اذ كاردينه ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل و بجبل اسم اسرافيل فيسميه اوريل أو رفايل ، أو يقول ان السموات أكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . واذك أمثلة أخرى أضف اليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الأنجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً بحقيقته بخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرق فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبهما ولم يذكر في رددهما على النصارى هذا الأنجيل بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الأنجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو نصر يجه باسم « النبي محمد » عليه الصلاة والسلام قائلين لا يعقل ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذ المهود في البشارات ان تكون بالكنايات والاشارات والبريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الأنجيل مكتوبة بالقلم الحبري قبل بعثة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الأنجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأنجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن أنجيل برنابا وغيره .

على انه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الايطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر باللفظ بغير معناه كاللفظ البار تليط

ومثل هذا الشاغل مهور عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشيخ رحمة الله  
الشواهد الكثيرة من كتبهم في الامر السابع من الملوك السادس من الباب  
باسادس من كتابه اظهار الحق وزاده بعد ذلك بياناً في البشارة الثامنة عشرة  
ولا يحسن القارى المسلم ان علماء أوروبا وبعض علماء بلادنا كالدكتور  
سمادة وأصحاب المتكاتف والهلل يظهرن الرب في هذا الانجيل الموافق في  
أصول تعاليمه للاسلام تعصباً للمصراية فان الزمن الذي كان التعصب فيه يحمل العلماء على  
طس الحقائق التاريخية وغيرها قد مضى . وقد بحث علماء أوروبا مثل هذه المباحث  
في الانجيل الأربعة فينبوا انه لا يعرف مني كتبت ولا بأي لغة أفت وقال بعضهم  
ان موافقها غير معروفين وأتهم بعضهم بواض بوضع أكثرها كآري في دائرة المعارف  
الفرنسية وغيرها بل منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الاديان الوثنية  
أكثر العلماء في هذا العصر أحرار مستقلون في مباحثهم الا من غلب  
عليه التقليد الديني أو مصانفة المتدينين الأتري ان الدكتور صر جليوث  
الانكليزي هو الذي دحض شبهة من قال ان لهذا الانجيل أصلاً عربياً وأنه من  
وضع المسلمين ، وان الدكتور سمادة هو الذي فند رأي المسندل على كونه من  
وضع النرون الوسطى بما فيه من ذر تون اليوبيل كل مئة سنة ، وان أصحاب المتكاتف  
يجوزون أن يكون له أصل ترجمت عنه النسخة الايطالية ويحشون على البحث عنها  
فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وان لم يكن دليله واضحاً وتعليه ظاهراً  
ومن لاحظ ان بعض القسيسين يجملون العمدة في اثبات الانجيل الأربعة  
ما فيها من التعاليم الادية العالية ثم قرأ تعاليم أنجيل برنابا يظهر له مكانه العالي في  
تعاليمه الالهية والأدبية . فإذا صرفنا النظر عن فئدته التاريخية وعن حكمه لنا  
في المسائل الثلاث الخلافية - التوحيد وعدم صلب المسيح ونبوة محمد (ص) -  
فحسبنا باعثاً على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواعظ والحكم والآداب  
وأحاسن التعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٢٦



## خطبة حفي بك ناصف

(رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب)

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جهود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغريبة ونسوا علينا تخرجنا قبول النخيل في لغتنا ورمونا «بالرجوع إلى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند ماأمامه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر أهلها أن ينتفعوا بكل ماخلفه الله» إلى آخر ماأثروا به من القضايا الخطايا بقصد التأثير في أفكار السامعين حتى تخيلوا أن الكلام الأعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وإن قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حربية أو معمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم سانهة يمكنكم فيها اختراع بدقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الأمة المستضعفة لاندري من أين تأتي ولا تعرف لتأخرها علة

فتذهب هم كل ذاهب وتشمي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه إلى الآبار فاشتطنا، وقلنا الأزياء

الواسعة مانمتنا عن الحركة فاستبد لنا بها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقعدنا، وما استفدنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا النفاذج (البالو) معارج فاعرجنا، وغيرنا العائم بالقلانس والدور بالمصور وظهور الصافيات يعطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضاف ولا سبنا الى راقى الامان، والانكايز واليابان

ان لارتفاع الامم وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددنا مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستباحت والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يظلم الكبير لا يجوز في العربية أن تنصبوا الفاعل وتقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان تقولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جازهم وضع ألقاظ متقضية وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا ايسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقعة وخلع المذار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدل معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فيها هو يانه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان ماد وعمود وأميم وعميل

وطسم وجديس وعمليق وجرم ووبار من أولاد إرم بن سام  
وأول تنقيح دخلها كان يعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة  
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد  
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما أصهر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرم أدخل  
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كربيعة ومضر  
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج اتخاها من لغات قبائل العرب  
التي كانت تفقد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها  
ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة  
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة  
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل  
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض  
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجرهم لمخالطتهم القبط أهل  
مصر، ولا عن قضاة وغسان وأباد لمخالطتهم أهل الشام والروم وأكثرهم  
نصارى يقرءون بالبرانية، ولا عن تغلب لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين  
لليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وأزد  
عماز لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس، ولا عن أهل اليمن  
(حمير وهمدان وخولان والأزد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين ولا  
عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثميف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط  
 وعدوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية عن عنفة تميم  
 وهي ابدال الهمزة عينا نحو عنت وعنت أي أنت وانك ، وعن ثلثة بهراء  
 وهي كسر أول المضارع نحو تلب وتلبو ، وعن كسكة ربيعة ومضر  
 وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب وأيتكس ، وعن كشكشة هو وزن  
 وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو وأيتكش وعن فعفجة هذيل وهي  
 قلب الهمزة عينا نحو عتي أي حتى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب  
 بعد الياء الساكنة أو الكسرة نحو عليكم وبكم ، وعن وهفني كلب وهي  
 كسر هاء التيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهم وبينهم  
 وعن جبيعة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جيا نحو الساعج يدعج أي  
 الساعي يدعي وعن وتم أهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو  
 الثات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب  
 العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أنطى أي أعطى ، وعن شنشنة اليمن  
 وهي قلب الكاف شيئا نحو ليش اللهم ليش ، وعن خلخانية الشعر  
 وعمان وهي حذف الألف في نحو مشاء الله أي ماشاء ، وعن طمطانية حمير وهي  
 جعل أل « أم » نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وعنفة قضاة وهي  
 إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة الى لغة كل قبيلة على حدة بل جموا الألفاظ  
 التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الأخذ عنها وجملوا لغة واحدة  
 مقابل اللغة الأعجمية لا يخطئ التكلم إلا إذا خرج عنها كلها فلفظ المدينة  
 لغة دوس ( بطن من الازد ) ولفظ السكبين لغة قريش فنقل الأغة اللغتين



وأباحوا لكل انسان أن يتكلم بأيها شاء ولو لم يوجد في العرب من تكلم بهما مما ومن هنا جاء الترادف في اللفظة والاشتراك اللفظي ولو جمعوا لغة كل حي من العرب على حدثها لتكرر العمل وطال الزمن ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة العرب عدوه غريباً ووحشياً يمتد استعماله بخلا بالفصاحة ولو كان معروفاً عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو اخر الكلام وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير مضبوطاً بقوانين تختذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ (مادة أو هيئه) قد سمع من العرب منعه بتاتا وشنعوا على مستعمله ولاجل أن يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار الانحطاط الذي كان يلحق بمن يختلي منهم أروي لك قصة وفود سيديويه على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديويه ورئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي ورئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي: تسأني أو أسألك؟ فقال سيديويه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب «قد كنت أظن ان العنقرب أشد لسمية من الزنبور فاذا هو هي» أيجوز «فاذا هو ايها» فقال -ديويه لا يجوز النصب فقال الكسائي، العرب ترفع ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفتما وإنما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب بيا بك قد سمع منهم أهل البلدين فيُحضرون  
ويُسالون فقال يحيى وجعفر أنصفت وامرا با حضار أعرابي من أهل  
البادية وسألوه فقال «القول قول الكسائي» فقال سيديويه ليحيى «مره أن  
ينطق بذلك فإن لسانه لا يطاوعه» فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وخجل  
سيديويه وسافر بعد ذلك الى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة  
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء  
البلدين متى اختلفوا في أمر تَلَمَّسوه عند البدو وتسمَّوه منهم

وعرفوا العرب بأنه الاسم الاعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق  
بعريبتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبهم في ذلك كل من  
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعياب وأجمع  
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا  
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة  
بين المعنى الاصيل والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصيل  
وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعيننا الفيث أي الكلاء

والمسبية - نحو أمطرت السماء نباتا أي ماء

والكناية - نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الامير العيون أي الجواسيس

والطالية - نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

والحلية - نحو سال الوادي وجري الميزاب أي مأوه  
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار  
والملزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها  
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي  
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر البعير كالشفة للانسان  
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرحم والذابة  
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة  
والبديلية - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الفها  
والمبدلية - نحو « أكلت دما ان لم أرعك بفضرة » أي أكلت دية  
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى  
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خرا » أي عبا  
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقيل » أي قرأت لفظه  
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي المزايدة المجاورة للجمل وقد  
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبة وقمصا  
والآلية - نحو « واجمل لي لسان صدق » أي ذكراً حسناً صادقاً  
والتماق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد

عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلواتكم

والمصدرية - نحو «فرجمو الى أنفسهم» أي آرائهم  
 والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته  
 والتضاد - كاطلاق البصير على الاعمي  
 ومتى اشترى اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم  
 الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التقيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة  
 بمينا فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جريت عليه فلست  
 بمخطئ ما دمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادقتك من العلاقات  
 السالفة الذكر توصلك الى تسمية مالم تسمه العرب فلست مقيداً بللفظ  
 أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال  
 في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم  
 وتجدد حسبما يسمو اليه استعدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع  
 وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المدينة كما تقول دوس وان تقول  
 السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولفظ «باربي»  
 بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر  
 وتنصبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين  
 على الباصرة والذهب والياسوس وتصرح وتعمي حيث تحتاج لذلك  
 وتنتقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد الهندو فحبسوه والزموه أن يكتب  
 كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوجهه بقلة عددهم وعددهم  
 غشا وتفريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السمي في تعرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المساقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدون فأرسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فتنظن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السمي وانه رآهم أضما فذا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمع بآية « كم من فئة قليلة » ولتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كاهم عدو كبير عد فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وأببح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج . بشرط الملاقة والقرينة وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق الا استظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها لبانة للعلم والسياسة وتمرغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فانارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضنف أمرهم ورثهم الغربيون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفتون ولا يزال الافرنج بدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر عليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد بين الرشد من النفي

ولما تعدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس أن يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالتاظ وطفقوا يحسنون صنيمهم بأقيسة خطائية وجدلية لا نفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: إن العرب أخذوا ألقاظاً من الأعاجم في أطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فما لنا لا ننشئ مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم أن ما أخذوه العرب قليل جداً بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة فتتبعه غداً بالآولى في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدا وخبر إن ونشتق من الجوامد كلها ونميل الألف حينما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها الأحداث الهائلة فتبليبل فيها الألسنة وتفقد بمد قليل من الزمن مع أن « أصحاب اللغات الحية » الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩١ أربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلائله بنفسه لا بعلاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرّة أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لاحتمال في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المسير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعماله مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجي في الخاطر معناه الاصل والذلي يسمع جملة «سيارة الامير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والمجاز؟ أنا أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشارك فله مني عشرة دنانير وأمرتكم شهرا. والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الاعمى اصح لانها تدل على صنف

مخصوص بخلاف الكلام العربي فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي وعاني وفي الرمح أسمر ولدن وسمرري ووردني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رايما : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « اليرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاق في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فافهم بجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس ببناء حائكه وخائطه وقارىء الصحيفة لا يحس ببناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتفعون بها ونحن لانكاف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتم منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يموقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني اذكر كم أننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواور وتفصل جنرال ولما ابتداء الصحافيون ينفرونها بلجنة وصحيفة ومحام



ووباء وقطار وممتمد كنا نتقززها فلما ألحوا في استعمالها زال التقزز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الأولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذرو مترجمو اليوم حذو مترجمي أمس ؟ ولم لا يساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بتقديم مجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تقم الأدلة على أصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر للآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين زراث اسلافهم المتقدمين

ويمد قائي لم أفهم للآن وجه التشبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طبائنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نماني أعمالا جديدة لم تعودها فتخذنا هذه الطبائع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمر ب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا أن ما وصل اليه هو متهي الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التقر والتفريق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التثبيث بأرى؟  
لقد وعيت كل ماسبق من الادلة فلم أجد فيها برهانا ففعل جمود قريحتي  
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته  
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لاهو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس  
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق  
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا  
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

ونرى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل  
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير  
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو أبنا سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في  
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في  
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابا ن تعلمه لغة الكتابة  
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد  
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستسلونها في الكتابة فقط لانعكس  
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي  
الصحيح شي من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة  
كان يعني عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدها ويضيع على كل متعلم  
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر  
الامة كل سنة من أعمار افرادها؟ فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو

٧٠٠٠٠ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة ( ونفرض أنه النصف ) ٣٥٠٠٠٠٠ يكون عدد البائين ٣٥٠٠٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في ٣٥٠٠٠٠٠ سنة وبمباراة أخرى يفوتها وبعج زراعة ٣٧٥٠٠٠٠ ر فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها فياضيمة الاعمار تمشي سهلاً

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدي اللغتين واختلفوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين ( باشا ) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول ( ١ ) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد ازمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى أسهل لان كل شيء فيها قد ضبط وتمح ووضعت له كتب متعددة ( ٢ ) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل المصور فلذلك زمان الفاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك ترى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية والانكليزية ( ٣ ) وان التزام العامية يحدث حجابا كثيفا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

يطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويليكسي والاختذ بالمشهد الارتيني

وخلاصة هذا المشهد أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتهدرب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويجب اليهم التماور بها كلما اجتمع لغير منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك ألسنتهم دورتها ويكون أخدم بالتمرين تدريجيا يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التمايم زادت قوتهم في التطبيق الى أن تهجر العامة وتحل الفصحى محلها

فاذا ضم الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على مشاهد النظائر ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء أساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فان اللغة العامة تنقرض في أقل من عشرين عاما وتختفي اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلمهم وأخذ يهد هذا الأمر عدته وعتاده وسأني رأبي في ذلك وكنت معلما في مدرسة الحقوق فقلت له ان الأمر ميسور والخطب سهل فطلب اليّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الأمر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاء من المنتشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر  
فصمم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من  
العاجزين، بان التطبيق متمدر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ  
على هذه المغالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان،  
والذي يسم كلام الباحثين الاصليين والمنتصرين لهما يخال ان بين  
الفريقين حربا عوانا وخلافا ما يمدده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي  
حمي وطبسه واحتدم أوراه ان أدلة الفريق الاول تنتج أكثر من المدعى  
ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك  
لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع  
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق  
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى تحامها اذا التقي الجمعان واليكم البيان  
(١) تقسم أولا اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحية  
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل  
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج  
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم تقسم اللغة الفصحى الى اجزائها حرف وفعل واسم فالحرف  
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا  
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف العطف  
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»  
لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول<sup>(١)</sup> ما يفهم منه

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الالجمية كأثرم وتبسل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدال والافما وجه تفضيل الالجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أنبل وأحمر وأفرس والبغل والجمار والفرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنبي عليها وهي أنه لا يصار الى التريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى أنبل لا مكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام ففعل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم تقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والي ما لا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه ففعل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم تقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم تقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فالاسماء المعاني كثيرة جداً

في العربية حتى عدتها الباحث الاول ثروة واسعة فالنزاع في اسم الذات (٦) ثم تقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والي ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم

الموصول والي ما وضع لنير معين وهو اسم الجنس فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصل قبل العلمية وانها تبقى على ما وضع لها واضمحالها الا لضرورة والضرورة اما أن تكون بوجود حروف أجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والفاء والحرف الذي بين الفاء والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والظن وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أوقف الصعيد وهي قاف تيم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المناربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والشين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حر كات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبدها بألف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا تجيزه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالاتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالاتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بعد مدة همزة وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلا أو وضما في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضاً

والضمانر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وإنما النزاع في اسم الجنس كما شرح الباحث الاول مرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الي ما استعملت له العرب لفظا سواء

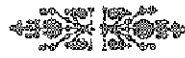
وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها وإلى ما لم تستعمل له لفظا  
والأول يقبل ولا ينظر إلى أصل اللفظ قبل التعريب لأن التعريب جملة  
في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا  
(٨) ثم تقسم ما لم تستعمل له العرب لفظا إلى ما اصطاح المولدون  
على إطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كمنسافة وغواصة ودارعة  
وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، وإلى ما لم يصطلحوا على إطلاق  
لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في أنه يجب البحث والتنقيب في  
كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن إطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات  
الجانزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطاح من قبلنا على  
لفظ منسافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الأنشاء  
وصحف الأخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ  
أعجمي واستعماله موقفا للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجا  
من لغة العامة إلى اللغة الفصحى

فإذا أتقنى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها  
وهو ما لا يكون إلا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث  
الأول بالمنظار الذي يرى به المعربات التي صفتها العرب ويقول قد احتطت  
وما فرطت فرحبا بالدخيل المتيد ، وبعدا للأصيل الشريد ، ومالي أشغل  
أمالي بنشد ضالة إن جاءت فلا كرامة ، وإن ذهبت فلا شيمتها غمامة ،  
وبراما الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المعربات فيحسبها كالرقعة



في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وحبذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،  
هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيق البحث حلقاته ويبدأ حتى  
تضائل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلية واستقبالها اما بالترحيب ،  
واما بالتمطيب ، وهو خلاف غريب ، حفي ناصف



## باب المناظرة والمراسلة

### السنن والاحاديث النبوية

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء الفيورين في حيدرآباد الذي يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين بمقدمتها التمهيدية وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،  
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،  
أما بعد فاني قد وقفت على رسائل حفزة العالم الباحث الدكتور  
محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول ( ص )  
وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله  
بل صراحتة دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء وكأنه استشعر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن الفعلية التي نقلتها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - ما له وحقيقته بعد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن الفعلية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه ما من فعل قل اليما من تلك الافعال الا وقد اختلفت في هياتها واحكامها المقومة لحقيقته . والمسلمون الناقلون لتلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلأن لا تكون مجهودات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن الفعلية قد اختلفت في صفاته وهياتها الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهما ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليله والمسبب بانتفاء سببه اذ لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو نذب أو كراهة الا السنن القولية المفسرة للقرآن والخاصة على أحكام الاعمال فاذا اختلفت اتفق كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومراده ذا او ذا كيت شاء فعاد الامر في جميع أمور الدين

الى الاجمال والابهام ولزم الانسلاخ عن دين الاسلام وهذا هو ما يتحاشا  
 عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم  
 والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة ارسلتها الى حضرة سيدنا  
 منشى المنار الاغر ولكنه ارسل الي مكتوب ايد كر فيه ان بعض تلك الرسالة  
 ضاع عنه ويطلب ارسال ذلك اليه لطبع الرسالة ولكنني اعتذرت حيث  
 لم يبق لدي منها شيء لاني ارسلت الى حضرة المسودة. ولما كتب حضرة  
 الدكتور رسالته الاخرى التي طبعت في المنار ( الجزء التاسع من المجلد  
 العاشر ) بعنوان ( النسخ في الشرائع الالهية ) رأيت صدر رسالته بالكلام  
 على حقيقة النسخ واختار القول بجوازه عقلا وشرعا ووقوعه في الشرائع  
 الالهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه انكر  
 وقوعه في القرآن فعلا وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة  
 النسخ الى تقسيم السنة الى قسمها فعلية وقولية وكل منهما الى متواتر  
 وآحاد تمهيدا لما خلاصته ان القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل  
 به بعد زمن رسول الله (ص) وزعم ان السنن القولية مطلقا انما هي شريعة  
 وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعل ذلك بالنهي عن كتابتها  
 وزعم ان النبي (ص) واصحابه لم يعاملوها بالعبادة التي عومل بها القرآن  
 قصدا منهم لان تندر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها  
 هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل  
 وقبول ما كان متواترا من ذلك لا ما نقل آحادا سواء كان سنأ أو  
 صحيحا أو مشهورا أو مستفيضا  
 وحيث كان ذلك مخالفا لدين الاسلام فيما أعتقد به

الأحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف  
لجاهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبها بل  
مخالف لما عليه مدار الاجماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب  
ان احدا من عرف بالمعلم والعقل كحضرة الدكتور يخالفني وينازعني في  
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد  
بمعني حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ  
الدكتور فيما كتبه في رسالته مما رأته خلاف الصواب لما عرفت من حسن  
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادته

والتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الأمام ،  
لا تباع حقيقة الاسلام ، منشي المنار مولانا حضرة السيد محمد وشيدرضا  
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره، وان يسقط ما فيها من  
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشركنا في صالح دعواته، ولنعلم ما كنا بصده  
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

### ﴿ تذية للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة  
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكافنا استخراج منه اذ ربما تمر الشهور  
ولا نجد وقماً النسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فيفصل بينها في الكتابة  
فيبتدىء كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحاً . ومن علم ان في عبارته  
غلطاً فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على علائها أو أهملناها

## الفصل الأول (\*)

( مكة وحالة قريش الاجتماعية عند البعثة )

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن العمران ، في واد غير  
زرع ، لا تنساب فيه الأمواه ، ولا تكتشفه الحدائق ، ولا تقوم الصناعات  
فيه دولة ، ولا يجد مبتني الزخارف لديه مجالا ، ولكن أبداه الله جمالا  
مضويا ، وكساه جلالا روحانيا ، فالأفدة تهوى اليه ، والظلماء تزجى له من  
كل فج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشهيرة التي لا يجرى  
اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واحة في القطعة المسماة الحجاز  
من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سهوح جبال محيطة بها  
لم نقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الأيام التي نشأت فيها خديجة  
ولكن عدد مقاتليها لم يكن يتجاوز الاثنين في الغالب فيمكننا ان نحزر  
أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد أب واحد قد ورثوا  
باستعدادهم لا بنسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم  
من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري  
فهر بن مالك الى مكة ويزاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان  
صارت لهم خاصة

(\*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره  
مجهولاً عند المشتغلين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع  
عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرّفوها  
ويحجون إليه ، ويتعارفون ويتعاطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرفة تضم بين تلك الجبال الميية أمة صالحة  
الاستعداد للرقى متى أريت طريقه كما تضم الصدفة جوهرة لا يظهر بهاؤها  
ورواؤها حتى تعالج بمض المعالجة وتزال عنها القشور أما من حيث  
الحضارة فلم تكن كما يتظر ابن حضارة هذا المصر من البلدان وإنما  
هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة واللين ومستوفة بمذوع النخل خالية  
من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق الى يومنا هذا لم يزد على طول القرون  
الا تشریفاً وتكريماً ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة  
والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشماثر التي حوله وإنما بقي  
هناك زيادات ومحسينات اقتضتها الدواعي

ومكة معدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العلية العثمانية بيدانها لم تحرم  
حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده  
فيها وفيها حولها نفوذ تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب  
لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة  
جرم كانت دفنتها ثم احترقها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص)  
وكان ذلك من منافع عبد المطلب لأنه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت انصرف الحاج اليها . ولحق زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شرف عبد المطلب بتسهيل الماء على الحاج فاذا تأملنا في حرص القوم على مثل هذه العناية بالفراخ وابتناء السبيل نعلم شيئاً من روح تربية الهمم وترقية المواطنين في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيداً مرأه لها في مجتمهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الامور العمومية فيما بينهم فكانهم كوتوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام وكان أمر هذه الجمهورية الفريية الوضع سائراً على منتهى النظام ولكن لم يكن هذا النظام لسراً في ترتيب هذه الجمهورية فانها لا يؤمل منها في حد ذاتها ان تهر نظاماً بالغاً منتهى الجودة والقوة وانما ذلك أثر من آثار تربيتهم العمومية فالأخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم منطوروون على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نهده له نظيراً ان كل فرد من أفراد تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى سطوة جبار وكل منهم في أمن من فوات الحقوق واعتداء الحدود . الجنايات قليلة ، وكرامة الناس محفوظة ، والآداب سليمة ، والحدود غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة الفطر غالبية ، والمزايا التي بها كمال الانسانية راجحة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام الغريب وتوقيره ايام وتوقيه اذاهم نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن والصلاح في هذا المجتمع كان فيه عيوب فاذا أزيلت يصبح اول مجتمع

راق في الدنيا وخليتها ان يفيض على جيرانه من بركات العقول التي اشربت  
بديع جماله، واشرايت الى عظيم كماله، ثم نالت الى تعريف العالم بما اكنت  
تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول المنيرة والارواح العالية  
وقد وقع ذلك فن الذي منه تنشأ الاسباب واليه ترجع الامور قد  
اتاح لهذا البلد الجمهوري من ينظفه من تلك الميوب التي اشرانا اليها فكان  
بمد ذلك كما هو المنتظر منه أي تم ظهوره فصار مشرقاً لنور عظيم بلغ مشارق  
الارض ومغاربها فأخذ كل قوم منه بقدر استعدادهم  
اما الجمهورية التي اشرانا الى انها كانت في هذا البلد فقد اقلوها على  
على أساس يأنون معه من الزلزال وذلك انهم رأوا الشرف انتهى الى  
عشرة رهط من عشرة بلون لاشتهارهم بأعمال مجيدة، ثم اجتمعوا امرهم  
على ان يكون النظر في الاءور العمومية من خصائص هذه البيوت  
المشرة وراضوا على ان يكون لكل بيت من هذه المشرة وظيفة يختص  
بها تعد من مناخره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم  
الاشراف وبذلك أعطوا الالمال التي يجذبها الفرد أو الاسرة حقها من  
التكريم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم  
وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على  
وجود التضامن الذي هو أحد الاركان التي تحفظ بها سعادة الامم .  
أما الشورى فقد وفرها منهم حظها، وعظموها في أنفسهم حقها، وبها  
كأوا يشرعون ما يشرعون من الاحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون  
في بعض القضايا والحقوق  
وقد ألفوا الرئاسة العامة من بينهم كأنهم عدوها لنوا إذا صدقوا



في تضامنهم وصلحوا في تشاورهم وارايتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض تضامنهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بمد ذلك كثرة الفشل والشقاق وسقوط الهية من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقربين . أو أنهم أنفوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أعضائهم نفوس الملوك وجمهوريتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيمون واحداً في وظيفة رئيس عام مؤقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فعلاقتهم الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت حسنة ولكن هذا لم يقدمهم عن أن يكون استمدادهم تاماً لما ينزل بهم فان نزل بهم ما يطيقونه كشفوا الأثم عن قوتهم وبرزوا من غير تريث وان نزل بهم ما لا قبل لهم به تريثوا وعمدوا الى الاناة وفتقوا من الحيلة أو ابا يخرجون منها الى السمة من الضيق ومن قلّ الجيوش بالحسام الى فلها بالبيان وقد أعطوا من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضاقوا بها ذرعا هجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان تلب على بعض بلاد اليمن فقددهمهم بجيش عظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقاتله تبعد المطالب جد النبي (ص) وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابله ولطف ببعض الشيء من حديثه التي كان بها مسوقاً لهدم « بيت الله » على زعمه لاسباب فصلها رواية الاخبار ثم أصابته داهية سماوية فقتل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا البلد ما لم يكن يخطر له في بال

نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجيباً من الأمر وذلك

انه لما اتام أرسل اليهم رجلاً حميراً كان معه اسمه حناطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قریش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به ابرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حرب به قال حناطة انه أوصاني ان يريد مواجعتك ان لم تريدوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حناطة اليه فلما رآه ابرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله أن يقول ما يبدو له فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم معارضة القائد في أمر هذا المبد وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا ابناً قال ابرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أنتكلمي في الاموال وتترك بيتا هو دينك ودين آباءك فأجابه عبد المطلب اننا نحن أرباب المال وأما البيت فله رب هو سيمنه فقال له انه ما كان ليمتع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الا بل على عبد المطلب وبقي مصرّاً على عزمه ورجع عبد المطلب على قریش فأمرهم ان يقتصموا بالجبال، ولا يأتوا أمراً حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية الفيبية ما لم يكن في الحساب فان ابرهة لما أصبح وتهاياً لدخول مكة برك الفيل الذي كان يركبه وحرز واتوا كل باب من أبواب الجبل ليقوم ويمشي تلقاء مكة فلم يقم ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشاهم ابرهة وتذكر ما اندره به ذلك الرجل الجليل السني

الطلحة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلينها عقله فمحدث في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه بالسلم ورموا عقله بسهم نافذ من يان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه بحجارة من سجيل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية وأشهرها ، وفي عام هذه الحادثة ولد النبي (ص) وقد سموه عام الفيل لما ذكرنا من قصته ورجال هذه الحملة قد عرفوا بعدها باسم أصحاب الفيل وقد أشير إلى مجمل هذه الحادثة في القرآن المجيد

## الفصل الثاني

### (بيوتات قريش وخصائصها)

أما بيوت شرفهم العشرة فهي :

هاشم ، وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وثيم ، ومخزوم ،  
وعدي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الأمور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ،  
والعمارة ، والمعقاب ، والرفادة ، والحجابة ، والسدانة ، والندوة ، والمشورة ،  
والاشناق ، والقبعة ، والاعنة ، والسفارة ، والأيثار ، والآوال المحجرة ،  
هذه الأسماء أكثرها اصطلاحية يحتاج إلى تفسير يوافق العصر  
الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميناه جمهورياً على  
حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تفهم من اللفظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد ان العناية بهؤلاء الغرباء وتوزيع المياه عليهم من أهم الامور العمومية في ذلك الظرف وكان بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما العارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام سفيه قبيح أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم العباس صاحبها

وأما المقاب فهي راية قریش كان من شأنهم فيها انهم يحفظونها في بيت من البيوت المشرفة فاذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على أحد منهم اعطوه راية المقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الاية من خصائص بني أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

واما الرفادة فمنعها الاسعاف وكانوا يجمعون من أتقنهم أموالا لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت الرفادة في بني نوفل الذين منهم الحارث بن عاصم صاحبها

واما السدانة والحجابة فمنعها خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه والظاهر من هذه الوظيفة انها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية مشترك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه قد كان عند القوم من أهم الامور العمومية في مدينتهم وجمهوريتهم وقد نستطيع ان نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين في الامم المتقدمة اليوم ولا يخفى ان وظائفهم من متمات مدينتهم، ولان

يتولونها شأن يذكر عندهم ، وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار  
الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها  
واما الندوة فمنها ما ظهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في  
بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس يبيد عن الصواب  
اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت  
هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة  
ابن الاسود وكان من شأنهم في هذا الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا  
يجمعون على امر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه  
واقدم عليه والأخير وكانوا له أعراناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق  
المساعدة من حمل مفرماً اودية وكان النهوض مع صاحب المفرم لجمع  
المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر  
اذا نهض مع أحد صدقه قريش واعانوا من نهض معه وان نهض غيره خذلوه  
واما القبة فأشبهت بنظارة الحربية ولكن كانوا يمدون اليها  
وقت الحرب فقط واعل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستعدادهم  
لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبة فيجمعون اليها  
ما يجهزون به الجيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم  
خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فمماها رئاسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي  
ايضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك الفاتح العظيم القائد العام في

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أظن تاريخ فنّ التبعة اليوم يخلو من الاستثناس بذكر تلك التداير المخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بمد شوب نارها وتماظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشهير بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم

وأما الايسار فهي الأزلام والقذاح كانوا يضربون بها اذا أرادوا أصراً وكان هذا من خرافاتهم وعيوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كانوا عليها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماح من المعتاد أو بترويج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جمع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلتهم ويصح أن تسمى هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان بينها تشابهاً . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولي النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة .  
واما الامور الجزئية التي كان الافراد يختلفون فيها فتفصل فيها كبار اسرهم وعشائرهم في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريعة مكتوبة

وانما كانوا يتصرفون في الامور كما يبدو لهم الصواب فيه ويتصرفون  
الامور باشباهها

وهنا يختر في بال القارئ أن يسأل عن الضيف الذي لا يأوي الى ركن  
شديد من رهطه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي  
لا شريعة فيه مكتوبة ولا قوة صومرية من شأنها وخصائصها دفع القوي  
عن الضيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها  
ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضيف والندود  
عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قريش اجتمعت في دار  
عبد الله بن جدعان الشهير وتماهدوا وتماقدوا على أن لا يجذوا في  
مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه  
وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف  
الفضول وكانت الارهاط المتماقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن  
عبد العزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

نم كان من النقص في نظامهم ان لا تكون حماية الضيف من  
خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضيف بأن يجيره  
واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا  
يجسأ حدان يعني عليه

ويمكننا ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون اساسي  
الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر  
في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع  
فيها ان يحتفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجناية فلا يجوز اهلها وتركها من غير ان يتولى الفصل فيها أناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة ان تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في العنصر والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مانعاً من كثرة الجنايات واذا اضيف الى ذلك صلاح الاخلاق والتربية العمومية كان هذا نم الظير على تقليل المدوان وقد كان القوم يتواصون باجتنااب الظلم ولا سيما في البلد الامين ومن وصاياهم في ذلك قول احدى نسائهم توصي ابناؤها:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ولا يفر منك الفرور

أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما بنيت بمرصتها قصور

والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وتواصبهم بالهي عن الظلم يفرينا يتعرف فلسفة القوم التي كانت

تحتمهم على مثل هذا

### الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا أنهم طرقتوا كسائر الأمم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبدأها والى أين متنها وماذا يزكيا وماذا يدسبها نعم طرقتوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل الى



هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كنعيب الا كثيرين ظنوناً  
ورجماً بالغيب

أدر ك القوم ان للعالم خاتماً ومدبراً هو الذي خلق السموات والارض  
وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول  
سوام انه تستحب الرغبة اليه والرهبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا  
فتركوا همنا العقل والتفكر وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوئاناً  
وقالوا ان تعظيم هذه الاوتان يقرب الى الله لان هذه الاوتان تماثيل أو  
كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة  
يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يجب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم  
ان تنزيل العقول الى تعظيم هذا الجماد ( بهذه الصورة ) تعظيماً قلبياً يرضي  
الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخيلهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى  
وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودة الالهة القبوم  
ولم يكن جائزاً ان يشر كوا به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله  
فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك  
وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً يعلمهم ويزكهم ،

غلطوا في كل هذا وتسفت فيه عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للعالم  
صانماً مدبراً عظيماً هورب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه العميد قدر تق  
على ما فيه من الذم والبعء عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه  
أعد لها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاغتادية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشيء في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم بالجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تحت على مثلها الديانات من البر والإحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضيف وترك المدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تعظيم الجماد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يبعد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الأتقيلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بنزعات الوثنية لا نجد من بعدها هذه العقول مظلمة وهي التي اضاءت لهم فمرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاسدة ولم يكن يوزم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم التي هي أقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان للقوم عقولا صافية لما رجي لمحي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في اللوح النقي ولكن الرجاء بالقوم في محله فانه لما جاء المرشد لتي أراضى في منتهى الاستعداد لما أراد أن يلقى البدار والى جانبها أراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالتقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضي كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البدار

لا يهولك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يعتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يمتدنون أمثال معتقدات القوم  
فوا أسفاه ان هذا العيب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال  
جنوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة  
كيف أقامت لها شأنًا رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في  
جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت  
بمقوق حجاجه من ستائهم ورفادتهم ، وقامت بمقوق المستضعفين فيه  
من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل  
والاحسان حتى رضي العرب بتقديمهم عليهم اذا قدموا وايام لأمر  
عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى  
ناصرآء . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في نقاء القلوب آية ، وبلغوا  
في صفاء العقول الفاية ، والأمة والشعوب تحيي بأفراد وتموت بأفراد

وإذا سخر الإله سيدياً لانس فأنهم سعداء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حرمتهم التي كانوا عليها فأنهم  
لما خلاصوا من تملك أحد عليهم خلصوا من شرور كثيرة تتبع التملك  
فكانت معاشراتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت  
مكاسبهم لا تقسم لا يشاركون فيها مشارك ولا يعرفون المغارم المرتبة  
والاتاوات المنروبة

وهم في أمن من حيف القضاة لانهم انهم يتحاشون يوم يشاءون الى  
من يرضونه من كبرائهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية ترتعد من  
أحكامه فرائضهم وانما يحشون بأس بعضهم فيرتدعون عن الشر الذي  
يثار له السوم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يعيب دينهم  
الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور  
والجزاء الأخرى وبعضهم انصرف عن عبادة الاوثان وبعضهم ميل  
الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا  
ولم يكن لديهم نوع من المبايعات حراماً بل يبيعون ويشترون كما  
يشاءون وكل منهم عارف بمصلحته ولهم همة في التجارة والرحلة فيها الى  
الشام وغيرها في الصيف والشتاء

أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والغالب ان يكون  
الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتياز الرقيق واحتقاره  
وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأنف من إكراه امائه على  
البناء ليأخذ ما يعطين في سبيله

أما نساؤهم الحرائر فلم يكن جائزاً لمن الزنا ولا سيما اذا كان لمن  
بعولة يدياته لم ينقل لنا انهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى  
رأي أهليهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن  
أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت  
تامة ولذلك نعجب من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يرثوا لحال الرقيق  
ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كساء كساهموه ربهم  
الأعلى، الذي خلق فسوى،

بغير عبادي الذين يستعملون القول فيقولون أوتيتك أولئك الذين هداهم الله وأوتيتك منهم أولاد الألباب

# المعجم

١٣١٥

بوقني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يلي ذلك إلا أولاد الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام سوى رة متارة و كنهان الطريق

مصر الجمعة ٣٠ ربيع الأول ١٣٢٦ - أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨

## باب تفسير القرآن الحكيم

(مقبى في الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٨: ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَصَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

(١١٩: ١١٥) هَاء تُمُّ أَوْلَاء تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كَلِمَةٍ، وَإِذْ لَقِيتُمْ قَوْمًا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنْمَالِ مِنَ الْغَيْظِ، قُلْ مَوْتُوا نَفْسِكُمْ إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٢٠: ١١٦)

إِن تَسْتَكْبِرُوا تَسْتَكْبِرُوا حَسَنَةً لِّسُوهُمْ وَإِن تُسَبِّحُوا حَسَنَةً يَّرْحَمُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، إِنِ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُخِيطٌ

قال الأستاذ الامام ان الآيات السابقة من اول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والنسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات ( ١ ) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة الى الثقة بهم والافضاء اليهم بالسر واطلاعهم على كل امر منها المخالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضاة ( ٢ ) ان الغرة من طباع المؤمن فانه يني أمره على اليسر والأمانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليدا مالا يظهر له هو وان كان ذكيا ( ٣ ) ان المناصين للمؤمنين من اهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفاء نور الدعوة وابطال ما جاء به الاسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأييد الحق . فكان الهمان متباينين ، والقصدان متناقضين ، ( ثم قال ) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكر فهي لا شك مقتضية لان يفضي النسب من المؤمنين الى نسيبه من اهل الكتاب والمشركين وكذا المخالف منهم لمخالفه من غيرهم بشي مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حدا لا يتعدونه فقال

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ الى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة الثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الألو وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الاصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأمرض التي تؤثر في المنخ فيختل ادراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »

على معنى لا أمنك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من العنت وهو المشقة  
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

أما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من  
السلميين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلق في الجاهلية فأنزل  
الله فيهم نبيهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد  
أنها نزلت في المناققين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي  
وجهاً ثالثاً أنها في الكافرين والمناققين عامة قال « وأما ما تمسكوا به من أن ما بعد  
الآية مختص بالمناققين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فإنه ثبت في أصول الفقه أن  
أول الآية إذا كان عاماً وآخرها إذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً  
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

وأما المعنى فهو نهي المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين  
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعوت للبطانة هي قيود  
للنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو أن النهي خاص  
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو أنهم لا يألونهم خبالاً وإفساداً لأمرهم  
ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي  
تمنوا عثم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت  
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم  
لكم من كلامهم . فهي لشدة ما يعوزهم كتمانها وبعز عليهم اخفاؤها على أن  
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع  
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم  
إليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك إذ لم يكونوا على علم  
بطبائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين  
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لخباته وسوء عاقبة مباطنته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديه وأسمى إرشاده؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليقات والقيود فظنوا أن النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلباً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسيما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى - وهو منزلها - يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التغيير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فاتهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد انقلبوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم ( كفتح الاندلس ) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبد الأبد؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ولا تروي غلته الرواية . فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قادة القائل بأن الآية في المناقنين ويؤيد رأيه الموافق لما اخترناه مانصه: «ان الله تعالى ذكره إيمانى المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالنفس للاسلام وأهله والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما بإظهار الموصوفين بتلك العداوة والشأن والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهام الله عز وجل عن مخالته ومباطته فغير جائز ان يكونوا نهبوا عن مخالته ومصادقته الأبعد تعريفهم إياهم إما بأعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفوهم بها . واذا كان ذلك كذلك وكان إيدا المناقنين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار ( أي كما قال قتادة ) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن



اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعمت الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المناهقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار من ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل « اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبنى النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء ائتمانه لهم لمكان الهد والمخالفة ويمنع ان يكون مراداً به جميع الكافرين أو المناهقين

فهذا حكم من احكام الاسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف انه في هذه القيود التي قيد بها يعد متهمي التساهل والتسامح مع المخالفين ، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الا من ظهرت عداوتهم و بغضاؤهم للمسلمين ، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر ، وطريق المنذر فيها أظهر ، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الاسرار ويستمان برأيهم وعملهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل ( ٦٠ : ٨ ) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبرؤهم وتسقطوا إليهم ان الله يحب المتسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتولم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى (٣: ٢٨ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله) (١)  
 هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفتان الآخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك الى ان قتل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رمتي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الاستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي نفسرها نوردناها برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها ( قلا من الجزء الثاني من تاريخه ) :

\*\*\*

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعة والجيوش العاملة والاهب الوافرة والأسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة الا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولورأي وحكمة يعهدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الخلق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوطئون طرق الامن ويسطون بساط الراحة ويرفحون بناء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها على أجنحة السياسة القويمة الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بحبة البلاد طافحة بالمرحة والشفقة على سكانها وحتى تكون

الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم وزاجرا عمالا يلقى بهم وعضاضة وألما موجهاً عند ما يمس مصلحة المملكة ضرر ويوجس عليها من خطر لئيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال ووظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليلا الى فساد كبير في الملك . فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنحة الواقية والقوة الغالبة .

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بتقد النفود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرفنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفياء تهتمهم حاجات الملك كما تهتمهم ضرورات حياتهم . لا بدان يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق وقلما يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً وجهل له من هديه مرشداً وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها لا يجد لها من علة سوى الميل من قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والرحمة والحمية والنهرة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ ووشيخ يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرب بزاعي نسبه اليها ونسبتها اليه ويراه لا تخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحرمة ( راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين ) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تناله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الأرزاء يصيبه سهم منه خصوصاً ان كان ييده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظها ( حينئذ ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمنه من المنفعة أو يخشاه من المضرة

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتزيق موقرة في نفوس المتظنين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدين الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلا من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحية على الملك ومنشآن للغيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فثلهم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالي أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل. هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذي ينسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم بدهاهة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الخذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يبلي شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالهم هي لهم يقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرائتهم من أغراض آخر فما ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأهمهم يهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها ( كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والخطيئة ) ومن تبع التواريخ التي

تمثل لنا احوال الامم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خلقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقمهم وما كان شيء من أعمالها يبدأ اجنبي عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول النصر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء الى الوظائف السامية في أعمالها، فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طبيبتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطراً النقص على شفقتهم ومرحمهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك اذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضرره أخف وأقرب الى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجناب لهامات الأمور في البلاد لان صاحب اللحمة في الأمة وان مرضت أخلاقه واعتلت صفاته الا ان ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فاذا أساء في عمله مرة أزعجه من نفسه صاح الوشيجة الدينية أو الجنسية فيرجع الى الاجان مرة أخرى وان ماشد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات اليها ويميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الاسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكلوا أعمالهم من كتابة وادارة وحماية للاجناب عنهم بل زادوا في موالة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالصفائن والأحقاد الموروثة من اجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب انهم اذا ائتمنوا خانوا ، واذا عززوا أهانوا ، يقابلون الاحسان بالاساءة ، والتوقير

بالتحقير، والنفقة بالكفران، ويجازون على اللقمة باللطمة، والركون اليهم بالجفوة،  
والصلة بالقطيعة، والثقة فيهم بالخدعة.

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لاتنقض؟ ألم يأن لهم ان  
يرجعوا الى حشوم ووجدانهم؟ ألم يأت وقت يعلمون فيه بما أرشدتهم  
الحوادث وودتهم عليه الرزايا والمصائب؟ ألم يحزن لهم ان يكفوا عن تخريب  
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم، ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب  
عنكم؟ «هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم» قد علمتم شأنهم، ولم تبق ريبة في أمرهم،  
«ان تمسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها» سارعوا الى ابناء أوطانكم  
واخوان دينكم ومثلكم وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير  
عون وأفضل نصير، اتبعوا سنة الله فيما أهلككم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين،  
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل  
سافلين، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تحجروا؟ الى متى الى متى إن الله وإنا اليه راجعون» اهـ

\*\*\*

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة  
للقائمين بأمر الملة، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة، وان لم يكن هؤلاء  
الغرائب متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك  
ينت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ  
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تبين حال المؤمنين معهم :  
﴿ هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا  
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من أثر الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم  
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وقتي عنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي  
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم او في طائفة منهم ( ٥ : ٨٢ )  
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ( الخيفي اولئك اليهود المجاورين لهم في  
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا اولئك اليهود الغادرين الكائدين وقرار القرآن  
اياهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتاناً بل تعصبا خروا عليه صما وعمياناً

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آنفاً ( ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ) بل هم قسوس اوربا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهتم الاسلام - والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام - بالتعصب والبغضاء المخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقصت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرقة من بحر تعصب اوربا ولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام اولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فمعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى ايمانكم هذا . وذكر بعضهم ان جملة « وتؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم؟ فأنتم أحق بغضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير: « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الأيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الأيمان، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة: قوله « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن يحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراءه. » حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه » اه  
 فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر وللمنافق منها له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

وتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لاخوانه البشر على قدر تمسكه بالايان الصحيح وقر به من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فهنا نحتاج على من يزعم أن ديننا يفرينا بغض المخالف لنا كما نحتاج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفتهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى التعصين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين .

ثم قال تعالى شأنه ميثا الشأن طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الامة  
 وكونها كشخص واحد ﴿واذا تقوم قالوا آما واذا خلوا عوا عليكم الا نامل من الغيظ﴾  
 كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقا وخداعا ومنهم من كان يظنه ثم يرجع عنه ليشتك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (٥)  
 واذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الغيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفى سبيلا . وعض الا نامل كناية عن شدة الغيظ ويكنى به ايضا عن الندم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الاعزة وقوة وانتشاره وقال ابن جرير «موتوا بغيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واتلاف



جاعتهم» فليعتبر المسلمون اليوم بهذا لعلمهم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء

الابزوال هذا الاجتماع والائتلاف وبالفرق بعد الاعتصام ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ فهو يعلم ما تصم صدوركم من شعور النفيظ والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بعضكم لبعض من ذلك: ويعلم كذلك ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حسدكم وسوء طويتهم ﴿ان تمسككم حسنة تسوؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ المس في الاصل كالمس والمراد بتمسككم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ المس في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوؤهم ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما عس باليد وانما يفرحون بالسيئة اذا اصابت المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فهمي ولكن رأيت صاحب الكشاف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع تفسير أبي السمود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايدان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او مضموية وأعظمتها انتشار الاسلام ودخول الناس فيه وانتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة وحماية وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به » فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محلته وأبطل حجته وأظهر عورته» فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي

يدفعهم اليه الحسد والبغضاء فقال ﴿وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتقفوا اتخاذهم بطانة ومواليتهم من دون المؤمنين لا يضركم كيدهم لكم وهم بمنزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكليف وامثال الأوامر عامة وتقفوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم — ومنه اتخاذ البطانة منهم — لا يضركم كيدهم . و « يضركم » بتشديد الراء من الضرر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضركم » بكسر الضاد وسكون الراء المخففة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس ، وحبس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعامله وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خلطائهم وعشرائهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بفضائهم وكيدهم حسن ان يذكر بالبر على هذا التكليف الشاق عليهم وبقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وبقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحجة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال ( ٤١ : ٣٤ ) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجوز دفع السيئة بمثلاً من غير بغي ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فكشوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اعانوا الاحزاب الذين تحزبوا للإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتمذرت موادتهم واستمالتهم بالحجة وحسن المعاملة فكان اللجوء الى قتالهم وإجلائهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الاستاذ الامام ماثله: المحيط بالعمل هو الواقف على دقائقه فهو اذا دل على طريق النجاة لعامل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم فأنما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتماً ، والوسيلة المؤدية إلى النجاح قطعاً ، فالكلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتمسك بالقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعاً - يعني على قراءة الحسن و أبي حاتم « تعلمون » بالمشاة الفوقية أو على الالتفات - ومن كان عالماً بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائج وغاياته ، فهو الذي يعتمد على إرشاده في معاملة أحدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يناهضه ويناصبه فهداية الله تعالى للمؤمنين خير ما يلفون به المآرب ، وينتهون به إلى أحسن العواقب .

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلقها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى ( ١٢ : ٦٥ ) احاط بكل شيء علماً ) وقوله ( ١٠ : ٣٩ ) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ) واما الإحاطة بالشخص أو بالشيء ، قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو أي اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى ( ٢ : ٨١ ) واحاطت به خطيئته ) وقوله ( ١١ : ٩٢ ) إن ربي بما تعملون محيط ) وقوله ( ١٠ : ٢٢ ) وظنوا أنهم احيط بهم ) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دللكم بامعشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فعليكم بعد الامثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة قدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله ( ٤٨ : ٢١ ) واخري لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تقفوا به وتتوكلوا عليه .

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله « ها أتم أولاء » أصله اتم هو الأء تقدمت أداة التنبية التي تلحق اسم الإشارة « أولاء » على الضمير . ويقال في المفرد « ها أناذا » وعلى ذلك قفس . واعرابه : ها للتنبية وأتم مبتدأ وأولاء خبره وتجويزهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاء اسم موصول وتجويزهم صلتاً

## اليمن

## سبب فتنتها وامام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوروبا تترصد بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود وهم على بقاء عيظاتهم الجذبية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الفائرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لانزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ولا للقبعة كما علمت المصريين فهم يمتنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والظلمة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنار من قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن امر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخرت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ماهي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوروبا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضرت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجود إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ولسكنهم مع ذلك يمتنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم حاولت الدولة غير مرة أن تقيم المحجة الشرعية على هؤلاء بوجود طاعة

السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي يغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مفتي حمه المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

### حجج المنصور بالله محمد بن يحيى حيد الدين

( عصمتي بالله وما توفيقي إلا بالله )

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف بركهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفله الغافلين ، فهم بحور العلم الزاهرة ، وبجوامع الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالجلب الأقوى ، واعداد على محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وحلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابه الذين اتبعوه بعدماته وفي محياه ،

أما بعد فإننا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وأنه وافانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومستور رائق فحيم ، افاد معرفة بحق العترة النبوية ، والسبالة العلووية ، بماورد فيهم من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة المروية ، ودوان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وافاد اسمه الله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاثلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات الين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضالرب الأرباب ، وان السلطان الأعظم من أقام الله به الدين ، واتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومناذرة الأشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقع الفجار المعتدين ، وان القطر اليماني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وان سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فقول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكاب الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الأكراد والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبتلنا في الجهاد جهدا ، امتثالا لقول الله عز وجل « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « وتكن منكم يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خيامة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفا مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر او ليلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل تتوخى ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفعت اليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبائح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من أتباع شريعة سيد الانام ، فبات الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحججة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالتخيرات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدأ كتاب الله وعتري اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفينة نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أئين للحجة ، ووضح للمحجة ، لاما خوفتنا به من القتل والنكال ، فانا اهل بيت لا تزغزعا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال

على ان قومي يحسب الموت مغنما وان فرار الزحف عار ومغرم « آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا في غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم

من بعده « ان تصبروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وزيد ان نحن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقبة للمتقين » وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا اطلع الفجر صباحه « ومساجدنا مصورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل « ولا نفتخر كثيرنا بالآلات الحرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبرأ من الحول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الامامة والنبوة

مفارس طابت في ربا الفضل فالتقت على انبياء الله والخلفاء

اذا حمل الناس اللواء علامة كفافهم مشار التمع كل لواء

فقد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك افعال اعدائنا « فاي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون « ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولنهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفي جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه « بقل لا اسألكم عليه « الآية .

ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال « وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سلمتم » وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله واولئك هم الصادقون » قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين « يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار « فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر



الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخريف بالمخلوقين كما قد قبل  
جاء شقيق عارضا رحمه ان بني عمك فيهم رماح  
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والأفوه عندنا من اعظم  
المسالك ، حننا للدماء ، ورفما للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية سوء والحن ،  
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي المؤمن ، وان يبيدنا من نزغات  
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .  
وكان اللاتق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك  
التي بأيدي الكفار وقد اضر بوا عنها صفحا ، وطوا عنها كشحا ، وما سارعوا لغير  
مملكة اليمين التي بأيدي اولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم  
الله ، فها جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ، اللهم اشهد وكفى  
بك شهيدا ، اه

(المناج) نسمع الدولة هذه الاخبار وقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال  
الجيش الى اليمين فاذا توالي انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة  
على امام الزيدية! الم نعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في  
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت  
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين  
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنطفى نار الفتنة ، وتخضع اليمين للدولة ، فاذا اعوز  
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبع اليمين في الخروج عليها ، او  
الخروج من سلطتها ،

## المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي  
القريني وتقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة  
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين وقد جمعت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث « مواد » نذكرها بنصها وهي :

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية وبما داخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رفاههم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيا كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجمود على كتب متبناها محال ولذلك جريتنا في المنار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لان المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها ( بحث في المؤتمر الإسلامي ) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه ( ص ٦٨٠ م ١٠ )

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونفي بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

« ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني والسني وغيره

السلفي والشيخي والأباضي . ومن السنة الحنفي والمالكي النخ ومن الشيعة الجعفري والزبيدي ، فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به . كتبنا هذا لتبنيه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نحاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقيد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلقنا عنه انه ممن ينكرون على المنار الإنحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأينا الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة ،

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نظلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهر كثيرين يعتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشرة والدعوة اليه على رموس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من ماثرات العجب . افلا يحق لنا اذاً أن نكبر اجازة الشيخ سليم البشري جصل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخبير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث ما زالوا أبعدا للناس عن التقليد. ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فاننا سنحتاج الى تحديد ما هو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر ما فيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لا جنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا مما يتعلق بالدين وهذه المسئلة من أكبر المسائل التي نتظر من المؤتمر - ان اجتمع - حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكيا الترك يريد ان يلقي في المؤتمر خطابا بين فيه أن ارتقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لفتودينا وسياسة !! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيروونه عجيبا غريبا ولكن لا يجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية فمن نهد هذا شذوذا وغلوا ويواقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لاسيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا ينظر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل

## الرد على اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فمثل محمد علي وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح ان يتبع في هذا المصير لكان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائماً ولما سألنا لانكرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدمها وارتقائها فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فما بال اللورد يمثل ظلمات الماضي الخالكه كشر تمثيل فهو يجعلها أساساً يبنى عليه سياسته في التعليم؟ اللورد قد قدم المترجمين في كتابه ذمابليغاوين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ محمد عبده فكيف لا يذمهم اذا طلب لبلادهم تعليماً أرفع من هذا التعليم الذي لا يقصد منه الا تكوين المترجمين؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء لامتياز جائر لان الدين كالأيتامون مجازهم في الغالب اولاد الاغنياء، فإن المدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادها القابضون على أزمتهما

لو كانت الطريقة التي أُزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد الفقراء في التعليم المجاني عادلة لكاف من العدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تزرع منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض. لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في إصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة العراقية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبمدهودته رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمسيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة <sup>(١)</sup> فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه «المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة» <sup>(٢)</sup> ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها فجاء اللورد يذكره من بدهه في تقرير ١٩٠٥ ويجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بعد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها . . . . .  
مرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق التصحيحة فلم يجده موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا  
في مجلس الشورى حاول ان يجعل مجلس الشورى وسيلة الى غرضه  
وبرأيه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين  
ولوئح التعليم في نظارة المعارف ( بروجراماتها ومنشوراتها ) علي المجلس  
ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده  
وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية ( وقد بينا ضيف اقوال  
الناظر يومئذ في المناظر ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥ )

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم  
تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجريبية . وقد ذكر في آخر  
تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية ( دار العلوم ) ضيف  
تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضيفا  
فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب  
الشيخ محمد عبده لسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكره ان  
كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب  
ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية:  
فمن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد؟ اللورد يعرف ذلك  
اذا لم يكن المسخطة قد انساها تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج  
المدونة في المحاضر والدواوين الرسمية وكما ناطقة بأن الشيخ محمد عبده  
لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول  
في السبب الاول لمسخطة اللورد علي الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه

افضاء الامتياز الامام مستر بلنت بسبب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقم مستر بلنت جل ما في كتابه ( التاريخ السري للاحتلال ) من عيوب ادارة المحتلين بمصر<sup>(١)</sup> فهو بما يذكر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة. واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واظهار سيئاته؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يعذر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيهاء واللورد في كتابه «مصر الحديثة» مؤرخ لاحاكم فكان يجب ان يتذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعام القبح في اسرائها وعلماؤها وعمالها وجميع اهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق . اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن امانه على ذلك؟ اليس من العدل العام ، أن يدين المرء كما يدين؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاورين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي سرورة يواسيك أو يسليك أو يتوجع  
الآن متى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد، أن يؤاخذ الناس  
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقاتهم ومحبيهم ،  
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند



ما يحدث صديقه ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك  
يتقديدهم أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها  
الشيخ محمد عبده فشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتمني جمال الدين لويقتل  
اسماعيل باشا واستحسان محمد عبده لرأيه . على ان هذه المسألة اصغر من  
القالب الذي وضعها لورد كرومرفيه كاسنييه

بقي علينا وقد بينا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب  
هذا الاختلاف ان نين الحق فيما لمزه به فنقول انه ينحصر بحسب  
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

#### الاولى وصفه أنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان مفطورا على الخيال<sup>(١)</sup> لا يتفق مع قوله فيه من  
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا . ومن الجهة السياسية  
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وازاتباعه اذا نجحوا وسعدوا  
على ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم  
كالجير ونديين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما  
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو عليه . ومن الجهة العملية  
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل  
واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخيالية التي كان يبديها اللورد فيتمدر عليها تنفيذها له لانها  
خيالية لاعملية لعله يعني بها تلك الآلة<sup>(٢)</sup> التي اقترح بها عليه جعل الترية  
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) تقدمت الاشارة الي هذه الآلة

البلاد المصرية وتكون بأمن حتى من التعصب وفتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفه ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي أوضحه أمم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة ( كاقتراحه في مجلس شعوري القوانين لتعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية ) فلماذا يبني الظن بدينه وهل تكون هذه العبرة على الدين لضاف الايمان اولاد اذرين ؟ للورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو متهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية<sup>(١)</sup> ، والآخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه معرا . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لمعيدا كثيرا وأمله بأن يقنعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا العيب وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخييل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهو انه لما كان متهى عرضه من حياته الاصلاح الديني بالتربية والتعظيم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يعبدان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

(١) جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خياليا فالجراح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزانة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد « انني لا أعطي قرشا واحدا للمحاكم الآن » كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال « انه هكذا قال لا أعطي بضير المتكلم وهكذا يقول » فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخياليات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريرا فيه اصلاح للمحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكزراموت الشرع في مصر وإبطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يعد من خيارهم يرى ، طالبتة باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام ، أو من الاماني والاحلام ، ؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك ؟ نعم انه كان للاستاذ الامام ، آمال في حسن مستقبل الاسلام ، قد قد يمدتها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام ، فان منها أنه سينتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام ، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علمها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ « لا أدريا » فانها امال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا ، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الاديان وطبائع البشر نانيا ، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى « ٥٥: ٢٤ » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت أولها بعد ولا بدان يأتي ولو بمدحين وان كان بعيدا » فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا ( قيل انه قد حصل ) من رجل لا أدري ؟؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لو رد كرومرفا تانرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا اشياء معدودة منها بعض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه المجلة من بطائه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان . فطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية واصلاح المعاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجهه الى اصلاح الازهر ولكن كل ما ثبت به من الاصلاح كان هليا وقد تفقد شيء كثير منه كما هو مبدون بالانفصيل في كتاب ( أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين ) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام محل لذكره

نعم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما ثبت به من مبادئ الاصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرون على يانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهداة يهدون جميع طبقات أهله الى ما جهلوا منه ، ولكن المواثق التي اعترضته في طريق الاصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الأولية ، وما أظن ان اللورد كان مطلما على هذا وإلا لما خطر في باله ان يكون الرجل « لا أدريا »

أما المسائل المتطقة بالقضاء أو الإدارة فهدي ان آراء الاستاذ  
الامام فيها كانت تعجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن إلغاء النيابة  
العومية عملاً برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنايات الاخير الذي طالت  
فيه المناقشة بينهما ولكن بعد ان كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه  
وان أكثر النابضين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الامام  
في معارضة المشروع

وما ذهب اليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول  
القبض على السلطين فيجعل الامير وعميد الاحتلال مما في يديه فهذا  
من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما يطلب على ظني

#### الثانية ظن اللورد انه لا ادري

نزالورد الاستاذ الامام بلقب « اللأدري » (\*) وهو قد أخذ من  
ستانلي على أنه لم يجزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة « واخشي » ان  
يكون كذا وترجمها بعض الجرائد « وأظن » ان يكون كذا . وهذا من  
الظن الذي قال الله فيه « إن بعض الظن إثم » وقد قال بعض العلماء  
النابضين من صريدي الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لينفردنا  
من طريقة المرحوم الدينية ولكننا لا نترك ما عندنا من اليقين فيه لاجل  
ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستانلي التي استنبط منها اللورد كلمته هي من  
المسلّمات عندهم فينا وهي « ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احد

(\*) راجع صفحة ٩٤ من الجزء الماضي

١٩٤٤ أبحاث الفلاسفة بالأحد - رأي فاضل انكاري في الاسلام (الخارج ٣ م ١١)

اثنين متعصبا او ملحدان في سره ، وعندنا قاعدة مثلها كنت اسمها وانما  
تليد مبتدي هو هي « ان النصراني التلم ملعدلا دين له فان تعصب لقومه  
وأهل دينه فانما يتعصب لهم تعصبا جنسيا ، وما كنا نسعه من آياتنا  
وبعض مشايخنا : ان مما يتاز به الاسلام على النصرانية المبروكة ان المسلم  
يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم  
العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة  
ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصر للنصارى  
علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزعة عندهم ، فالعلم والمثل تشابه  
في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه  
من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى المجاهرين بالأحد وكثير ما هم  
ولما كان النصراني يعتمد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا  
واعتمادا نظريا ان كان ملحدا كان الملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري  
ان المسلم الطافل المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا  
ولا يعدمون من المسلمين المتفرجين من مجاهرون امامهم بالكفر ويسكرون  
معهم في بهار رمضان فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يملعون ان هؤلاء الذين يظنون  
انهم قد ألحدوا بعد اسلام لم يعرفوا فيما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكار في ذوي التربية العالية فيهم وجرى  
بيني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا  
من شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة  
يقول « ان ما تقول معتول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الأزهر

يقولون به أو سئلوا هذا السؤال « . وقال لي مرة « إن كنت الإسلام ما تقره فالأ مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الإسلام « اني أنا اعتقد هذا فلما إن اكون مسلماً وأما إن تكون كافراً » وقال لي مرة « ما اظن إن احداً يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده » ولا يبعد إن يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت في المنار سؤاله آي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته له من حكمة الصيام وأعجابه به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النمارة للقاء في رمضان وعرضوا علي القهوة سراراً كثيرة فكنت أقول متعجباً أو نسيم اتسا في رمضان؟ فيقولون أو أنت تصوم أيضاً؟ فأقول : أي شيء يبيع لي القنطر ولست صريفاً ولا على سفر؟

ولكن إذا كان الملحد من النمارة هو الذي يظن إن المسلم العاقل لا بد إن يكون إسلامه ظاهرياً وهو يسر الإلحاد في قلبه قبل اللورد ملحد أم هو ملحد لستانلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يريم بالإيمان والعقل جميعاً ؟

قال اللورد بعدما ذكر أنه يخشى إن يكون الشيخ محمد عبده لأدوية وإن كان يستاء من هذه النسبة « فقوله هذا يشرب أنه ذكر أمامه ما يدل علي أنه يظن فيه هذا الظن تصریحاً أو تلويحاً فاستاء وامتنع وأبرأ من ذلك وأنكره وكيف لا ينكره علي اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأوساً منها عنده فكان جل قصده من معرفة رجالها ومداراهم الاستمارة بهم علي خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يردد على الأمير ليستين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستين به على اصلاح الحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه له به فيها . كان يستجديهما معا لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضاهل في طبر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

### الثالثة امتحان قتل اسماعيل باشا

قتل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا هند سرروه على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمدا استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما<sup>(١)</sup> اي لم يكشفا به أحدا لا اعتقادها انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظما ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجة « ان العالم المتمدن كله ينظر بمد هذا الى الوطنيين شررا ١١١ ويحتقر بالاكثر أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرفيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يمدهم من اضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفتدوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألتنا أحد



لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف  
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الاقناني في قتل  
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستحسان تلميذه كعبد مجده المصري لفكرته  
وهو شاب في سن الطلب والتحصيل ينتج وجوب احتقار العالم المتمدن لها  
وللوطنيين المصريين داتها لان تلميذاتهم استعمن من زهاء ثلاثين سنة قتل  
أمير خرب بلاده ومهد للاجانب احتلالها ؟؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال  
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس  
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر بجواب واحد وهو  
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة  
تنافي المدنية ، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين علي مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد  
عبد في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد  
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا  
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة  
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان  
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد  
من الغريب عند الامم الممدنة ان يتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم  
المدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشزوا لان من علمهم  
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة ؟؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط ؟ ما هو  
وابن هو ؟ أليس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرناً من الزمان (٥) ونعني بالرؤساء رؤساء الجمهوريات الذين تبنتهم أقل من تبعه الملوك إن خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون تخيلاً لا يصل إلى درجة العزم، وقد يعزم الإنسان على الشيء حتى إذا ما تم مباشرة واجمع نفسه وثني عزيمته فرجع عنه نادماً، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ إلى تنفيذ ذلك الخاطر؟  
أما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملاً سياسياً فهذا مما لا يجمله لورد كرومر ولا أحد من سياسة انكلترا وفرنسا الواقفين على أحوال مصر الأخيرة، وهم يطمون أنه إذا ترك السعي لقتل إسماعيل باشا فإنه قد سعى لعزله

قال الأستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة العرابية الذي عهد إليه تأليفه الأديب عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل إسماعيل باشا وذكر إرسال فرنسا موسيو تريكو مأموراً فوق العادة ليتعد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق إلى رؤيته (أي إسماعيل) ببدأً عن كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الأهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهرن له الميل إلى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين كلمات ومخاطبات في هذا الأمر فسمى هو والكثير من الأعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

الاسبق بوجوب التازل ( عن الخديوية ) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض  
الطلب لا يفيد وان الدولتين لا بد ان تتالاما تطلبان عاجلا و آجلا والتكر  
فى الحرب رأى طائش فان الناس عموما فى انحراف عنه فاذا حصل حرب  
خذله الجيش فى أول واقعه وكانت عاقبة ذلك أشنع ، وان أمس شيء  
بالصواب أن يحول الامر على السلطان

« ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين الى وكيل دولة  
فرنسا وأبناوا له أن فى مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسمى اليه وأن  
الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم الا على يد وليّ العهد توفيق باشا وانتشر  
ذلك فى القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهى أول مرة عرف فيها اسم  
« الحزب الوطنى الحر » اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن امثلى من  
اولئك الملوك الذين قتلهم العالم المتمدن و آخرهم ملك البرتغال بل ولا من  
اولئك الذين ناروا عليهم وقتلهم ، حاكمة او بنير معاكمة ومنهم شارل  
الاول ملك الانكبار الذي قامت فى وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت  
بقتله . وان اغتيال ملك او أمير مخرب للبلاد ، ظالم للعباد ، مضيق  
للملك ، مهلك للحرف والنسل ، أهون فى نظر الفيلسوف من القيام بثورة  
عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب ، ثم يقتل الملك بعد ذلك  
بمعاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر فى تاريخ « مصر الحديثة » من فظائع اسماعيل باشا كاف  
فى بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين تارت عليهم رحمتهم بتدبير  
فلاستهم وعقلاهم فأين من اسماعيل باشا وليس السادس عشر وشارل الاول

٢٠٥ تمثيل الاستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل (التاريخ ١١٢٢ م)

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العراقية حالة مصر التي زكها عليها اسماعيل باشا تمثيلا لطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب ذلك لحفيده الامير الحال كتابه حاول فيها الاعلام مع توقي الايلام فقال:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دولتا فرنسا وانكلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة ممهما بتعود ووعود عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

– وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي للمالية والآخر فرساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا – وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلطة تؤدي بتنفيذها الى اشهار افلاس الحكومة ، وأدت بالنقل الى انزعاج املاك كثير من ذوي الثروة من الاهلين

– وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا – وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من الغفلة عن مصالح البلاد الى حد لهم كانوا لا يفسون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل النقود من الاهالي بأية طريقة يندس منها شيء في جيوب المباشرين للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض المحتفين به والمقربين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يقدرها دفاع ولا حماية

وانما يراد بها الظهور بمظمة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للمنافع العامة او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجانب كانوا أركان حربها، وعليهم المول في أغلب شؤونها

.. وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والرفه في الميشة تقليداً للمصريين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا لنفقاتهم ميزانا صحيحا يعادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما يتفقون في الذات

.. وبعد ان نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعايتهم لما عليه الاهالي من غنى ووفر واستعمالهم اشد العقوبات في سلب ما بأيديهم ان اضطر الاهالي الى التداين بالربا الفاحش حتى كان صاحب الارض يأخذ من المراي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا ولا يخشى عاقبة فان أمامه القدوة العظيمة وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم يرها بينه

.. وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم يفوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو ذوات الحكومة وأمرائها، على أن ينالوا من الحكومة ما يشتهون في الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكانا من رضى الخديو او بعض

المقربين اليه فكانوا يسخرون الأهلالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون أن يراعي أحد منهم في ذلك نظاماً ولا هدلاً ولا استبقاء منفعة من يوم إلى آخر وتمود الأهلالي على الشكوى إلى الله وحده من ضيق الحال وخمود المزائم وانطفاء مصابيح الرشاد في جميع الطبقات

.. وبعد أن صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يبدأ على نفسه وما بيده ، إذا تكلم تتمتع في كلامه ، وإذا تصد امرأ خطأ إليه على غير هدى ، تلفت وراءه خوف مفاجأة بما يكره . وبعد أن كانت الثقة قد شلت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف القحط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة أخرى من الزمان

.. وبعد أن صارت عيون الناس بأسرهم شاخصة إلى ما عساه ينزل من السماء ليهدم بالموتة على الخروج مما هم فيه . هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مهلكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، ويتعثر فيها العزم الشديد ، «أه المراد مما كتبه هناك

وقد استطرده منه إلى بيان اعتقاد أهل مصر في حكومتهم إلى ذلك العهد ثم إلى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الأفكار وقد نسبت الإشارة إليه . وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وإن شئت قلت من طلبها وأسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل القصد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلاً

عن المبالغة في التبجح والتعير، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، اذا  
مات ذلك الأمير، وتعنى لو قتله احد من اولئك المظلومين المقهورين او  
استحسن تني من تني ذلك؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدها بعض الناس قدحا من اللورد في الشيخ  
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم أنهم «أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم  
وأدنى من المصري المنالي في ترجمته»<sup>(١)</sup> والحق ان هذه العبارة لا  
يقتد منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استيائه واستعاض فجاء شيئا  
بالدم اذ تورم انهم دون الثريدين في علم او فضل ومناها الحقيقي ان هؤلاء  
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف التشدد في المحافظة على الرسوم  
والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المتعالمين في تقليد الافرنج الذين اضعوا  
دينهم وروثهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه  
العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده  
هو الحزب المتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد  
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ  
في بيان المراد الا ان احداها كتبت في حال رضى فقلت المعنى مضيا  
واضحا والثانية كتبت في حال السخط فنشي المعنى فيها غاشية من  
ظلمة الايام

وقد زلّ قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله  
اذا ذكرها يعرق من الخجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صنع

عن الشيخ محمد عبده « طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق »<sup>(١)</sup> وقال في كتاب مصر الحديثة انه عنا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقياداً لتشديد الانكياز عليه في ذلك »<sup>(٢)</sup> فزيادة اتقياده لتشديد الانكياز تقضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكياز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكياز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن يجعل من هذه العبارة اذا قابلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جطت كلامه متناقضاً او متعارضاً وأبانت ان يجابي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما مما كرمنا وطلبنا وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئاً عن تشديد من الانكياز في طلبه لاعن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنها ساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وادارته لمستر بلنت . والمؤرخ المحابي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا يذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسع الرأي



- (٣) كان على علم ونباهة
  - (٤) كان عدوا للخدويين والباشوات غير الصالحين
  - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثر امثاله
  - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
  - (٧) ان له في مصر حزبا مستقلا يجمع بين اصول الاسلام والمدنية
  - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطبيعيون الجديرون بمساعدته
  - (٩) ان له برجراما لجعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً
  - (١٠) ان تقدم اتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه العشر ولا يضرنا معها انه كان لا أدرياً، ولا جزمه بأنه كان خيالياً، ولا إيهام عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما

نم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطاً بين المحافظين الجامدين، والمتفرجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكياء كل فريق من المتفرجين والجامدين يجلبونه مع احترام كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٤٩٥٢) مانصه<sup>(١)</sup> :  
« فأول مزية امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علماً مهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقههم غير ما جرى عليه

المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم ، وكان قائدا للآراء ومديراً للأفكار عند التريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان القديم لا ينفي عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال ، ونقول ولا نحشى في الحق لومة لائم ان التقيد فاق الاقران كلهم في هذه المنزلة حتى اشهد فيها او كاد ، الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لمجلة المقطف ما نصه (١) :

« وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يهيب الكبراء والعظماء لجرد مام فيه او ما أدركوه من رفة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدي بنور علمه المحققون الذين لا يروهم الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثر العلماء وطلبة العلوم الدينية والنوعية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم - وعضدا قويا لآباء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، ومرشداً صادقاً للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها ، » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقطف سقناه الى اللورد لان منتهى

غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده  
وإذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين ( المحافظين والتمرنجين ) فليقرأ ما أتته به الشيخ احمد ابو خطوة أرقى الازهرين علما وفهما وقاسم بك أمين أرقى المتعلمين في أوروبا واللورد يشهد ببوغه وقد اثني عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطورة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا حوالى هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر والمساحم الشرعية تفصيلا وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يروض علينا ما خسرناه بنقد استاذنا الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أسنى مقام يمكن ان يناله انسان في هذه الحياة .... مقام الامامة بأوسع معناها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجراً على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال: «سادتي: ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقيح، والجمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس المتأززة تقرب من الكمال أكثر من غيرها فتتمو زهرة الجمال فيها نموا عجيبا وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها، ومن هذا القسم المتأززة كانت نفس امامنا العزيز، نفس خلقت على أحسن شكل، زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالا في الجمال يجب ان نضه دائما امامنا لتعلم منه» كذا وكذا وذكر بعض من ايا الامام ثم قال «وتعلم منها أيضا مبالغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسه وورباها حتى أرسلها الى اقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق اللورد في الكلام عن رجالنا وننتقل منها الى المقصد الام وهو كلام في الاسلام والمسلمين فنقول

## القرآن والعلم

### ﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتهر بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظعن في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظرفيه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواحيه ، وقد رأيت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

### ﴿ المسألة الاولى ﴾

﴿ الحجر ﴾

قال الله تعالى ( ١٥ : ٨٠ ) وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يخفون من الجبال يوتاً آمنين ) . اعلم

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بترا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالم» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترا» و«سالم» بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالمهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلا رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترا» اليوناني لئوهم انها بفتح الحاء والجيم «الحجر» ونبي على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالم» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالم هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها اهلكهم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه الخطأ والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم كاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترا او سالم وان احداها تبعد عن الأخرى بعدا عظيما فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «ثمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالم ليرى بعيني راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالم . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالم» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما نراه فيها من البيوت كانت قبورا لا مساكن لم يقم دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المنارج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر  
 ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من  
 سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فانخذتهم الرجفة فأصبحوا في  
 دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعا كذلك في اول  
 أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ مقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى  
 (محمد) في هذه المسألة

### مسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام  
 إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)  
 المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت  
 كان خربه تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في  
 زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف  
 إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا  
 يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك  
 مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أمكنة  
 بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه  
 يسمونه مسجداً لم يل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً  
 لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا  
 يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً  
 مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى أورشليم  
 وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع  
 ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

(١) المنار: راجع ص ٦٩٩ وما بعدها من المجلد السادس

فمهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خرباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذ. الب. (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعصل في نفس البيت وإنما يعصل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تدمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكلدانيين فلم يعرفوا أن ما يشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملفقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ۝ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) هم بختنصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) اليهودية أي

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير ( وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم ) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر ملكتهم وفتح بابل واتخذ اليهود من أسرهم وأكرم مشاهيرهم وأحسن إليهم وردد لهم إلى بلادهم فصاروا فيها أعزاً وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فماد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خرباً مختصراً وأحرقوه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (وآمدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيراً) فرجوا من الأسر بأشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبهائم وتحف وغيرها كما في سفر عزرا ( ١ : ٤ - ١١ ) ( ٧ إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ) العقوبة الثانية ( بعثنا عليكم عباد لنا ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد ) أي بيت المقدس ( كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيراً ) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل ونشئت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوربيون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسايين ولاشترأكم في الوصف ( وهو كونهم أوربيين ) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب ( ٥٥ : ٢ ) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأك اليهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فيما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود



وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان  
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشأت اليهود في أنحاء  
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها  
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأبي العامي الناشئ بين الوثنيين  
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده  
كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يقم على تربته معلم وليس له مدارس  
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الاعجاز وعبرة  
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي  
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتي  
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس  
المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا  
كبر الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه ايامهم من الحن والبلايا والرزايا التي  
حلت بهم في بابل التي اطبت كتبهم في وصفها وتعديدها وانذرهم الانبياء بها قبل  
وقوعها ثم صاروا يشرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص  
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب اشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون  
أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم  
ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتي انهم كانوا ينسبون للمسيح  
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم  
كاستشهاد متي (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر  
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح  
٩ : ٢٧ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب  
زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله  
متي في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بناه وبنينه  
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء  
مخلص لهم ككورس وهم إلى الآن ينتظرون ذلك ! !  
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة  
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين  
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه وورغبة منهم  
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم  
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من  
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل  
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً او  
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم ( لها بقية )

## باب المناظرة والمراسلة

### السنن والاحاديث النبوية

٢

#### بمبحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبديل اوغير بدل» واقول ما ذكره  
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا فصيل بالمناقشة  
فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو  
صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين - اما هو في عرف السلف فهو  
زيادة على ما ذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تهديد او

حمل على مقيد وتفسيره وتبينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا - وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيان؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالأحاديث الصحيحة ام ببعضها دون البعض؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الواو امر والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك

واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه « هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ » فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او الاستقبال مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل - بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الأخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لإفشاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة البعث والجمالة اما اذا فر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في النسخ منافاة المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بمدقوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نمحو من آية وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن ابي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القروظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء اما ما ننسخ فما  
ترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم  
وقال السدي ما ننسخ من آية نسخها قبضها قل ابن ابي حاتم يعني قبضها رفضها مثل  
قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان  
من ذهب لا بعتى لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما مؤداه اختيار مذهب المتأخرين  
في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما نقل  
عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من  
انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام  
تارة ولظهوره في باقي معانيه الاخرى ولم يكونوا يحددوا الأشياء بالحدود والتعاريف  
التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والقبض الذي  
هو اعم منه عند المتأخرين فالله جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام  
في جميع انواع الموضوعات والقصص والايثار للاذعان والاعتبار وردا على  
المعاندين الكفار فاذا قامت الحججة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم القلج وعليهم  
الغلبة فالعقل لا يوجب إبقاء الحججة مسطورة مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس  
وابقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال  
المكلفين كذلك التعاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضا - فاذا  
أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لمقتضى والمصلحة  
ثم رفضها على ما لها من الاجلال فائزة بالنص وقهر الاعداء غير متقوضة بريب أو تكذيب  
لا سيما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أيّ جهل  
وعبث يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلننا من يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو  
بنسخ لفظ وابقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستزامه الجهل أو العبث  
وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله  
جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يهب لرسوله  
صلى الله عليه وسلم عن شؤونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعاندي

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبر وابدلها ثم يكررها ثانياً مقتض في قالب عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكما قال تعالى « نأت بخير منها »  
ومما يوضح ذلك ويقر به ماهو واقع في المحكم بين دقي المصحف من ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة ونقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف أحوال المتلقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه ومنهم من يميل الى الاقتصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى واخرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالإعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإساء ما هو كذا فقد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فما ذلك الا ليتحقق صدق قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية ويعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لها ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .  
فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وإنما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تبنا المصحف وجدنا ماهو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « وتحبون المال حباً جماً » الآية — اما ما يذكر في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم — في حديث عبادة رضي الله عنه « خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللثيب اللثيب بالثيب جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية

بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله  
ولنعذالى ما كنا بصدده فتقول: اذا لم يشترط في النسخ المنافاة والمناقضة بين الناسخ  
والمسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق  
النسخ والإلغاء — الآية — ولم يخص بذلك حكمها واذا جاز الإلغاء فالنسخ كذلك  
قال تعالى « سقرتك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا نقص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ  
ورفع لفظ. وابقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو  
خير منه لأنه اذا وعد بإعطاء احد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه  
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها واكملها « ولسوف يعطيك  
ربك قرصى » او يقال نأت بخير منها او مثلها أي المنسية والله اعلم بمراده

فان قيل ما الحكمة في رفع ألفاظ وابدالها بألفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد  
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مهما جهدنا فلا نستطيع ان نعال ذلك باصح واحكم  
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلها » اي لما كان  
المسوخ قبل نسخه مناسباً للمصلحة ومطابقاً للحكمة فاذا نسخنا لمقتض فاعما هو لتأتي  
بخير منه اي اكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدلل به حضرة الدكتور وعلل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب  
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فما يلائم البشر في  
زمن طفوليتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف  
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرة عن  
المتكلمين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم  
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه  
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الدائي والله در الشاعر

وكم من عائب قولاً صحيحاً واقه من الفهم السقيم  
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة  
البشر بحيث يكون نسبه اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قدعانوا ما قرب ان يكون  
خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة  
الدكتور؟ قدما ذلك تعلم ان النسخ لقنص او لحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ  
لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي  
يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله  
نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكريمة عليه وهو تبديل  
ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو  
من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعمت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح  
ابواب المعارف والرفي الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ماعسى ان ينجم  
من خير يقدم او بلاء يهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكته نعم هو يقرب  
ويضارع مانصبه الشارع مسوغا لترخص في المحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه  
محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ودرخصات فاذا عرض مانع او  
مرخص فقد رفع عن العباد الائم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد  
ينقلب الواجب محرما والمحرم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف  
باختلاف المكاف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة  
الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما خفف به من البشر، وبجمله من صغر وكبر، واقامة  
وسفر، وضعف وقوة، وامن وخوف، وقد يختلف بالمواسم بعاللضرورات، او توقعها ولو  
ظنا في بعض الحالات، وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل « عند الضرورات  
تباح المحظورات » قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق  
بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان  
وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكاف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما  
لطباثهم بان تكون نسبتهم اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون  
علة النسخ وحكته كما عرفت بل هو باق ومعتبر لترخص في الشريعة المحكمة

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناطا وسببا للنسخ وقت التشريع لاسيا وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك  
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهابذة القاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصلوه واصطلحوا عليه مما اوجب لهم الخيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وما ضيقوه مما وسمه الله فعليهم «لا علينا»  
وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين نظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الأبد ولزوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا ارحم الراحمين  
(الكلام بقية)

## الجامعة المصرية

### ﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من العسرة المالية. ثم اختير اللجنة التأسيسية الامير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً فجد واجتهد مع اللجنة فهب المشروع من نومه حتى تقرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تسر المشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه ككل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيها) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطبانه الجيدة على الجامعة



وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفية في داره ببلده فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجهاء وأصحاب الصحف العربية والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي تتضمن الثناء على حسن بك زايد ويان ان الجامعة صارت قادرة بعد هبته هذه على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حفي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفية . وقام بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقدم الأمم بالعلم والحث على التبرع للجامعة . ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لها بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل . ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه الأيام ، ولعلها آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد وافقه منيته بعدها بأيام ممدودات ، وانا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات للجمميات الخيرية والكتائب والمستشفيات وغير ذلك ولا يمدينه لمساعدتها وتحمل جزء من مزارها الاعدد قليل من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن أسميهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء الأمة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه راجعا على الاكثر الى سكان الارياف فانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم ينجحون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتعزيد الاعمال النافعة  
 طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستسمحكم اذا قلت  
 ان هذه الصفات كانت تفيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تديرها أكثر  
 اعتدالا في حركتها وأكثر تمييزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان  
 أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم  
 أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير  
 في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من  
 اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحه — لو كانوا يجدون للاعمال  
 بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأماها في البلاد الاخرى  
 أغنى جنية في هذا القطر . ولكنها أقفرها جيداً  
 من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف  
 من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب  
 الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجناب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة  
 آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة  
 الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشهور الوطني على نعمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم  
 وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا  
 ونطلب أن تتحقق فيه أمانينا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية  
 العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .  
 ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا استطيع ان امنع نفسي من التصريح  
 بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الخفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو  
 انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة  
 العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها  
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا  
البلاد ولم نسع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقندي بهم ونهجر  
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا ان نفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى انفسنا ونعرف  
قيمتنا ووزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا  
يجب علينا ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة او يتغير  
بمجزئة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان تكوين ونمو الجماعات  
الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة  
وطرق التربية فغير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت  
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه  
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والترية  
وإذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح للاعداد  
موظفين او اصحاب فنّ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب  
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد  
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية  
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم  
التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال  
وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم  
العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد ان القسم  
الاعظم من التعليم في يد جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة  
فيها محصور في تعييدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الانهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فته يكون مبدؤها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الأخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وقليلاً ما اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الأخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتمدد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين إلى حين لتكامل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

مصادمة كل صغوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها  
فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً  
أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا  
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية  
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لانهتم إلا بالتأخر في جميع  
أمورنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات  
الأقارب والأصحاب . وليس من المتظر أن تغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً  
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت  
أبوابها لا تجذب طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .  
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب العلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك  
أنه مفقود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا  
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب  
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن  
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبية هذا الجيل  
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن إلا  
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتستمتع  
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليقب أثرها  
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الأدبي  
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين  
وشكراً للأحقين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف  
المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجلين  
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

# باب الحكمة والأدب

## مصائب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيخلفهم مثلهم فنسي الأمة وتصبح وكأنها لم تقدر أحداً . ولكن في الناس أفراداً أمتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك إذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتاله المنية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تندره بمرض ولا سقم بل لم تندر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخيلب عدته ، يأخذوا للمصائب أهبتها ، بتوطين النفس على الصبر ، وتوجيه قواها إلى الجلد أو التجلد ، أمتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تميز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

أمتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجهته في السنين الأخيرة إلى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتهذيبهن فلم يكنف بكتابه فيه بل جعله هم الأكبر إلى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتهذيبهن وتعني مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يعد رجالها على الأنازل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم فحكر

أكرم على أثره : مات الأستاذ الإمام ففلاه صديقه على بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المعية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تقام بالزينة به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فإنه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعم وقحط الرجال ، فللأمة ان تمثل اليوم بقول ابن النيه :

والموت تقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فقد كنا نقول ان هذا البيت من الشرييات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا نسي ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة الأزهر وابراهيم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لجلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشام فقدمه على هذه البلاد فقد ذكرني بما تابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة قتل بعده عثمان وعلي ( رضي الله عنهم أجمعين )

ككل للأستاذ الإمام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه ( اي من نفسه ) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لحي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله ببنونها ، وتخصيله لها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ونضاه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيلاً متوها ، كان قاسم من المهتمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب والغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهنون عليه

ما أصابه من ذلك ويفيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ باله ، لانتفى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وتفيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلائل من التشريعات الجليلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قد يسرا تنازعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعد عند المنطقي من الخياليات ، وهو براها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قعيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولين ولكن خدمته لها كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يحب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كزنا مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كعبارة كتاب فرنسا البلاء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحماسة وقد بين فيه مآل الحجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبيا من التبذل والتهتك ونجاسة الاعراض وانخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر قاله ذلك التقدير والتشجيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وهدأ ن شفى غيظه وارضى غيرته بذلك عادالى نفسه وفكر في الامر فأرى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلًا في نفسه انه لا ينبغي اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا ونسعى في ازالته . وطلق بحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء



وانتهى به البحث والتقيب الى تصنيف ( كتاب تحرير المرأة ) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تربيته وقده زماً طويلاً وبث همه غير واحد من حمة العظم والطرايش جميعاً الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صوت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعند من المصلحين الاجماعين ثم ألف كتابه ( المرأة الجديدة ) لتعزيز رأيه وتفنيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحريراً وتأثيراً على انه فوه صراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في السنين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسعاً ، ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب ترواً به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، وبكل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الاعمال الكيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ ؟ فهذا ما ضاعف الحزن على قيدهم اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية ، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب الصد بمصاها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الامة من الأعمال ، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قاسماً بكى عطاء الرجال ، وأقدرهم على التجلد والاحتمال ، وندبه مثل سعد باشا زغول وقتحي باشا زغول وإنما ارادا ان يؤثناه فكان تأييدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى معهما جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأين الأستاذ الأمام من أنه لا يوجد في الامة من يملاً الفراغ الذي كان يشغله ، فرحه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

## مصافحة اسوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والهندي والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعثماني من تركي وكردني وعربي ومن العرب الحضرمي والنجدي والحجازي والعراقي والسوري . ولم نر صفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري فهو جاز له في بلاده وموافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله وليكننا على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو مناقشة مع صنف من أصناف البشر الذين تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأكله ومشربه وهنئه وجده وهزلته فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلقاء ما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم ضعفت أو تلاشت وخطتها المنافسة في الصحافة أو السياسة . وكانت بين المقطم والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقبة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من قارعهم فيه صاحب جريدة الأهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تعليق الحكم بالمشق وهو كما قال علماء الأصول يؤذن بعلة مأمنة الاشتقاق . أعني أن رد اللواء على أصحاب المقطم من حيث هم منسوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يريهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو كان الامر كما يدعي  
 — وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائنا لمصر اول كان مجموع السوريين  
 كذلك . وهذا باطل لانه مبني على اصل باطل ولكنه سرى في اوهام كثير  
 من الناس لاسيما الاغرار . وهذا مانعاه حافظ بقوله

لولا اناس تفالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا

ونحمد الله ان كلا من المتطم واللواء اللذين يعنيهما حافظ قد رجح — مع اصراره على أنه  
 كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تصدقوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدين  
 سببالتعادي بين شمين كل منها منوالآخر وشريكه في كل مقومات الحياة حتى  
 أو شك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيرا ما يكون اضر من سوء التصيد  
 لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من  
 خيار السوريين علما وأدبا وجمع طائفة من القواد منهم ومن غيرهم من السوريين  
 بالاكتاب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علما وأدبا الى الاحتفال باسم  
 السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الحملة موادة السوريين المصريين كانت الخطب  
 والقصائد التي اشرفنا اليها في الجزء الماضي ممثلة لذلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه  
 الذي يستحقه فأنتت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي  
 سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين  
 اللذين هما بمنزلة الأخوين

( تصحيح غلط ) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »  
 بينها وبين الواو قصير « وعن غمضة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص  
 ١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريبا » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه فصيحا  
 وما كان قليل الدوران على ألسنتهم » . وفي هذا الجزء أعلنا مطبوعة أخرى مدركة  
 بكلمة « محمد » في ص ١٧ من ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « اذا »  
 في ص ٣ من ١٠١ وصوابها « إذ »

## الفصل الرابع ( \* )

( مقام النساء في قوم خديجة )

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاما مهينا بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفونهن أي يدفنونهن في التراب ومن على الحياة ( ٥٨:١٦ ) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَلِيمٍ ٥٩ يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ، أَيُنْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره واطلاقه يستغف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره واطلاقه ليس من شأن الذين يجوز معرفة الحقائق

ان كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار ، وفيها الحقى واولو الألباب ، وفيها النساء وأهل المرحمة. فليس من العقل ولا العدل ان يجعل عمل بعض الحقى او النساء او الفقراء في بلد مثلا وصرآة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحقى وقناة كما هو الحال في سائر البلاد وكان

أناس قليلون من هذه الاصناف يأتون هذا العمل الفظيع نعي الوأد ( دفن النبات في الحياة في سن الطفولية ) فلا ينبغي أن يقال بدون تقييد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا يبدون النبات . إن فوما نبفت فيهم مثل هذه السيدة لا يعقل أن يكونوا قتلوا نبات كلاً انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن المقول والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو محل تعري كادون لا يذكرن من فقرائهم او حقايم او تسلمهم

ولم يكن الذين يبدون بانهم يأتون هذا العمل الفظيع تعيظاً من هذه النسبات البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لاول وهلة بل كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضعف عظيم في الطبيعة . وان الخيال الفاسد ليزين المنكر حتى يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزين لهم خيالهم الفاسد ان فائهم اذا ظلت في ميدان الحياة ربما نالها ضيق من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكرموا من بنفقتة تساوين بأزواجهن ، من ذوي قرباهن او جوارهن ، فيرون مواراتهن في التراب ، خيراً لمن من بقائهن دون الاتراب ،

لا نكران للحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن هذا الخيال الباطل لم يوح الى صاحبه ان الفتاة شجرة خبيثة يجب اجتنابها قبل النمو ويستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زين له سوء عمله هذا من طريق اخرى هي كرامة فتاته

يخجل ذلك المسكين ان فاته ان عاشت تيش مثله في غصص تذيب  
 القوادير وقد من الجلمود، و كرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشهور  
 السود، فيزين له خياله ان يحيى كريمته فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي  
 بلاها قلاها وان بقي بألم ساعة عند توديعها وتسليمها الى الابد آلام  
 صنين يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصب كما بقي أحدم بألم الكي  
 آلام سقم مزم

وكان منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن الفتاة ربما  
 وقعت في يدمن لا يرى له ولها حرمة. ولو قضى على كل البشر بمثل هذه  
 الوسوس لا دنت الدنيا بالا قضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون  
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسوس سلطانا  
 على قلوب البشر الا قليلا من بلفناشيء عنهم من هذا القبيل

سواء ما يزين لهؤلاء الفقراء والحقى الذين كبر نصيبهم من التسوية مع  
 نصيبهم من الفقر والحقى فلو علم المدم ان اليسار ليس مختكراً في بيوت معينة  
 واشخاص مختصة وانما يتاح للماملين المحسنين مع الظروف المناسبة، وان  
 قيمة كل امرىء ما يحسنه، وان ليس عليه الا ان يفعل بالمعروف عند  
 قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه، لا سهل عليه ان يقصف  
 يديه فصاعاً منه أنته الله ولا لذة أكبر من تربيته وتميته

ولو علم الاحق ان الفرار من توم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان  
 ويشترأ أقصى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من  
 ضيف النفس

وهيات ان يكون توم «خديجة» على هذا النمط من ضيف النفوس

وهم المروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا لا يرون سلامة حرمهم الا بافانئها؟ واني يجد الشخص الطمأنينة اذا كان دأبه الحرب، من غير ما طلب؟

أما انهم كانوا يكرهون البنات اذا بشر أحدهم بها فلا يستطيع أحد انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى هذا الى نفوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البنات نزل طول دهرها مكرهة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم . ما ذنب القوم اذا كان نفوسهم فقرا انهم وحقاقم قد ضمنت نفوسهم فاستسلموا الى الاستراحة مما يلزم للكفرام التنب فيه ؟ وما إجرامهم الى الانسانية من بعد ان يقوم أحقادهم باقتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى أبوهن لوأدهن من الفقر ؟

ان العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يبرزون المرأة ولا يهينونها وقد أعطوا النساء كل ما هن من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا ان المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الانسان المؤنث نفسا كنفس ذلك الانسان الذكر تفضب ورضى وتتم وتشقى فأعطوا دماغها ونفسها حقها

وقد رووا لنا ان هند بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا «خديجة» جادها أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا الزواج بها فقالت صفتها لي فقال « اما أحدهما في روة وسمة من العيش ان تابتيه تايلك، وان ملت عنه حظ اليلك، تحكين عليه في أهله وماله، واما الآخر فوسع عليه،

منظور اليه، في الحسب الحبيب ، والرأي الارب ، مدبره أرومته ، وهز  
عشيرته ، شديد الذيرة ، لا ينام على ضفة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ،<sup>(٥)</sup>  
فقال يا أبت الاول سيد مضياح للحرمة فاعبت ان تلين بعد إبانها ،  
وتضيق تحت جناحه اذا تابها بلها فأبترت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساه  
عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحمت ، وان  
أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسبه علي بعد .  
وأما الآخر فبعل الفتاة الخريفة ، الحرة النفيسة ، وأني لا اخلاق مثل هذا  
لموافقة ، فزوجنيه ، فزوجها الثاني وكان هو أباسفيان بن حرب فولدت  
منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودواهمهم  
فكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يفتات أهلها

عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحمى والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والامور  
العومية ، وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من اربعين سنة  
بين بني ذبيان وبني جيس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تمكن  
من اطفائها الا عملها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهبة بنت أوس  
ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المرّي  
وأراد ان يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يتل بعضها بعضا تني بني  
جيس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « اخرج الى هؤلاء القوم  
فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن  
ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيأ بالصالح ودفعا الديات من أموالهم



وحبك من اشترى من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة  
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشر الهمدانية،  
وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان  
بنت جثة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن ربيعة، ودارمية  
الحجوونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقه البارقي . وأروى بنت  
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بدم موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما  
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشر؟ قالت بخير  
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة لاخيك :

شمر كفعل أبيك يا ابن عماره يوم العطان وملتقى الاقران  
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهران  
ان الامام انما النبي محمد (\*) علم الهدى ومنارة الايمان  
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بابيض حارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب، فدمع عنك تذكرك  
ما قد نسي » فقال « هيبات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت  
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن  
كما قالت النساء :

وان صخرآ لتاتم الهداة به كانه علم في رأسه نار  
وبالله اسألك يا امير المؤمنين اتفاني مما استغفيتي » قال : قد فطنت  
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأمرهم

مقلد، والله سائلك عما اقترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من  
 يهض برك، ويسط بساطناك، فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا  
 دياس البقر، ويسومنا اناسية، ويسألنا الجلية، هذا ابن اوطاة قدم  
 بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنة،  
 فاما عزك فشكرناك، واما لا فرفناك، فقال معاوية « اياي تهديد  
 بقومك والله لقد همت ان اردك اليه على قلب اشرس فينفذ حكمه فيك،  
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه      قبر فأصبح فيه المدل مدفونا  
 قد حالف الحق لا يعني به غنا      فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال  
 ما أرى عليك منه أرا قالت : بلى أئنته يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان  
 بيننا وبينه ما بين الثن والسمين فوجدته قائما فانتقل من الصلاة ثم قال  
 برأفة وتطفت لك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء  
 فقال « اللهم اني لم آمرم بظلم خلقك ، ولا ترك حقتك ، ثم أخرج  
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم  
 قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا  
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُسْلِمِينَ ، بَقِيَهُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ  
 بما في يديك حتى يأتي من قبضه منك والسلام» قال معاوية اكتبوا لها  
 بالانصاف لها والمدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لقومي عامة» فقال « ما

انت وغيرك ، قالت « هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً  
والأيسني ما يسم قومي » قال اكتبوا لها بما جرت بها  
ووفدت بكارة الهلالية ايضاً على معاوية بمدموت علي فدخلت عليه  
وكان محضره عمر و بن العاصي و مروان و سميد بن العاصي فجلوا يذكرونه  
بأنهم لما التي قالتها في مشايعة علي و معاذة معاوية فقالت « أنا والله قاتلة  
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر » فضحك وقال ليس بمنعنا ذلك من برك  
وكتب معاوية الي عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن  
قيس الهدانية مع ثقة من ذوي محارمها و عدة من فرسان قومها وان  
يوسع لها في النفقة فلما و فدت علي معاوية قال « مرحباً قدمت خير مقدم  
قدمه وافد كيف حالك ؟ فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها « ألسنت  
الراكبة الجبل الاحمر والواقفة بين الصفيين تحضين علي القتال و توقدين  
الحرب فما حالك علي ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين « مات الرأس و بشر الذنب ،  
ولا يبود ما ذهب ، والدمر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث  
بعده الامر » قال لها تحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت « لا والله لا احفظه » قال  
لكني احفظه و تلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها  
والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه » قالت « احسن الله شارتك  
وأدام سلامتك ، فملاك يبشر بخير و يسر جليسه » قال « أو يسرك ذلك ؟ »  
قالت « نعم والله » فقال « والله لو فاؤكم له بعد موته ، أعجب من جبكم له في  
حياته ، اذكرني حاجتك » فقالت يا أمير المؤمنين آيت علي نفسي ان لا  
أحال أميراً أعتت عليه أبداً . ومثلك من أعطى من خير مسألة . وجاد عن  
خير طلبية ، قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بجوائز .

ووفدت عليه ايضاً ام سنان بنت جشمة، وعكرشة بنت الاطرش،  
ولما حج سأل عن دارية الجبونية فجيء بها اليه فقال لها « بشت اليك  
لا سألك علام أحببت علياً وابغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ » فاستمته فلم  
يفعل فقالت له « أحببت علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ،  
وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،  
وواليت علياً على حبه المساكين ، وإعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك  
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟  
قالت « أي والله » قال فكيف رأيته ؟ قالت « رأيته والله لم ينتنه الملك الذي فتتك  
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان  
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صيداً اطست » قال صدقت فهل لك  
من حاجة قالت « نعم تعطيني مئة أقة حمراء » قال ماذا تصنين بها قالت  
« أغدو بالباها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصالح  
بها بين المشائر » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي  
طالب ؟ قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي - يا ما  
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »  
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لها منه حديث من مثل ما تقدم  
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا  
كان حظهن من النصيحة والحصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الأمور  
السموية والاختذ بالاسباب ، والمشايبة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا  
باليسير نوطاً لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

أولئك الذين صدقوا وهم أولادهم هم أولادنا  
خير ما بدأ النبي يستعمله فيقول فيقولنا حسنة

المسحوق  
١٣١٥

في قولنا المسحوق من بيننا ومن يولدنا المسحوق من  
خير ما بدأ النبي يستعمله فيقولنا حسنة

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر السبت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٦ - ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨

## بَشَائِرُ الْمُبْتَلِينَ

فإننا هذا الباب لا جاية أسئلة المشركين خاصة ، إذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واقبسه وبلده ومجده (وظيفة) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب فالباور مما قدمنا متاخرا لسبب كنهاجة الناس الى بيان موضوعه وورعنا أحيانا غير مشرك لئلا هذا . ولئن جئنا على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا طر وسيسج لا فظاله

### ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجوا ان تمبروا جانب الالفتات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشار

صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع الباحثات التي داوت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالتمام غير ممكنة لإعجازه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التغيير ثم اذا نقلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التغيير أيضاً وهلم جراً فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتفسيره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإبدالها بالترجمة يبد هذا الطريق . مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين . قال في ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشار صادق نبوت »

أما أدباؤنا معشر الترك الروسين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لا معنى للقول بأنه لا يجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قران وتطبع ترجمته تدريجا وكذلك تثبت ترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية التقاقرن جو من حضرة الاساذ التدبير في هذه المسألة حرره الامام الحقيراحسن شاه أحد الكاتب الديني السيارى

(ج) ان من تقصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلنتهم ولو بترجمة بعضه لهم لاجل دعوة من ليس من اهله اليه وارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفرقوا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأساوبه وبلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكتفاء بأفراد من كل جنس يترجمونه لهم بلغتهم بحسب ما يفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوربا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان نتفرق وننقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولكننا نذكر شيئا مما يخطر في البال اسدهجر المسلمين القرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استثناء عنه بترجمة أعجمية يفهم عنها تفسيره بلغتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متمذرة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل القرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي نكره

(٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مبدئية له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد ( ص ) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرغ عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فلي هذا لا يسلم لمن يجادلون ترجمة القرآن قرآناً شياً من اصول الإسلام

( ٣ ) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لترجمته فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لانواعها

( ٤ ) ويلزم من هذا حرمان المقتصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله ( ١٢ : ١٠٨ ) قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ) وانما لها من الآيات التي تجعل من نزاي المسلم استعمال عقله وفهمه فيما انزل الله ( ٥ ) وكما يلزم حرمانهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

( ٦ ) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي ( ص ) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيمم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لهم فيما فهموه من نهيهم عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

( ٧ ) ان القرآن يدعوا للهداية والمعارف الإلهية لا تخاف جده ، ولا تقنأ تتجدد هدايته ، وتفيض للقارئ على حسب استعداده حكيمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقاً لعموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تقيد القارئ بالمعنى الذي صوره المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى ( ١٥ : ٢٢ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) من الجواز بالاستمارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدث المطر عقب ذلك يشبه تلقح الذكر للأنثى وحدث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو



جرى على ذلك بان فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام « لواقع » العربي في احتمال حقيقته ومجازته اذا اطلق فان القارئ يتقيدون بهذا الفهم ويمتنع عليهم ان يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل اذ هي تحمل مادة القاح من ذكور الشجر الى انائه . فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسب ان يكون هذا موضحاً . والترجمة تقف بنا عند حد من الفهم يعوزنا معه الترقى المطلوب (٨) ذكر الغزالي في كتاب « إلبام العوام عن علم الكلام » ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً (١) وبين ان الخطأ في ذلك مدرجة الكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم ان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يظلم المترجم في مثل هذه الالفاظ وهو ان شرحها بحسب فيه ربما يوقع قارئاً ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً ان من الالفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها « لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها » فإذا اطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنا مؤدياً المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من مرزلات الاقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام ان من هذه الالفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد يضار المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة وإذا فاتت نفوس نفوسه خيراً كثيراً فإطالما كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوروبا (وهو فرنسي نسيت اسمه) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمر مرة الاحتفال السنوي لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليذ بقراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (القطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف تحرم منها المسلمين بترجمة القرآن لم

(١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الاختلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد القديم والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا نقرأها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا

(١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتعريف والتصحيح بالنص الذي نقلناه عن من جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا ما تراءى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لهم قرآن أعجمي بدل القرآن العربي واذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوهاً أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنيه واللفظ في حقيقته ومجازته كما حقيقته بعض أهل الاصول كالشافعية

اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب بقاءه غير مفهوم فهي ممنوعة فاننا نقول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب برتبته . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين - درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قرائتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وقرأ امامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويذكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كبير من الاعاجم حتى يبلاد الصين - ودرجة عليا للمشتغلين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الاعاجم الذين دخلوا في الاسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدينون به ويهتدون بهديه ويهدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار اليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديريين بأن يتصموا به وهو جل الله فلا يفرقوا وتكامل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (١٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة للتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي اول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر واقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الأتلاتيك) الى بلاد الهند فكل كان هذا الاخير اعظيماً تأخت فيه شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هنا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصبية الجنسية في الفرس فأنشأوا يترجعون الى لغتهم ويعودون الى جنسيتهم ، وجاء الأتراك ففعلوا بالعصبية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وابقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عربيين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الاصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في اعادة

الوحدة الإسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام وان يستينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجبوا تعلم العربية إجباريا في جميع مدارس المسلمين وبحيوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بأراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكننا نرى بعض المثورين من سياسة أوربا يماونونها على تقطيع بقية ما تركه الزمان من الروابط الإسلامية بقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول اغتواء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : ألا إنها قننة في الأرض وفساد كبير وقى الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلقتهم مع قائته إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو

### سد بأجوج وما أجوج

( س ٢ ) من أمين افندي الشباصي يهندسة عقبره ( السودان )

فضيلة الأستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الفراء

كنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين وأجوج وما أجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبعده . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على عمر الياام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينحبه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الياام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استفراي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جباين كبيرين ومن حديدونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الارضية أمام نظري أقلب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا أخى اني اطن ان هذه الامة هي أمة النار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخرقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

لني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما منناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ففرغ فلما سألوه عن السبب قال ويل لآمتي من السيل المهمل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبعد جدال كبير حصل بيننا وعدته بان أفيدته عن يد فضيلتكم بالجواب القطعي فرجائي أن تفيدوا الجواب على صفحات المنار الأغر حتى يفتتح المشاغب كاهو المشهور في فضيلتكم من إيضاح الحقائق ولفضيلتكم الشكر أقدم

(ج) سألتنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار وقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين لاسما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدلل بعض العلماء على ان السدين في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها افتراضاً كهذا فما يدرينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلاً فكم من أرض يابسة فاضت عليها البحار فغمرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصر عنها الماء فصارت أرضاً عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدنيات القديمة بالمشاهدة او الاستدلال ما يجعل بعض اسبابه كالأ نوار والقوش والالوان وجر الاقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سببا حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السدين فما هي تلك الاسباب هل هي هوائية او كبرائية؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الأرض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بني على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسئلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جريند » بروسيا ومنناه الهندوقية موضع يسمى « دهر قبوه » في باب الحديد

وهو أرسد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره ملطبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك ( راجع ص ١٦ و ١٥ ج ٣ ) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريطة جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان وبيان أن وراءه قيتين اسم إحداهما « آفوق » واسم الثانية « مافوق » . وتعريب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي .

وأما الموضع الثاني فأننا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابته وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (مئة و بضعه فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعيق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شاهقة منتصبة ليس فيها مسالك مهيبة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي . وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها ونجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي ( الذراع الفارسي متر واربعة سنتيمات ) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين الى الآخر وهو من زبر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاماسكه خمسة عشر شبراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قلعة تسمى تمام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعد زبر الحديد المبني بها السد فقصرى ما تيسر لهم عده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمنتان محكمتا البناء قديمتان تسمى إحداهما قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اه

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيما يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا اللقب من القاب ملوك العرب الحيريين في حضرموت واليمن المعروفين بالاذواء ( كندي يزن وذي الكلاع وذي نواس ) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منه وهم التتر كما ورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويعدم النصارى رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد اذك وذعب أثره من الوجود ؟ ان قيل منع من ذلك ان اذك كانه وخروج بأجوج ومأجوج من علامات الساعة اجبنا بجوابين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نينا نبى الساعة وقرب الساعة نسبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيها) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امم معينة كما ورد في شرح بعض الأحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

### ﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد العصر والاوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفني الله بعلومه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو : ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتتة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما تقولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف ليس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشايتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها بيده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) . وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لافرق بينهما شرعاً ولا عرفاً . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشايتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشعائر الوثنية أي تعظيم الصور أو عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معلقاً في بيتها لمشايتها الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأساً . وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يعتبر بأن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأي فرق يبقى عنده بين ماسماه فعل الصورة وحبس الصورة ؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض البايبة الرجل المقب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم أن يصور لهم مبدوهم بالآلة الشمسية ليعظوها ويمبذوها بناء على أن فعله حبس تلك الصورة لأفعل لها ؟ إن هذا قول لا وجه له فيما نرى والله أعلم

### ﴿ الوقف على المساجد والمدارس ﴾

(س ٤) مستفيد من منغافوره

ما قول المنار المنير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها وبناء المساجد للصلاة ولا يخفي عليكم ما ورد في فضلها فأبي الأمرين من البنائين أفضل أفيدونا

(ج) في المسألة تفصيل فإقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعائر الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والموام منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا أفضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الامام الشافعي إلى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد إن أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات المنار. وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك أن بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لتوقف إقامة الشعائر عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج أهلها إليها معا وحينئذ يظهر أنه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن أن يصل في يعلم مالا بد منه حتى يتيسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم أن بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة إليها مضاد لقصد الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل



## السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالأمضاء الرمزي لكاتبها لما فيها من البشارة بالمجلس النيابي :  
كان عهد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان  
عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضغف إرادته يوائي العبيد فيما  
يريد قليلاً يراجعهم في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العبيد ما لم يكن يرى من  
والده من المقاومات فكان يتهمز فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد  
فأكثر من المستشارين والمفتشين واقضاه وكبار العمال من الإنكليز وفضل ما فعل .  
ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان  
لورد كرومر يفتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منها وطبيعة الوقت  
ما يحول دون ذلك حتى انها تكلمت غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمن  
قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته  
على اقناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار  
الحاضرة وهي وزارة تميل الى التساهل في المستعمرات وما في معناها كعصر في عرفهم فلم  
يتم للورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . ومما كان قد عزم عليه  
الرجوع الى كبار الامة في معرفة مطالبها الحقيقية لانها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير  
ولا ننسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو  
لا سيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشير فطالج الأمير  
تلك الحملة عليه بمحدث آخر عهد الى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة  
الديلي تلغراف الانكليزية أهم ما فيه الاشارة الى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة  
للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي  
فيها وهي اختيار الاكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسئوليتها»  
وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيراً للمعارف وأخيه أحمد  
فضلي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبد الخالق ثروت باشا نائباً عمومياً

وهناك مقدمة ثالثة جربها السيد الجديد فجات كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعه سياستها وادارتها على غار بها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الامة وما دونه من مجالس المديرية

ما هو مجلس نواب الامة ؟ هل هو مجلس الثورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعه وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما يطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة. والامير ينفذها رغائبها بمصر

انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل ينتخر احرار انكثرا بذلك لموافقته لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن سنسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تخرس فما كان منه عن شيء مضى فهو مما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراها الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخططون في ظنهم ان الحركة الوطنية سنسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى تهدد الوطنيين الذين يحملون تبعه الادارة وتكون الحججة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعه العسل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فمن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستقتبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بانفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام ( المكاشف )

## القرآن والعلم

٢

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

### ﴿ المسألة الثالثة ﴾

﴿ ذوالقرنين ومطلع الشمس ومغربها ﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد أمريكا ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فمعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب . . ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(المجلد الحادي عشر)

(٣٦)

(المناجج ٤)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها  
تغرب في عين حجة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من  
وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر  
ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً  
« حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها  
تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى ( ٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات  
وعيون ) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة ( ٨٨ : ١٢ فيها عين جارية )  
وقوله « حجة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة ( حامية ) أي ساخنة ولعل سخونة  
الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد  
مياه المحيط فقد تكون سخونها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء  
كما هو معروف للمطالعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطي ينطبق عليه  
هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذالقرنين  
وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج ( Gulf Stream )  
الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى  
قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل افريقيا الغربي ولون مائه  
أسود وهو ساخن ( فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فرنهيت )

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها  
سترًا والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس  
أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذالقرنين وصل إلى جبل عال من  
جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية  
العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد  
الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية  
وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم وباطنهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بجيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضيقة والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحميريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذي بزن وذو كلاع وذو نواس . ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحميريين قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند بلغ المشارق والمغرب ينتهي أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ما سألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام قيل إن اسمه الصبب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس . فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد نبى سداً بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التصدي على الأمم المجاورة لهم وهما قبيطان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرها أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الانسان ان أكثر بقاع الأرض لم تطأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصداً ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يجعلها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عبور أحد على مثل هذا السد وربما إداراه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون منطى ببطقة حجرية مما أذابتها المياه وجمعتها إليه فنجت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المنول (التار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الأفساد في الأرض وما أوقموه بالأمم المختلفة من القتل السبي والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من ان يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله «واقرب الوعد الحق» كقوله (١٠٥٣ : ٩) اقربت الساعة وانشق القمر) على ان الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية

## ﴿ المسألة الرابعة ﴾

## ﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهودسي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟  
 ونقول لانسلم بان لفظ يحيى في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوه-حنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني لقباً له وأمثلة ذلك في كتب المهديين كثيرة جداً منها ان اسم بطرس سعان واسم تداوس لباوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و٧) وكان النبي عليه السلام يغير كثيراً من أسماء أصحابه فيشتهرون بما ساءم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لهم أكثر من اسم. هذا اذا لم نقل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا نقل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لغتهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشققة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣ وحنانا من لدنا) صاروا يقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك أكثر من اسمه الأصلي الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثاً له من نسله خوفاً من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبلك أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ قالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسنى بهذا الاسم « فقوله تعالى «لم نجعل له من قبل سمياً» أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ يحيى هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

### المسئلة الخامسة

#### ( السامري والمجلى )

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فَأَخْرَجَ لَمْ عَجَباً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا الْمَكْمُ وَإِلَهُ مُوسَى — إلى قوله — ٩٥ قال فما خطبك يا سامري ٩٦ قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي « رجحنا في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى ( ٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٥ ) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ ( الجودي ) وهو اسم جبل ولفظ ( السمؤال ) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ ( سموئيل ) والتغيير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ ( شمري ) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .



( نبوخذناصر ) ولفظ عيسي وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التغير والتحريف في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب ( السمري ) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى ( فأخرج لهم ) أي صنع لهم السامري ( عجلاً جسداً ) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جاد كهذا العجل الذي صنعه السامري من الحي وكمائيل الحيوانات فاتها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها ( له خوار ) أي صوت يشبه صوت العجل وعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى ( قال فما خطبك يا سامري ) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت ( قال بصرت بما لم يبصروا به ) أي علمت ما لم يظنوا وأدركت ما لم يدركوا ( فقبضت قبضة من أثر الرسول ) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفته فبناوا قنيت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لما ( ٢٠ : ٧ ) فقولا إنا رسولا ربك ) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قريش تهكمون على رسول الله ويقولون له ( ٧ : ٢٥ ) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ) ثم قال السامري ( فبذنتها وكذلك سولت لي نفسي ) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجرأتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت ما لم يعلم غيري . هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من انحرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الأصفهاني وارتضاه منه فخر الدين الرازي وعمره

(٩٧ قال) له موسى (فأذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلمت عليها كفاً لتُحرقه) أي لبردته ويؤيده قراءة « لتُحرقه » بفتح النون وكسر الراء وضما خفيفة (ثم أنسنفته في اليم نسفاً)

فإن قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا تقبل التأويل حتى لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن أن يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه لقبوه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراه مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء على أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فإن القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرهقين فلذا تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم ينحطى الغرض . ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض .

### المسألة السادسة

#### (تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ١٣ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغنة فخلقنا

المُضَفَّة عظامًا فكسونا العظام لحامًا ثم أنشأناه خلقًا آخرَ فبارك الله أحسن الخالقين ١٥ ثم إنكم بعد ذلك لسيئون ١٦ ثم إنكم يوم القيامة تُبْمَثُونَ) اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الانسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم يمته

(الطور الاول) « وقد خلقنا الانسان من سلاية من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الارض مباشرة ثم ارتقت الحلال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر باقسام الخلالا ثم بالتلقيح الذي يتبعه الاقسام (ومنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جطناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز تطلق على المنى ولا مانع من اطلاقها أيضا على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صراحة لأن ذلك غير معروف لجمهور الناس وهو لم يأتي لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يؤيد قضايها بما يعرفونه ولا ينكرونه واكتناؤه بذكر المنى دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فاذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد باقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الانثى يسبحان قبل التلقيح وبعده في قليل

(١) النار: النطفة في الاجل الماء أو كل سائل فيصنع اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم  
( الطور الثالث ) « ثم خلقنا النطفة علقة » وذلك باقسام البويضة بعد  
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقة وخلاياها  
كلها متشابهة

( الطور الرابع ) « فخلقنا العلقة مضغة » وهي قطعة أكبر من العلقة قدر  
ما يضعف في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من اقسام البويضة الأصلية بعد تنفيذها  
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية

( الطور الخامس ) « فخلقنا المضغة عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغة  
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التوزيع عظاماً  
( الطور السادس ) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغة

إلى أنسجة رخوة ذات خلايا متغيرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة  
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فينما تجد بعض الخلايا يتحول إلى  
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

( الطور السابع ) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير  
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد ان كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى ( والله  
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار  
والأفئدة ) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً  
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا  
بم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

( الطور الثامن والتاسع ) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة  
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة  
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل

كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها باجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير  
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس  
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطئاب فه لأن الناس يصلون اليه من غير طريق الوحي

## المسألة السابعة

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى ( ٥٧: ٢٦ ) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٩ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فما معنى هذه الآية إذا ؟؟ ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان المصريون يحنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في الممالك التي يستعمرونها وادام الحال كذلك الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف ( فأرسل فرعون في المدائن ) التابعة له كبلاد مصر والشام ( حاشرين ) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قائلهم ( ان هؤلاء لشرذمة قليلون . وانهم لنا لغائظون وانا لجمع حذرون ) ثم قال الله تعالى ( فأخرجناهم ) أي المصريين ( من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ) في مصر والشام ( كذلك وأورثناها بني إسرائيل ) أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع ( ١٣٧ : ٧ ) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغارها التي بارَكنا فيها وامت كلمة رَبِّكَ الحسني على نبي اسرائيل ( والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله ( ٢١ : ٧١ ) وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) وقوله ( ١٧ : ١ ) سَبْطَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) فَأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وان المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم يبلاد الشام

(المسائل بقية)

## باب المناظرة والمراسلة

٣

### حجة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قشنا الاحاديث — الى ان قال — فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتي بكلام ثم قال . « والذي نرامن ان العقل لا يستبفتح وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او ان الرسول ( ص ) يبين ذلك يانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والنظر يرى باديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور ان قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز ان ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة، لانه اذا كان النسخ هو كما ذكر ابطال حكم الى بدل او لغير بدل وجاز ان يقبل قول الرسول ( ص ) هذه الآية منسوخة لا الى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه ( ص ) فما ذلك الا قول يجوز نسخ القرآن بالسنة وهو

مناقض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة فقوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بمذم جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها وعلم صدورها عن رسول الله (ص) اما ما ذكره حضرة المذكور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ يقتض لا يستصح عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا فما هو؟ ام شرعاً - فإين هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومعناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمله وليس هو داخل فيها انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضى والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان يتقوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نرد ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لا امتناع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى « ما ننسخ من آية » الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحلال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سببا للنسخ ولا لبلوغه اليه -

اما اشتراط حضرته في رسالته لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكتفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً يصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في افراد كل واحد

من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجملا فاذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في النسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتها الى غير ذلك فحين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك مما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يؤتى بما لا يتبين المراد منه الا مع ميين - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التجلي فظهر بذلك ان معرفة النسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاولى وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون النسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكيم ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما والعكس؛ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وبينوا ذلك فارجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندري ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرته في هذا الموضوع وليعلم انه باذنه الى التهمك والتعريض بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوانه اذ لم يتم حجة على ما قال ولم يحط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ما هو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل تقول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار وتقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرته وأنه يرى ان العقل لا يستقبله فلا محل للتشنيع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فاقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل القلي



وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة الدكتور استدل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ النكرة ( أي لفظ مبدل ) في سياق النفي تعم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالأية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن اتحال المبطلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وتقول أيضاً نفي الشيء، فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل نفي جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الآله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا تبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفعل اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الدكتور والرسول ( ص ) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عامٍ إلا وقد خص وما من مطلقٍ إلا وقد قيد الآيات التوحيد وما ضاهاها وأيضاً قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل ومحلها الم عين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه عقلاً

أما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على ان تفسير الآية هكذا: واذا اتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما انت مقتر كذاب تخلق الاحكام وتنسبها الى الله الى آخر الآيات - وزعم ان القول بأنه مقتر في قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مقتر » انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ واقول ان قوله انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز ان تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم ان ما ذكرته حضرة وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وانما يدل على خلافه فانه تعالى انما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بان اكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا ان الفلام النصراني يعلم النبي ( ص ) اقترأ وكذبا كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك ايضا ان الله لما برأ رسوله ( ص ) من تهمة الكاذبة ذكر ان سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان انما هو ضلالم وعدم ايمانهم بآياته فانه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بان المقتر في تبديل آيات الله انما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص ايضا في ارادة المشركين فظهر ان القائل بانه مقتر انما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها انما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والاقداء بآدابهم وعن الاصفاء والاتفات الى شبهاتهم عند نزول ناسخ او تبديل آية مكان آية لأنهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم ان ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب ( اليهود ) فلم يأت لهم ذكر حتى يهود الضمير اليهم وايضا فان الله تعالى قد عين هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود اذا كان المراد بالآيات الاحكام وبالآية الواحدة الحكم لايمانهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المحدودة المخصوصة فان أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم تطلق بطل حمل الآية المبدأة على شيء من عبارات التوراة فثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت متروهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم نقول لو كان التبديل ابي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح تقييده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) «انت بقرآن غير هذا او بدله» حيث امر رسول الله (ص) ان يجيبهم بقوله «قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» فانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا تبين عدم دخول التكلم وهو الله تعالى في عموم لفظ «مبدل» من قوله «لا مبدل لكلماته»

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجته الى القول بوقوع النسخ فيه فعلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدر أي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) وبينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما بينهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يفرضها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون الخراصون كالقرامطة والملحدون من المتصوفة وسائر الطوائف المتدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قد بين حدوده وأوضح احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولتعد إلى ما كنا بصدده فنقول

قد تقدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية نقلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيره فانه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغر بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية تقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها وتترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

وتقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي ( المعجزة ) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالتها وترك تأييد نبي آخر بها؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت بانتقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المعتادة حتى تبقى ككل باق يرى تابها وخاضعاً لاسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثير المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بمثلا لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة الثاني تمتع ولأفضى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد فقدت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لما يجوز ان يظهر اولما هو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما نسخ من آية اي من مثل آية او نسختها نأت بخير منها او مثلها . ومؤداه ما ترك مثل معجزة الانات بمثلا اليس هذا تناقضا يجب ان ينزه القرآن عنه ؟ وتقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) فثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وتقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم الا بحجة واضحة ومن المحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين تسكيناً لهم ودفعاً للشبه التي يبتها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنع عن الشيء الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من أعدائهم ودونك الآية وما قبلها يبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفناك فساد تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

١٠٥ ما يورد الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما نسخ من آية أو نسخها نأت بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فالآية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام الشاقة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كالفروع من قوله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وأتبع الآية بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» استدلالاً لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستعدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لذلك اذا وجد مقتضي نسخ بعض الاحكام والتعاليم الأهلية إلى ما هو انبى باحوال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر - وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للاشياء فهو يعلم المناسب والاصح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لكل ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعدل مختبراً أحوال الرعية فلا يليق بعله ترك ما فيه زيادة الخير والانبى باحوالهم لما هو أحاط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره - فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بانه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء - فاذا أبي الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله) فهل كان يقرئه عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما نسخ من آية أو نساها » بفتح النون وهزة بعد السين ومعناه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما نسخ ما ترك وعليه يكون المعنى هكذا: ما نسخ أي ما ترك من آية أي معجزة أو نساها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركاكة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعطي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال بنسخها حيث اني رأيت انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل فائدة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه -

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل: ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه؟ فان قلت نعم فعليك البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لان ترى ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والعبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة وواقفتا وهو غاية ما تمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه للتوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا بنسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأجبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكى عن ابي مسلم الاصفهاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما بعد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومردول وقال السيد صديق حسن خان ولعله تقلاعن الامام الشوكاني: واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قطعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يتعد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من بلغ في الجهل الى هذه الغاية انتهى

ولم أر احداً حكى قول الاصفهاني الا واتى عليه باللوم . ونحن لا نرى في  
الطعن فائدة ( ١ ) لانا نعلم كثيراً انه ما من أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ  
من قوله ويترك ومن تتبع الغلطات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من  
الاشياء وامر من الامور ولا يبقى يديه شيء من الحق وذلك هو الحسبان المين

## اتان عليا بريته

### كتاب الترية

ألف علماء اوربا كتباً كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف  
سبنسر كان ما كتبه ناسخاً لطريقة من قبله ولكثير مما جاؤا به وقدوة جديدة لمن  
عاصره ولمن يجيء بعده فهو الذي بنى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ  
الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه  
التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالعربية محمد

( ١ ) المارچ : قد أحسن الكاتب في عدم اقراره لصديق حسن خان على  
طعنه هذا بأبي مسلم واين هو من ابي مسلم بل اين منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟  
انا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز  
أبا مسلم بالجهل ومحمد من صديق حسن اهتداءه بكتب الشوكاني ومحاربه للتقليد  
وان كان في عامة أحواله مقلداً للشوكاني ولكنا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا  
هفوة من هفوات العرور . نعم ان لا بي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او الف  
أو ابدى علماً وفها فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة  
المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيراً من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟  
ألم يحصر الشوكاني المنسوخ في بضع آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه  
منسوخاً ؟ فكيف يمد أبو مسلم من أجهل الناس بالشريعة ان وجد لهذه البضع  
الآيات معنى ينافي النسخ بالمعنى الخاص الذي يفهمه ؟



افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعتها طبعاً حسناً على ورق جيد  
فبلغت صفحاته ۱۴۳ وجعل ثمنه عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

### مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلي في نادي دار  
العلوم وكاشفوا رئيس النادي ( حفي بك ناصف ) بأمنيتهم فواققت رغبته رغبتهم  
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة  
الاولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة  
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع  
عبد العزيز ( نمرة ۵ )

### بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ ( المتوفى سنة ۲۸۰  
او دعه ما رواه عن النساء من خطبين وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات  
الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام فقيه من الخطب خطب عائشة  
ام المؤمنين في فضائل ايها وراثته وخطبتها السياسية بالبصرة وخطبتها لما بلغها قتل  
عثمان . وفيه خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لامنمها أبو بكر ميراثها وغير ذلك  
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن  
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات  
منهن مع معاوية في تخطبتهما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الازواج  
مدحاً وذكماً ووصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر اغراضهن شراً ونظماً . وليته  
خلا من اخبار مواجهن . واحاديث رفقهن . اذاً لكان الكتاب ، جديراً بعناية  
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفني طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

٣٥٤ مطالع البدور . تحفة المدارس . الحمامات المعدنية ( المراجع ٤ م ١١ )

ما رآه خنيا من مفرداته حتى بعض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخطاء منه بالظهوره وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٥٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

### مطالع البدور في محاسن ويات الخلدور

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً وثر جمع فيه واضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينوه به ولا يرغب فيه . لذلك كتبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر وتتمها عشرة قروش وثمانون الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

### تحفة المجالس و زهرة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يعزى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصحين والنساء والمشاق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق المطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة منه خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

### الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضماها الطبيب يورفي بلغة أجنبية وتلقاه عنه بالمرية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلها الى اللغة المرية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(المبارج ١١م ٤) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غورست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش  
فبحث القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص  
بالذكري اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

### الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها  
في جريدتي المؤيد واللواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها فبلغت  
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الإسلام والنصرانية ومقالة في ( المرأة في  
الإسلام والنصرانية ) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات  
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على  
كتاب لورد كرومر ( مصر الحديثة ) وثنم النسخة منها ثلاثة قروش

### تقرير السير ألدن غورست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من توقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما  
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في  
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط  
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غورست  
المعتمد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقروا في تقريره  
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن  
من فروع التفسير في سياسة الوكالة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة  
التقرير السنوي بالعربية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه  
فما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والعربية في وقت  
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب  
انكليزي ويحيى انكليزي » فقد نسج غورست على منوال كرومر ورمى عن قوسه  
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسبه بقدر ما كان ذلك يحاسبه

وصرح بعض الاحزاب بان هذه المحاسة تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك  
وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الايام ، لاسيما بعد زيارة الامير الملك الانكليز  
في هذا العام ، وهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان  
هذه التقارير تواريخ رسمية ، لادارة البلاد المصرية والسودانية ،

### كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نسيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض  
ما يسمح له من المعاني التي فيها عظة وحكمة وما يعين له من الآراء والخواطر او يراه  
من غريب المناظر . وقد أتى الى ادارة الجريدة ما كتبه من ذلك فطبعته وأطلقت  
عليه هذا الاسم « كلمات لقاسم بك أمين » فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات  
كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمنه عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمته المعنوية  
واننا نقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحصل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة يتجرعها الحليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم  
وليس بصحيح ان يوجد بينها خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال مادام  
موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء فهما كثرتا معارف  
الانسان لا عملاً كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف  
آخر وفي نهاية كل مسألة يجلبها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشغل  
عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول  
الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار  
له ولا حد لا في الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر  
مجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبغض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان  
الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجودا ربحت مع الراجحين  
لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصابن أحد حتى الاله من نصبه  
أتهس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذتها  
وينغص عليها شهوتها  
وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

### شقاء المحبين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالعربية  
حنا افندي الضحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن العبا  
نبوغا قلاما قاربه في مثله احد من المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولا ان فاجأته  
المنية في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يعد من آيات حياة العربية  
قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المعروفين كترجمة هذه القصة تكرر فيها  
فرائد اللغة التي هجرها الكتاب لقله اطلاقهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين  
وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدون ونقل فيها الاغلاط الشائعة الآن  
طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى  
الينا نسخة منها وعهد الينا ان لا نكتب عنها شيئاً الا بعد قراءتها قلنا لا بد لهذا  
من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد الينا بذلك لعلمه باننا نعرف قيمة هذه  
الترجمة البليغة . ونحن الجزئين معاً عشرون قرشاً وهي تطلب من طالبها

﴿ القطر المصري ﴾ مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر  
انشأها أحمد افندي حلي شهر محرمي جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان  
من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة  
الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

## الفصل الخامس (\*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام، واني بليغ لا تأخذه المية اذ ادعي لتصور هذه المنزلة ،  
سيدة بطلمتها الفضامة والشرف يتجيان ، والجمال والكمال يتأقان ،

ومزايا كلهم تقاً وطياً وكزهر السما بهاءً ونورا

من شرف حسب ، الى كرم محدد ، الى سؤدد قبيل ، الى عز عشيرة ،  
الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجبى ، الى طهارة نفس ، ذلك  
ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في  
المكاة الطالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولا نبأها بقريب من الانباء ،  
بل هي معروفة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب  
بغير الخمول ، قد طويت اعلامهن ، ولم ينشر ذكركهن ، ولم يسم في  
اقوامهن مقامهن ، فكيف تسمى اسم « خديجة » وعلت منزلتها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء  
هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعهم . وليس  
بكاف لتعالى امرىء ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه  
علياً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجة

الكرامة عند من لا يعرف مزيها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم  
فالحق ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعادة  
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعادة جدهم ،  
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كريمة لديهم ، وخسر قوم لا يعلم بينهم  
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتخلية  
على الطباع ،

واذا كنا معجبين بالسيدة « خديجة » لو فرقة مزاياما الشريفة فنحن  
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها  
هي التي نالت مقاماً كريماً في قرين بل كثير من فضليات نسائهم نلن المقام  
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام الذي  
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالهن من  
القدر الذي يليق بانسان ذي رأي مدود، وعقل مذكور ، ونفس مشابهة  
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا  
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه الا بمطاورة سيدة من اولئك  
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل  
نحن نعلم ان أكثر الناس يمرون بالمرية يعبدون أمثالها فلا يلتفتون اليها  
ما لم تكن رائحةً وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يعبدونه ايضاً  
ما يستحق الالتفات اليه ، ويفري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والتغافل  
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق العادة يوصل الى الحرمان البتة من ذلك  
الرائع المنشود ، والسامي الذي هو فوق المعبود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفنا الألفة  
 عن إجلال شأنها هي في جلاله الشأن عند الإيمان فوق ما تصور . وفي  
 كثير مما لا تفكر فيه منها ما تخر الافكار صائراً أمام زاخر نوائده  
 وباهر أسرارها فلذلك أحيانا ان تمر بقارئنا سرية في تفصيل جملة تلك  
 المزايا التي شرفها قوم « خديجة » حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانها ربما  
 اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معبودة في كثيرين وقد  
 يكون قارئنا من حزب الاكثرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا  
 يطربون بنير الغرائب

نعم ، نعم نحن لم نظرف بما فوق المعبود ، ولم نُهد ما وراء المشهود ،  
 ولا عدنا بمبتدعات التصور ، ولا لنا بغرائب الحوادث ، وشواذ المصادفة  
 وخوارق العادة ، ولم نمت الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومألوف  
 لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعبودات  
 على ما قلنا . واذا بنا اليها بنظر الإيمان غير وسنائة عين بصيرتنا التي نألفها  
 عند سام النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور  
 وفائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه  
 الوحدة ابناً أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم  
 يكن حسناً بنا ان ننسى أحاسن ما تله لنا هذه الامم من الصور التي لا نحصى  
 انا بتذكرنا من نادوا وشادوا ، وتذكرنا من صلحوا وأصلحوا ،



بتذكرة منا أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ أماننا الحياة وترتاح نفوسنا  
باعتجلاء أحسن صورها، وتوارد عليها اللذة باشتيائها إلى نصيب من  
زوة تلك الأم التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك  
المظاهر ولاسي تلك الصور، ولم لا تتوق إلى حديث ذلك التراث وهو  
يلا كنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنهه جواهر مخبراً فهي لا تسجز  
ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل بلوغ ما تميل إليه  
النفوس منها

## الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها،  
وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى، وبنور هذه الزواهر رأينا  
مدارك قريش في الافق الأعلى، وتربيتهم الادبية والمقلية في المنزلة العليا  
نحن مشربني الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثراً في  
الحقيقة مضبوذاً الحظ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة  
شريفة مسعدة لهاحبها وغيره وقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى  
النافعة الآتية بالنبطة والجور، ولدى التأمل نجد استعداد فطرة الشخص  
هو الاساس في حسن الحظ من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير  
فاذا اجتمع في الشخص استعداد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،  
والكمال السمي

عرفنا حسن استعدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر  
النفس اذا كان غير صالح لقطبها كما لا يصلح الماء، لان تطبع فيه ما نشاء،  
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب  
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر  
جديراً بالتنويه وقلنا رأينا من نوره به او التفت اليه فلذلك عيننا به نحن  
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيماً فان  
الترية الشخصية مقبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً  
اشبه بالمرآة يرينا من الاشياء مقبولاً ومردوداً ومسكوتاً عنه . وتشتهر  
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف، والمردودات حتى يطلق عليها  
اسم المنكر، ويضطر الناس الى تفرير ترية عمومية هي اذ لا يخالف المعروف  
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبج في المسكوت عنه من الاشياء حتى  
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجهه على نفسه، وذلك  
يستبج شيئاً حتى يجرمه عليها . وأهمل الناس في هذه الاشياء المسكوت  
فهما من جعل المعروف والمنكر معياراً لها فكل ما قرب من المعروف كان  
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ما قرب  
من المنكر كان مستردلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .  
والاصل في المنكر هو الاذى والمدوان وعليه تيسر الاصل في المعروف  
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فلي هذين الاصلين تقوم دعامة النظريات في التربية وعاليمها نشاد  
الاعمال فيها

وأى باحث لا تأخذه هيبة اذا طامع على ما كان لقوم خديجة من التمتع  
في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل،  
أى والله ان هؤلاء القوم انازلوا في ذلك البلد الصنير البعيد، واخوانهم  
الآخرين الضاربين في تلك الفيافي، يدهش المتطالع ما يراهم من الباع الطويل  
في فن التربية على مقتضى مجتمهم ذلك. فترجم مثلاً لما كانت السامة  
ضروية ولا سيما لذلك الاجماع جمالوها في المنام الاول ولم يأوا  
بطبها في النفوس حتى نبغ فيهم أجواد بنفوا بهمهم في الجود الكواكب  
وازنت الارض بمنقوب همهم، وايار اخيمهم الانسان على انفسهم، كما فعل  
كعب بن مامة الذي آثر رقيقته بانه ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان  
وكل مكان تجدهم جمالوها شماراً محامداً وتاج المناقب وسبروا فيما ضروه  
من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ملقى» وكانوا يهادجون بالموت  
قتلاويتهاجون بالموت على الفراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن  
أخي خديجة - قتل أخيه، صب فطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه  
وأخوه وعمه. اننا لانموت خنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت  
ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خنفاً منه» ذلك لانهم  
كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويرون الحياة الرذيلة معرضة للمدمم أكثر  
من الحياة الشريفة ولمثل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي  
(المنار ج ٤) (٤٠) (المجلد الحادي عشر)

عدداً، وأطيب ولداً، وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:  
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها  
 لا يستكرن أحد اذا قيل له ان الشجاعة - وهي السجية التي لا ترق  
 الام اذا خلت منها - كانت في العرب من الاخلاق الفاضلة التي لا يعتدون  
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قوسهم انطباع هذا الخلق فيبالن  
 أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجمان واقدامهم في الشدائد  
 حتى فضلوا، والجبناء واحجامهم فيها حتى رذلوا، وهناك من الشعر في  
 الشجاعة والشجمان ما يفعل في النفوس فمل الشعر فيستزلهما من الخوف  
 على الحياة والهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في  
 سبيله كقول عنزة وهو أحد مشهور شعرائهم:

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن عرض الخوف بمزل  
 فاجتبا ان النية منهل لا بدان أسقى بكاس المنهل  
 فاقني حياء لا ابالك واعلمي أني امرؤ سأموت ان لم أقتل  
 وقد يظن ظان ان شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا  
 الظن من قلة الاطلاع على جمة أخبارهم فنحن لا يزيدان تأتي بآية على  
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم ببدء اسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا  
 ان نذل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذ أراد كسرى  
 أن يوقع سواد بني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم  
 جيشاً كثيراً ليهلكهم به وبلغهم خبره فتجزوا له واعانهم قبائل أخرى  
 فتوافروا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم  
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،

وظهر فيها ما للشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحمى الثمار، وانقاه العار،  
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبجهم  
لقوا مللمة شهباء تقدمها  
فرع نمته فروع غير ناقصة  
فيها فوارس محمود لقاؤهم  
لما رأونا كشفنا عن جماجنا  
قالوا البقية والهندي يحصدهم  
لو ان كل ممدٍ كان شاركنا  
لما أمالوا الى النشاب أيديهم  
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت  
بطارق وبني ملك مرازبة  
من كل مرجانة في البحر أحرزها  
كأنما الآل في حافات جمهم  
ما في الحدود صدود عن سيوفهم

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الفرغ العجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة  
وما يمدون من يوم سمعت به  
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة

الا اصطلينا وكنا موقدي النار  
للناس أفضل من يوم بذى قار  
لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيه يقول شاعر آخر من بني عجل

ان كنت سافية يوماً ذوي كرم  
فأنتي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس جاءوا عن فمارهم وانلى مفارقيم مسكاوريجانا  
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة المربية أكل مظهر وكان  
المنذر لهم بنية كسرى وعزيمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيبان  
ينحبرم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والنحميس واستشارة الزائم  
وفيه يقول:

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم      ثم افزعوا قد ينال الامن من فرعا  
وقلدوا أمركم لله درككمو      ربح الذراع بأمر الحرب، مضطلما  
لا مترفاً ان رخاء العيش سائده      ولا اذا عض مكروه به خشما  
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره      يكون منبها طورا ومتبنا  
حتى استمر على شرد مويرته      مستعكم الرأي لافحما ولاضراعا (\*)  
وليس بشغله مال يثوره      منكم ولا ولد يبنى له الرفعا

فبلى مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من  
الشجاعة التي لا قرام الامم بدونها وكانوا لا يتدنون بالجبان ولا يعدونه  
شيئا مذتورا . يبنك بذاك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد منارا لنا      وفينا زياد ابو صصة  
فتة رهط به خمة      وخمة رهط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم «خديجة» في فقه النفس والحكمة والمعارف  
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتناقلون المعارف ويتدارسونها  
من غير كتب وكانت لهم المام قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) المريرة طنة الجبل والجبل الشديد القتل . والشرد اقتل عن اليسار  
والعنى استعكم امره ونوبت شكيمه . وانفحم ارجل الهرم وانضخ الضميف

تبعها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة  
بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب  
يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها الباري في الممذنب والنبات  
والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكأوا  
يعبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة  
عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق  
ان تسمى علماً وإنما كانت النسابون يعرفون اخبار أولئك الاشخاص  
وأخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان الاسبب في اشتراك هذه المعرفة  
باسم علم الانساب ان تاريخ الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب  
التي من أهم نوائدها معرفة تفريع القبائل وإحاطة التفرع بأصولها على  
شدة البعدين الاصول وتلك الفروع أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون  
بهذا العلم يلقون منه على من يتعلقون حولهم . قال رؤبه بن الججاج  
قال لي النسابة البكري « يا رؤبه املك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني  
وان حدثهم لم يفهموني » يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاتي هذا  
العلم حق الرغبة قال رؤبه فقلت له : اني أرجو ان لا آتون كذلك . قال  
فا آؤ : العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،  
ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من  
الانصباب على حفظها ودراسة الحكم الجوامع فيها مبلغاً عظيماً ويمكنني  
ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث مني من المعاني التي يخطر للنفس فيها الاستقصان

أو الاستهجان إلا ومجد لهم الشافي الوافي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا يثبتك ببعض ذلك شيء كالمأثور من كلهم الجوامع التي سارت مسير الأمثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الأقوال ، ولا نستطيع أن نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نهدم بالقارىء عن سياق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بتذكار الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسمت منها تلك الأفكار. ذكروا أن عمرو بن الخطاب المدوناني وحمزة بن رافع الدوسي اجتمعا عند ملك من ملوك حمير فقال: تساءلا حتى اسمع ما تقولان. فقال عمرو لحمزة أين تحب أن تكون أيديك ؟ قال « عند ذي الرتبة القديم ، وعند ذي الخلة الكريم ، والمعسر القديم ، والمستضعف الجليم » قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوّال ، والفني القوّال « قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال « الحرص الكاند ، والمستعيد<sup>(١)</sup> الحاسد ، والخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنمية ؟ قال من إذا أعطي شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مُطل صبر ، وإذا قدم المهدي ذكر » قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال « من إذا قرب منعه ، وإذا ظلم صفع ، وإن ضويق سمح » قال من ألام الناس ؟ قال من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع<sup>(٢)</sup> ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع »<sup>(٣)</sup> قال فمن أجل الناس ؟ قال « من عفا إذا قدر ، وأجل إذا اتصر ، ولم تطفه عزة الظفر » قال فمن أحزم الناس ؟ قال « من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجبل

(١) المستيد هو المستعطي (٢) معنى كنع هنا انكسر (٣) الطبع بفتحين



العواقب نصب عينيه ، ونبذ التهيّب دبر أذنيه « قال فمن أخرج الناس؟ قال من ركب الخطار، واعتسف المثار، وأسرع في البدار قبل الاقتدار<sup>(١)</sup> » قال من أجود الناس؟ قال « من بذل المجهود، ولم يأس على المقود » قال فمن أبلغ الناس؟ قال « من حلى المنى العزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المنفصل قبل التحزير » قال من أنعم الناس عيشاً؟ قال « من تحلى بالصفاء، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف، الى ما لا يخاف » قال فمن أشقى الناس؟ قال « من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم، على ما أنعم » قال من أغنى الناس؟ « قال من استشعر اليأس، وأظهر التجميل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم » قال فمن أحكم الناس؟ قال من صمت فاذا ذكر، ونظر فاعتبر، ووعظ فاذا جبر » قال من أجهل الناس؟ « قال من رأى الخرق مغنياً، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف النعم الذين نشأت منهم هذه السيدة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية تثقيف ناشئهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي أنقوها وتمودوها في التعليم وهي الطريقة الطبيعية الساذجة الخالية من الاصطلاحات والتماريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون. ولكل فرع أهله الذين بهم اعتماد لا لتقاطه بسهولة ولا يكلف البليد في شيء ان يكبد في تفهمه مدرسته، أو ينفذ في حفظه ذاكرته، أو في توسيمه مخيلته

ثم قد كان مما عني به المقالة من رهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولعهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهرضوم

## ٢٢٥ اصول الفضائل عند العرب أعدتهم للاسلام (المراجع ٤ م ١١)

وكذلك واموا بمداح النفاق وتشريف الاعضاء والنفائض، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم أئمتهم وأجلها لقب الطاهر والظاهر وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فاذا عرف المظالم الكريمة ان هؤلاء التوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل نفي السماحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والمدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني المنوح من يد القاطر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدهر في البلدان او حد بل يصل ذلك الفضل بإرسال رباني من يده سبحانه الى الثرات الصغيرة التي في الادمغة ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنوا بتوجيه العقول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من التناقص وتخليتها بالفضائل ممن لم يجهلوا أكبر مهمهم تجويد المأكل والملبس والسكن والنراش . فاذا نشر من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم ، واستوفت وار بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تلو اعدية الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أكبر مميزات جماعته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او تلك الدين واقام الوحي بينهم باسم أمه قال « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَرُؤُوسُهُمْ يَاقُونَ »

بمصر عبادى التنى يستعملون القول فينبور رأيت  
أولئك الذين مناهم الله وأولئك هم أولاد الألباب

الملك  
١٣١٥

بوتى الملكة من بشاره من يؤمنها حكمة قضاة  
بغوا كبريا وما يدعوك إلا أولاد الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ٥ منارا ٥ كمنار الطريق

( مصر - الاثني ٣٠ جادى الأولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ )

## المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصرينا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد الملى ارقى من المسلمين فلم مجلس ملي وجمعيات وجراند دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحمدتهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لما وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيا ويجعل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان يقوموا كما تقوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكذ قهر شقيقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط ويقنعهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين ومأموري المرا كز منهم فواقفتهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنعهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبيل المحتالين بغير حق واغفلوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً ثقيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقخر عليهم فكان ذلك جل ما يفتون من حركتهم الجديدة ( ۱ ) قامت قيامتهم ولم يكتفوا بما يكفون كل يوم للشيخ عبدالعزیز من الصبيان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون تعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها واممها المسيحية قبل ان يبيدوا المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاويش الذي أهانوه أضعاف ما أهانهم وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويعقدون الاندية والسمار للبحث في هذه النازة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذ سنين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

( ۱ ) مما كتبه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكأتمهم في اثبات ذلك الخطر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ۳۶۹۸ من جريدة مصر الصادر في ۹ يونيو الماضي وهذا نصه :

### اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة أنحاء القطر تقابل ماجاء بصحيفة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار ، فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصغى الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل ينبذ نبد النواة ويترك يذبح ذبح الكلاب وليس من يسمع له قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتلفرافات الكثيرة لما كتبه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق اللذين خلق ( أي اللواء ) لها عدوا ليخزي هو واتباعه ( أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء ) اذا كان من القوم المدركين » ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئین والسامعین، والاساتذة والمعلمین، أن صار یفضل کثیر منهم القبطی، علی المسلم الشامی والحجازی ٥٠٠٠، بل سمعت غیر واحد من المعلمین والمعلمین یقول لا فرق عندي بین ان ینكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وان المسلمین جعلوا أحزابهم وأندیتهم شرعاً ینهم وین القبط - وان القبط یتعصب بعضهم لبعض فی کل مصلحة وکل عمل حتی فی القضاء - وان المسلمین علی شدتہم فی انتقاد حکامهم قلما ینتقدون القبط فہم ینتقدون وزیر المعارف المسلم علی إحسانہ فی عملہ بحجة انه لم یکن فیہ مرغماً للانکلیز ولا معاندا لہم أو انه یجب علیہ ان یعمل أكثر مما عمل ولا ینتقدون وزیر الخارجية القبطی الذی هو الصق بالحتابین و بالاتفاق معہ ستلخ لورد کرومر السودان من ملک الدولة العلیة وملكہ للانکلیز وکان رئیس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامیة تعیر وتب العضو المسلم فیہا ولم تذاکر رئیسها بسوء - من علم هذا وأمثاله یتعجب أشد التعجب لہذہ الثورة المعنویة التي آثارها القبط فی الوقت الذی یبالغ فیہ المسلمون فی موادتهم وتوثیق عری الاخاء بینہم وینہم - حتی ان فی الامر مثارا للعجب، وقلنا رأینا من بحث فی حقیقة السبب، یقول بعض الناس تبعاً لبعض الجرائد أن قبطی الرحا لہذہ الحركة اخنوخ افندی فانوس رئیس جمعیة الرابطة المسیحیة ووجع الاصلاح القبطی وصاحب جریدة مصر اللذان یسمى کل منہما الجعل ولده مديراً فہما اللذان أيقظا ہذہ الفتنة لظہ شخصي فكانت فتنة جنسیة او طائفیة باتباع الجمهور لہما - ومن رأی أنہما بریتان من ہذہ التهمة ولو کان ذلك ہفوة لہما، لما خفي علی جمهور طائفتہما الخازمة البقطة، بل یغلب علی ظني ان ہذہ الطائفة تجبل عن أن تتوسل الی تقرير جعل المديرین منہا ہذہ الوسيلة لان ربح مدير لا یوازي خسارة مودة المسلمین لہم، ودعوتہم الی مساواتہم ومواختاتہم - ہذہ الخسارة التي تعرضوا لہا الآن، بمتہی ما عندهم من الجراة والاقدام والراجح عندي ان القوم شعروا بالتغیر الجدید فی السياسة وعلم بعض کبرائتہم بالنیا الذی نشرناہ فی الجزء الماضي قبل ان نعلم بہ - وهو عزم الانکلیز علی السماح لأمیر البلاد بإنشاء مجلس نیابی - ومن البديهي ان جمهور القبط لا یرغبون فی ان ینكون فی مصر مجلس نیابی ولا أن یقال المختلون من سيطرتہم علی البلاد - فلما علموا بذلك

وأما أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقناع امنهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم يهضمون وهم الاكثرون حقوق الاقلين. واني لمعظم لقدرهم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاتف وان ترجح عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإثمها اكبر من نفعها ،

سما غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم الملية يعدّ من الأمور الطيمية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعصم بعروة التعصب فانها تنوب وتفتي في الأمة الكبيرة التي تعيش معها فالقبط معذورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعية لا بد منها

وتقول نعم إن ذلك طبيعي وبديهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فما بالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الأمة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تنفي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أوتيت الى ركن شديد ، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطالبة المسلمين بما يطلبون بالأمة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلالة فرعون ذي الاوتاد ، ويجهرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وآتواي معتد ، وينكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فاتحون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنطقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما بيناه من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزمها على السماح للأمبر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسمونه مسؤولية إدارتها . ولا نعرف لهم ركنا فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نزع نهضة المسلمين بالنعصب الديني — فهذا ما رأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شاويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

عصر برهاناً على ان في مصر تعصباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانه فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتعويل في رغائبهم عليه .

ولكن فاتهم على حذفهم أن السياسة ( لا سيما الانكليزية منها ) اذا قررت أمراً أنفذته لا محالة لا يصددها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كسألة التمصب الاسلامي ، او حقيقة كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنشرهم بأن السياسة الجديدة التي بينها المنار في الجزء الماضي واقعة ما لها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صارموكولا الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فقصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالربح الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالاتهم من التهمك بمجد الاسلام الاول والشماتة بزواله كالتصير عنه « بالعظمة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتعصب عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يتنذروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السوريين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوربية ، لإيهام أوربا ان في البلاد تعصباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربحاً للقبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبغون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الاجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن



رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فبين لهم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة ممتازة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجنبي ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبؤهم من أضعف جانب فيهم كنبزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أخاهم ، والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجمعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالغلو في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يغري المسلمين بمناظرتهم والتشبه بهم في جمعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائفة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تبادى وعظم - انقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشي ان يكون من التقاطع والتدابير بين العشاء والظلماء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا يفتروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مهما أصابوا من تمضيدي مشاققة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا إلى سابق شأنهم أو إلى خير منه ان استطاعوا والمسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان ينفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غرير كريم » أي ليس بذي نكر ولا مكر ولا خداع . ولولا اني أحب الوفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظ حقوقهم التي أغار عليها ، ولكني أفضل أن يكون تبيينهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثام مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط -- ولولم يكتبوا في الماضي ما كتبوا لكان خيراً لهم . أحسن إظفاً لتلك الفتنة وخذلاناً لموقفها - ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة ثمة في تعصب بعضهم لبعض ، وتعاونهم المالي الخفض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصحيح ، ولا تترج الرواية بشيء من التأييد والتجريح ، فضلاً عن المحر والتقيح ،

ومما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يتازون بحق رسمي على غيرهم من نصارى المتجندين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود ايضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط وبدون القبط إخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم ويعلمهم القانون المصري مصريين لولادتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالنسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخنوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد وتحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أميرها وكيلًا لخليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولإدارته لأوقاف المسلمين ، وتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له أم هو لا يملكها الآن إلا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لأن البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لأنه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسمي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشيء قط فلماذا تكون أمورهم المالية انحصاراً كالمحاكم الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون أمور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يفلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التمادي في هذا العدو والسياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمناقضتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لولا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لفلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وانا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كنيستهم ( كنتربري ) والا كانت القبط طائفة حقاء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير بانشاء المجلس النيابي وتقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فانني اشهد للقبط بأنها أرق طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليية لا أقرن بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيا بل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعَدُّ في التشوف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امة » ، وحقية بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاناً على عاوهما « وثقها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امة ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فناقشها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات ووافقها بعض آخر كما وافقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب او الى الامة . وقد استعمل بعض الكتائين من الفريقين المهجر والسباب ، والتنازع بالانقلاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ما هو من صناعة البلقاء ، ولكن القبط تطلب ان يتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتذر للجميع عما تقول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد عادا في الاهانة فتساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر بقي معناه انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يطلب على الفريقين نزع الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضفت ماقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليية ، وابعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امة وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في نقل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا ببيت رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الفيور عليهم ، المتفاني في ترقيتهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها اتهازا ، ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟  
اما الأول فمن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتحصب ، على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقبط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها إسلامية والبلاد عن كونها دار إسلام فمن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تخرج فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا بدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فجمعنا القبط مديرين لامور المسلمين ، واخال على مانصل منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرتنا العدوان ، وأرثنا الأضعاف ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يندك ولا يظهر ، وعقبة لا تزول ولا تقتعهم ، او قدمنا النتيجة على المقدمات ، وطلبنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذا ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا مارآه الكاتب فيه من الصواب ، فإن تبين له انه مخطئ فيه يادر الى المتاب ، واستغفر ربه وخرّ راكعاً وأُتاب

## فَتَكْفُرُ الْمُبْتَلِينَ

قدعنا هذ الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، وانقاذ كرا الاستلة بالتدرج غالباً ورماعا قدمنا متأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا ولان يعض مني سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا مذكور صحيح لافعله

### بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامر وكيل تلغراف (بليس - شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل - لا اعبد ما تعبدون ولا اتمتع بعبادون ما اعبد - فإني ان أعطيتها حكم غير العاقل كتقاعدتها التحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وان اعطيتها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذني عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المعبود» واذا أريد بها الصنة تطلق على العاقل وغيره - وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التعبير - ولعل السائل يعلم انه قل عن سيوريه وغيره ان كون « ما » لما لا يعقل أعلي لا مطرد والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة - قال الزمخشري في الكشاف : «وما» عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك قول العلماء « من لما يعقل » اه اي فاطلقوا « ما » على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل - وفي حاشية الامير على المغني بعد ذكر عبارة الكشاف : قال الفتازاني اي يصح إطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فنخص « من » بالعاقل و « ما » بغيره - وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء - واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق

أهل العربية على قولهم « من لما يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كانت لغوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر مبها مرادا به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » وليقع وصفه يعقل مفيدا غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لا حظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان ( ما ) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي تفسره الصلة

هذا . اتى رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأجبت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

«الكافر هو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغضض عينه ، وإذا سمع احرف من كلمته سد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يذعن بحجة إذا اخترقت فؤاده ، بل يدفع جميع ذلك حبا فجا وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه ( ٢٢ : ٨ ) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمهم ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون ) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه : الام يدعوننا ؟ إلى الله فنحن نعتقد به ؟ إلى توحيدهم فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر تتخذ شفعا إليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكاتبهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده وتوسل اليهم ليتوسلوا إليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له ( ١ ) قل يا أيها الكافرون ٢ لأعبد ما تعبدون ) أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي انكم لستم بعبادين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فانكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه ، بتعظيم الوسائط لديه ، فتوسلتم بها إليه ، وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده ، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلماذا لا تعبدون ما أعبد بل تعصونه وتخالفون أمره . ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعاتهم ، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمائهم ، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم ، وهم على اعتقادهم بالشفاء - عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء ، نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال ( ٤ ) ولا أنا عابد ما عبدتم ) فما هذه مصدرية وليست بالموصلة مثل التي تقدمت أي ولا أنا بعابد عبادتكم ( ٥ ) ولا أتم عابدون ما أعبد) أي ولا أتم عابدون عبادتي . ففاد الجملتين الأولين الاختلاف التام في المعبود ومفاد الجملتين الأخريين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المنزه عن الندب والشفيع ، المتعالي عن الظهور في شخص معين ، أو المحابة لشعب أو واحد بعينه ، الباسط فضله لكل من أخلص له ، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبغين الصادقين عنه ، والذي تعبدونه على خلاف ذلك . وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالفضلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فأين هي من عبادتي (٦) لكم دينكم ) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إليّ فلا تظنوا اني عليه أو على شيء منه ( ولي دين « د » ) أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه ، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه ، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي بيناه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة « لكم دينكم ولي دين » فانها صريحة في ان المراد نفي الخلط المزعوم . وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية ( ٦ : ١٥٩ ) ان الذين فرقوا

( ٥ ) لفظ « دين » مضاف الى باء التكلم المحذوفة لأجل الوقف



دينهم وكانوا شعباً لست منهم في شيء) أي لآلاقة بينك وبينهم لافي المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صح شيء مما ورد فيه فأحمله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اه

### النقوط

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرشدونا أرشدكم الله : « هل ما يسمى ( النقوط ) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالنقدية أو ما يقوم مقامها محلل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يندل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على باذله ولا على المبدول له إلا ان يقصد به الاعانة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والنقوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والاصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الاصل

### حديث من زار قبر والديه يوم الجمعة

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله . اما بعد فقد جمعتي وجماعة من اكابر علماء الازهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامح سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتتم ذلك بمناركم المفنيء وان كان ضعيفاً او غير حديث اوضحتم سبيله ولكم الفضل والحديث هو ( قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار احدهما فقد أتى بممرة) واذا صح هذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرج به هذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في اسناده وضاع وله شاهد في اسناده ضعف . وروي « من زار قبر ابيه او أمه او عمته او خاله او احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اه

ولعله يعني بحديث الشاهد من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب براء لما فيه من الزيارة عزاء في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي اسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لضعيف ولا شك عندي في ان كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلفون بعد اعتياد الناس زيارة قبور الاقربين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شيء

### زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حلي الكاتب الاول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحسين النسيب الفاضل الافهم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والاكرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلاقكم المشهورة الاجابة على السؤالين الآتيين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلّم عنهما في مجلدات غابرة ان نجيبوني عليهما واكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بدرجتهما في أول عدد لاهية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الاصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

## (المنارج ٥ م ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت بوفاة النبي ٣٥٣

س « ١ » هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س « ٢ » هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون او يذيعون ؟ هذه هي استئني ياسيدي وقد افنعت المجادلين لي في السؤال الاول قللا عن اغائة اللفهان للامام الحجة ابن القيم فلي يقنعوا واما السؤال الثاني فلم أتكلّم عنه بشيء لعدم معرفتي حقيقته ولم اعثر في الكتاب المذكور على شيء بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتنعوا حتى ينظروا جوابكم بالمنار لا اعتقادهم فيه وهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انواعي اي حال فاننا ممنونين وتجدنا متظرين بفارغ الصبر افندم

### زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الرغبة فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » رواه احمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنها وعن غيرها

### استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تخرى أصحابها الصالح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم وتخييره بقبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادريس البجلي القصاص عن أبيه عن وهب بن منبه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منبه . وأبو إدريس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

## الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يسكت عنه وان طال عليه الاملد وانا سنشر في المنار بعض ما كتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع ما كتبه في مصنف خاص . ونعتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تفتح ما في العبارة) فنبداً بعبارة ثم تقسم القول وورد على كل قسم منه بالتفصيل

### ﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته :  
« قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الأوربية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسمى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح ( في المعاملة ) ويحمله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه .  
دومن الجهة الأخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلهي الى فاس ومن الاستانة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فما هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي اثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري؟ انها مبينة في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبيننا بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لهم من اعتداء عرب قريش إذ قالوا « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأثي الفواحش وتقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث واداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزر وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصداقناه وآمانا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد أفاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام - وخصوصاً الفقراء بينهم - عزاء روحيا فضلا عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا ريب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيرا من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السير جون سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوما ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجدها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اه  
« ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتائج لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستالي لاين بول - وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون آلهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة ( أوطا ) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منحط جدا . ( ثانيها ) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التغيير فتج عن ذلك ان تلاشي من النظام الاجتماعي ما فيه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لما يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الأكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي يثبت ارتكابها الجريمة الاعتداء بالسلاح ليلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فإما ان تقطع يده ليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بمذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه اولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوحز بحربة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي تحز في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقلعوا خواطرم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات القرن العشرين المدنية ولكن العادة المبنية على القانون الديني مؤيدة بالمطالاة في اكرام الشارع الاصلى قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . ولقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » فالمسلم الصحيح في الايام الحاضرة ملتف بالشرع اكثر من التفاف الناس بالقلنسوة في القرون الوسطى .

( ثالثها ) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق . فقد قال السيد ( امير علي ) « ان محمدا وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحفض من هذا الشر » ولكنه عجز من الفائه تماما أما أتباعه فقد تناسوا عدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنوانا لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكتف قبل الآن بان يستعبد العبيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقا على الرق . « وقد اشتهر أخيرا ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه التهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهبوا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيرا في الحرب وزد على ذلك أن الخصاص الطافي كان كثيرا فقام السنيون في وجه الشيعيين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلا منذ سنوات غير كثيرة . وزي من الجهة الأخرى أن تورخ الاسلام لم يشوهها شيء من مثل تاريخ ديوان التفتيش وزد على ذلك ايضا أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لعواطفه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي بتساهل يشوبه شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد بث المهلال والصليب والجامع والكنيسة جنبا إلى جنب سنوات كثيرة ومع ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والافتقار لا للمشركين فقط بل يشركهمهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله ( ثم أخذ يصف الاسلام فقال ) : « ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه مجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكره يجب أن يكونا أساسا للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يحدث بعضا خاصا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي » يقول القرآن ( ٤٧ : ٤ ) فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي إذا تختمتمهم فشدوا الوثاق ٧٠٠ يا أيها الذين

آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم )  
 وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله - « ومن الجهة الأخرى تجد في سورة البقرة قوله ( ٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين ) قلاً أقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية في الأكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته »  
 نعم ان محمداً إنما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك المطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أليست كلمة الغازي وهي لقب يطعم بأحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يجارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافراً ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رؤوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن نعتبر كل بلاد غير اسلامية « دار حرب » ، فتمى علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نموروح عدم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيانهم وترقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري - مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفاءته - فهو على كل ذلك لا يقد أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان اليد التي منحها ليست يدمسلم وهذا الأمر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي



أجنيباً عنه . مها بنذل الانكليزي من وسائط التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - ( وهنا نقل اللورد قول المستر باثري ) « الإسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان مبزة الإسلام الا حقيقة مكندرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الخائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للإسلام وما يعارضها في النصرانية . وابحث في النتائج التي تلي تحقير المرأة وقابل بين الشرقي الاسمر والغربي الايض في القوي العقلية والادبية والطادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والأذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخاطئين . حتى انك لتجد في أقل الامور شأناني اعمال الحياة باعثة غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جهة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلقى في السماء أولئك الذين راقهم في الأرض وهذا الأمل من جمل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاما عن اعتقاد المسيحي لان الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالبا الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة واما المسلم فهو على العموم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طالبا معيناً

« المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء واما المسلم فانه يصلي جهارا بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهارا انه معتمد على الله في جميع أعماله وأموره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجودا يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

« ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهارا وينام ليلا واما المسلم فهو في صيامه يقطع عن الأكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فلتها تكسر الصور والتماثيل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً واما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جوامع

« قد يكون المسيحي نظيفاً بعض الأحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة نبي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

« ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والأدبية تجمد الفرق بينهما ظاهراً » ثم بين فروقا أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحتل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقساوة لا يزيد على ما يروونه في جنوبي أوربا ولعلنا كما قال « لاين » في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً منتظماً النمو ولكنها ناشئة عن معاشره الطبقات السافلة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورت سبت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن ( ٣٨:٦ ) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )

وكما انصف في هذه جار وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الأوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال :

« فقابل هذه المزايا بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « منحنجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضاً انه سأل شيخ الأزهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد « وقد منعه أدبه الطبيعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كيدر وكوبرنكوس

وتعاليمها » الخ ( الكلام بقية )

## القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز ( ١ )

﴿ المسألة الثامنة ﴾

﴿ موت سليمان ﴾

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ » فما قضينا عليه الموت ( أي على سليمان ) ما دام  
على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا  
يظنون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين « إعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان  
إذا لحقه الموت فجأة عقب انفعال عصبي ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال  
في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى  
على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا  
وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي  
تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض العساكر يموت ويبقى واقفا مستندا  
على بندقيته كأنه حي الى ان يتبدأ التحفن في الجثة فنزول ييوستها وتسقط  
فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على  
عصاه ( منسأته ) ففاجأه الموت فحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يموت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

( المجلد الحادي عشر )

( ٤٦ )

( المارج ٥ )

فشاهدت الجن انه لا يبدي حرا كما ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حالته وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة ( وهي من دواب الأرض ) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت الفأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فسقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يعلمون النيب ما لبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولعرفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى ( ٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام )

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ

سليمان ما ينافيه

### ﴿ المسألة التاسعة ﴾

( الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان )

قال الله تعالى ( ٣٨ : ٣٤ ) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب ٣٦ معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا يرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاختره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الحلقة ( كأن يكون لارأس له ولا مخ أو نحو ذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين ) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سماه الله جسداً كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله ليخلفه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على كل حال

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجع الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقني بمن يرثني في هذا الملك فوسعه علي وزدني سلطانا ومتعني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تعوضني بذلك ما حرمتني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاءه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطيور وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه ( وهو ابنه رجعم ) ولكنه كان ضعيف العقل سيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وأقمنا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رزقه وقال أقمناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « أقمي الليلة على كرسى الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالواد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافة فاحذر مما قالوه ولا تعابأ به فانه مثار لشبهات كثيرة

### ﴿ المسألة العاشرة ﴾

( اللؤلؤ والمرجان )

قال الله تعالى ( ٥٥ : ١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠ بينهما برزخ لا يبغيان ٢١ فبأي آلاء ربكنا تكذبان ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) فقال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الطاهر واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الأنهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة بامتخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماء بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales من أستراليا

## ﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾

( السماء في القرآن )

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب سماء والكواكب سماوات والفرغ اللانهاي الذي فوق رؤسنا هو سماء أيضاً وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل في الكوكب وفي النبات فثال الأول (١٠:٥٣ والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦:٥٥ والنجم والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلام من المعنيين ويسمى هذا النوع من الألفاظ بالمشترك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى (١٠:١٦ أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولذلك قال في آية أخرى (٤٣:٢٤ ألم تر أن الله يرزق سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله) الآية وفي قوله (١٥:٢٢ فليمدد بسبب إلى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٧:٥٥ والسماء رفعها ووضع الميزان) معناه الكواكب والأنف واللام هنا للجنس وكذلك في قوله تعالى (٦:٥٠ أفلا ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماسكة ثم هي في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه ببعض (وزيناها) بأن جعلنا أشكالها جميلة مستديرة وان بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالأنوار الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (وما لها من فروع) أي شقوق فلا ترى كوكباً منها به كسور أو منشقة أجزاءه أو متفرقة فهو كئنا كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى (١٧:٥) ولقد زيننا السماء الدنيا بصايبح وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ اللانهائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين باقتضاض الشهب منها لاهلاكهم كما في قوله (٣٧: ١٠) إلا من خطيف الخيطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وهذه المسألة لا يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبت نبوته عندنا بالبراهين القاطعة كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧: ٢) خلق سبع سماوات طباقاً) المراد به الأجرام السبعة العلوية المشهورة التي كانت تعرفها العرب وتراها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمرج والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما تعرفه العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥: ٤٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يناسبه إلا ذكر العدد الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى انقضاء المقام عدم ذكر العدد هنا بالمرّة لقلته فلو لم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له ومثل ذلك قوله تعالى (٣١: ٢٧) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالآية تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا هذه . ونقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سماوات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقة لها بتفسير الآية كما لا يخفى على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الأخرى أيضاً في عدة معاني مختلفة فهي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والقام هو الذي يبين هذه المعاني المختلفة كما هو المهود في اللغة العربية

### ( المسألة الثانية عشرة )

#### ( الأرض والجبال )

قال الله تعالى ( ١٢:٦٥ ) الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلين ينزل الأمر بينهن ) وقال ( ١٥:١٦ ) وأتقى في الأرض رواسي أن تمدبكم ) وقال ( ٧:٧٨ ) والجبال أوتادا )

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع إلا في الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فاتها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع فلذا قال هنا « ومن الأرض (بالافراد) مثلين » أي في المدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الأصلية أو الأساسية فإن الآية لا تدل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الأصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما يناء سابقا في مسألة السموات وقوله « وأتقى في الأرض رواسي أن تمدبكم » تيمد من ماد التسفينة أي

(١) حاشية - من تذكر أن لكثير من السيارات توابع كالمصير بالنسبة للأرض وهذه التوابع أو الاقار تضيفها فيهم معنى قوله تعالى ( وجعل القمر فيهن نورا ) فإن الألف واللام هنا تصحح أن تكون للجنس لا للعهد والمعنى أن الله جعل الاقار أنوارا تضيئ بها السموات



مات واضطربت فمعنى الآية أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنعها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة إلى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال تثقلها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تقي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض بالتهب ونسف قشرتها أو زلزالها الدائم ولا يخفى أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هداً للبشر جميعاً بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادراً كما هو الآن وحاصلاً لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباسا » أي كاللباس في السترة فالعنى أن الجبال كالأوتاد المغروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع تقطها إلى مركزها كما تشد الأوتاد بالجبال المربوطة بها أدركنا ما ينهمن الشبه العظيم وفهنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ١٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

### ﴿ المائة الثالثة عشرة ﴾

( تفسير آيات عدم صلب المسيح )

قال الله تعالى ( ٤ : ١٥٧ وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح ) قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لأنهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسمي عيسى مسيحاً لأنه ذلك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والأوهام والعقائد السيئة ورقى نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالمملك العظيم الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون أن المسيح سيأتي ويرد

لهم ماقدونه من المجد والسلطان ( عيسى ) تريب لفظ يشوع ومعناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسعي به كثيرون قبل المسيح بينهم ككيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفاءلون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير لخلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب ( بن مريم . وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) أي اشتبه عليهم الامر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرا أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاما بحيث يندع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم فقد فرأ تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بنبرهم وقد ذكر «جاي» و«فريير» مؤلفا ( كتاب اصول الطب الشرعي ) في اللغة الانكليزية حادثة استحضرت فيها ١٥٠ شاهد المعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم اربعمون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالا كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم من شابههم من الكسور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جدَّ الاطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى ( وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سبقت ولذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإيناه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى ( ٥٥: ٣ ) إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهر لك من الذين كفروا ) وكقوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة ( ١١٧: ٥ ) فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم ) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى ( ٢٥٣: ٢ ) ورفع بعضهم درجات ) وقال ( ١٧٦: ٧ ) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فغى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته وأسكنه بمجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى ( ٣: ١٦٩ ) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله ( ٥٤: ٥٤ ) إن المتقين في جنات ونهر ( ٥٥ ) في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) فكل هذه العبارات « كمنه الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فاعتروا به فأخذوه وقتلوه وصابوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدبره لسيدته فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً ويلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأنجاه من مثل هذا العذاب وذهب بعض الأنبياء إلى بعض الجبال ووفاتهم بها امرهم بهود كما وقع لموسى عليه السلام ( راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦ )

ثم قال الله تعالى ( ٤ : ١٥٨ ) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ) أي إن كل شخص من أهل الكتاب لا بد عند

وقاته ان توضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه أنهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيى يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإِنَّ لَعَلَّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ) فعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله ( ٣١ : ٩١ ) وجعلناها وابنا آية للعالمين

وقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من حوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى ( ٦١ : ١٤ ) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) . وقول اما في عصر المسيح عليه السلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلب الله الرومانيين على اليهود فشتنهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئاً فشيئاً حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت دياتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى ( ٣ : ٥٥ ) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنينا هنا هي عند الله كالحضات ( وان يومه عند ربك كالف سنة مما تعدون ) ( انهم يرونه بعيدا ونراه

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليههم لنبيهم لا ينافي انهم مؤمنين به فلذا وصفهم الله تعالى بالايان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله تعالى (٥٧ : ٤٨ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، ( للمسائل بقية )

## باب المناظرة والمراسلة

٤

### ﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما الأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا ياحقها بالقرآن الشريف -الدين الذي يكفر منكره شيان القرآن وما تواتر عن النبي ( ص )  
وتقول ان الله جل شأنه ارسل رسالا اوجب على عباده تصديقهم واتباعهم في كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتابا يقرأه او كلاما يتلوه بلفظه — بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ام بالفعل على ان القول مقدم على الفعل ومعرفة الشرع بالقول اكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخصص طريقا ولا طرقا معينة لحملة الشرائع في تبليغها الى من نأى وبعد مكانا او زمانا ولم يذكر في موضع ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق أهل الملل قاطبة وهذا مما نبجل حضرة  
الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسوله مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر  
بالمحال ولا يكلف نفساً إلا وسعها فهو أوجب على الأمم تبليغ كل مسألة من شرعه  
بالتواتر وعلى المبلّغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً  
للاشاة الأديان، ومعطلا لسائر المواصلات ومعاملات بني الإنسان، والله منزّه عن  
إرادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لنقل مسائل الدين

دل القرآن على أن من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسوله وردها جحداً أو  
مكابرة أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسوله واستحق العقاب وشديد العذاب  
ومن بلغت الحجة عن رسول من رسوله حين وجوب طاعته في خصوص تلك  
المسئلة من طريق لا يردها في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم  
رد ما جاء عن الرسول بتلك الطريق تشبهاً فلا شك انه معاند ومكابر ومنازلطاعة  
ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة أو آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين يعني  
الأحاديث الصحاح الآحادية ولو كانت مشهورة ومستفيضة ثم قوله « الدين  
الذي يكفر منكروه شيطان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في  
أن من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجباً  
الا اذا نقل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من أنكر  
ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض  
الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء  
قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرايطه عند  
أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض  
صوره وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر ما ويصر على بعض الناس معرفته  
وتحقق وقوعه في ذلك الأمر بل يمكن ان يوافيه حماته قبل ان يبلغ من ذلك مرامه،  
والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بخبر

الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد  
الاسلام او نشأ بعيداً عن العلماء كفر وان لم يكن منقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية  
نحن لا ننكر ان بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم التجريبي  
فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما اننا لا نسلم ان ما هو متواتر عند اناس يلزم ان  
يسلم تواتره الآخرون .

ان من رمى التقليد جانبا وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه  
والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظراً الناقد البصير  
علم علماً لا يعتريه شك ان كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما  
جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام ، عن الخلاق فاطر الأنام ، وحيث كان غرضنا  
في هذا المقام تحقيق الخبر المسند الى رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب تقوله

### العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية إليه فمنهم من شدد وضيق فلم  
يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ما امتاز  
به الانسان في اعلام مدارج انسانيته هو تعطيل جميع الارتفاقات والتعاون على تحصيل  
أنواع العلوم المختلفة المواضيع اذ من المحال ان يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي  
قد حققها وعرفها جميع البشر — فهؤلاء المضيقون غاية معتقدتهم تعرية الانسان عن  
أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما  
عرف من ان إحساس بعضها أقوى من إحساس الانسان . ومن نتائج مذهبهم  
المشوم ضياع وأحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين افراد  
الناس في أشد ضرورتهم — ولذلك ترى هؤلاء المضيقين من أكثر الناس  
تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد  
ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدتهم على جانب بعيد وفي  
غاية لمناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم  
ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوجهي

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تقيصه تعالى شأنه المؤدي الى نفيه المؤدي الى الخال في الضروريات والتدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أو منفولاً لغيره فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فسلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلم لكنه أهمل بعضها لاشتراطها شروطاً يصر أو يتعذر وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من تقدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالأجماع عملاً أو التواتر فقد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ اننا لا نأظن انه يلزم ذلك في الأول ولئن ائتمه فالواقع والمشاهدة ترده وهي أعلى حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم إذا بطل في الأول اشتراط ذلك ففي الأديان كذلك ! ا قدما من تلازم القدر بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية - وهو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد . الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والأمر ما ذكرناه وجب عليه التقيب فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قررناه في الرد على الدكتور صدقي ( ص ٩٢٦ م ٩ ) وقد ذكرناه منذ ايام في ذلك فرأيناه مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم



يقبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيح بلا مرجح  
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين التقيد بما أسس بعض الناس بل نهانعن  
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر فإوافق ديننا الذي هو الدين المستحيل  
مخالفه للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل ان تترك ما لدينا من الحق وتقتصر على  
مادى الخالفين وان دل عليه ديننا اماما خالف ديننا فلا شك انه مخالف للعدل والعقل  
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل  
الصحيح عليه ( ١ ) ومن زعم ذلك فعليه اليان نعم في الدين اشياء لم تستعد بعض  
العقول لإدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر ابواب  
الطرق المؤدية الى العلم فاذا كل لبعض الناس استعداده العقلي وصار انسانا بالمشي  
الذي خلق لاجله فلا شك انه يدرك معلومات لا يكمل العقل الا بادراكها فعلي من  
لم يأت هذه البيوت من ابوابها ان يسأل اهل العلم ( للكلام بقية )

## شكر المنار على تأين ذكاء الملك

رسالة جاءتنا من العالم الاديب بدائع نكار ميرزا فضل الله اليهقي مدرس  
العلوم الادبية في مدرسة طهران السيامية . ورغب اليانا ميرزا محمد علي خان نجل صديقنا  
( رحمه الله ) ذكاء الملك ان نشرها في المنار فنشرناها كما كررنا للاديين فضاهما وهي

هو

جدير ان يوذّن في المنار معارف عنوت في المنار ( ٢ )  
وكان في محاق الجهل دهرا بفرته سألنا من سرار  
سأجل شكر منشأ دثاري واجمل مدحه ابداء شعاري

( ١ ) المنار : صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم ونصديا ليانه  
بما كتبه الثاني في اعلام الموقعين من التفصيل البديع ( ٢ ) لعل الاصل « معارف  
عنوت باسم المنار » او « عنوت في ذاء المنار » فسقط لفظ « ذاء » سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصيب وجوه  
أمني لشمول عواطفه رجاءً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف  
اللطائف ، الأكتائب الأيناس قبل الأباس ، والمناج بلا اسباب وامراس ،  
ولكني اجل سيدي من ان يحتاج العبد الى تقربه بالوسائل ، ويمت اليه بذرائع  
القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهارا ، بدعونا الى نار قرأه ليلا ونهارا ، فلا ألام  
على ذلك الاقدام ان لبت دعوته ، وصلت قبلته ، وأتيت ناره ، وعمت داره ،

قَبِيلٌ بِمَجِجِ مَأْوَاهِ وَنَائِلُهُ فِي الشَّرْقِ يَسْأَلُ عَنْ نَيْلِهِ سَيْلًا

على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من  
مولاي نعمه التي أحبت القلوب ، وامامت العيوب ، وحسن منا الاخلاق ، وعلق  
علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الشاء ،  
\* ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب \*

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنارج في مدرسة السياسة من طهران ،  
بعد ما وقفت على فائحة المجلة في خراسان ،

تنورنهما من أرض طوس واهلها ينرب أدنى دارها نظر عالي  
وقفت على تأين الفقيه الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من  
الأسف. ماجربي إلى التلف

فقدنا ذكاء الملك لأبل سماءه وما حال ملك زال عنه ذكاؤه  
فقدناه لو ان يقندي لفتيته ولكن قضاء الله حتم مضاهوه  
مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الهموم ، وأحى على اكبادنا مكاوي  
الغموم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمرام اليانغان ، وقرأه الطالعان ،  
لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكننا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه  
وفي الحي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

فها انا مع عقدة لساني ، وعجمة بياني ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وتقصان  
بضاعتي ، وكلاله يراعتي ، أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على قبدينا ذكاء  
الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

ويقيم على تثقيف الأود من المعجم والعرب ، وأن يجمل كتابي هذا عنده مقبولاً ،  
لامردود علي مبدولاً ، وأنهى الى تلك الحضرة العلية من أدينا ذكاء الملك بن  
الذكاء ، أزمى واوفى الثناء، اختتم كتابي مقتدرا بذلك الخطاب  
لا تنكرن وان اهديت نحوك من علومك الفر وأدابك التقا  
فقبم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا  
العبد فضل الله بن داود البيهقي المدعو بديان نكار  
للسنة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

### حجج البرهان الصريح ، في بشار النبي والمسيح

( عليهما السلام )

عنه تعالى من نشر كتاباً فيه بشار النبي والمسيح عليهما السلام منها لذي عليه  
السلام وأمه من نبوة اشيا ص ٤٠ عدد ٣٠ ص ٤٠ عدد ٢٥ و ٢٥ ص ٤٢ عدد ١٦ و نبوة  
دايانك ص ٣ و ٧ و ٩ الوارد فيها ختام النبوة والحساب من حرب ادريانوس ملك  
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانتهاء المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن الفتح  
والجهاد . وتبين فيه صحة الترجمة في مواضع من في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦  
عدد ١٣ «انساناً وحشياً» قال العالم الامرائيلي الترجمة انسان بري يسكن البرية) يده في  
الكل ويدالكل فيه ولفظه العبراني يرى آدم أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا  
محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مز مور ١٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته  
أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب  
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضاً اجعله أمة لانه نسلك والاصل العبراني  
ان نسلك هو ولفظه «كي زر عذاهو» اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق  
الرب له من غير اب» من نبوة ارمياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئاً حديثاً في الارض  
انتي تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارميا هذه في القرآن  
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختص بالمسيح يحكي بالوحي  
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من

(المنارج ٥) (٤٨) (المجلد الحادي عشر)

البطن عبداً له لاوجاع يعقوب فيضم اليه اسرائيل ولم ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤٠ اما انا فقلت عبثاً ولحيثه الثاني عدد ٦٠ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجمك نوراً لآدم لتكون خلاصى الى اقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦ « واجمك » قالوا بدلها فقد حملتك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٣ عد ٤٧ خلاف الاصل العبرانى أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوة ميخا ص ٥ عد ٣ و ٤ تؤيد ان له بعينين كنبوة اشيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشيا ص ١١ التي هي لحيثه الثاني لان فيها يرفع راية الامم ويجمع بني اسرائيل من اربعة اطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشيا ص ٤٩ عدد ٦ لتكون خلاصى الى اقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشيا أيضاً المنتمية لاص ١١ وهذا في آخر الايام كما في نبوة هوشع ص ٣ عد ٥ ونبوة اشيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بحبيته الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحميه منهم كما في عدد ٢ « في كنانته اخفاني » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قامت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشيا ص ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شمي » والاصل « ضربة لهم » ونفظ لهم بالامرانى « الاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالباطل وحضروا منها واتبعي ارميايين كثيراً منه في صرائيه وفي عدد ١٠ « فسر » والاصل فارادوني عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسله » ولم يكن في الاصل العبرانى لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يرى نسله في مز مور ٢٢ عدد ٦ : « تبوا يدي والاصل « كأيدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبرانى والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ وبنين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة وتذكر نبذة في فضائل الاسلام وتطلب منه تعالى العون في البدء والختام

( تقيده ) في نبوة اشيا ص ٤١ عدد ٢٥ « أهدته من الشمال » وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها « أهدته من مخبأه » وهو الفاء وعلى وضع الحركة قام نبينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قبادار كما يأتي وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قبادار وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل حروب » إشارة للجهاد وقبادار ابن اسحاق كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣ « يا خت حارون » ورفاعهم كانوا يصمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عدد ٢٤ سمي المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣  
 تمت في يهوذا المكابي واخيه يوناثان  
 وموجود بلد اسمها سمر «شمر ون بالهبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما  
 في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار تومس الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول  
 بني اسرائيل  
 احمد ترجان

## باب التعمير والارشاد

### نادي دار العلوم

لا يجمل أحد من المتعلمين في مصر، ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة  
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع  
 للبلاد، واقدر على القيام بأعباء التعليم والارشاد،  
 فتحوا باب البحث في التعريب والترجمة فأفادوا ما افادوا - ثم فتحوا باب  
 البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن  
 المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا  
 وانشأوا المصارف (البنوك) المالية - وان الدين اذا كان يمنهم من كل ما يعرف  
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر  
 خطب غير واحد من اعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبهم يتابع  
 لفوائد النقلة والاجتماعية والاقتصادية - وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً انارفيه  
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعريب والترجمة ولم يتصد منهم أحد  
 للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام - وقد ألقى صاحب هذه  
 المجلة (المنار) كلمات وجيزة في ذلك أدعجتها في التفسير من هذا الجزء ولم يكن  
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك  
 هو المجلي للمسألة والمقرب للصواب من الافهام  
 ثم بحثوا في مسألة الزواج والعادات في الخطبة والاحتفال في العرس فأجادوا وافادوا

## البدع والتخرافات

### وَالْبَقَايِيدُ وَالْجَنَائِدُ

#### اقتراح بناء مدفن لعظام الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقتراح بناء مدفن لعظام الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد

نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحثة بالبادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة او قلمي متفرخ في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتعلم من مبادي التقاليد الأوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض العمل التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لثمة وضعت الامم الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنيت القبور وشرقها، وعظمت هذه الآثار المائلة حتى عديتها ولكن كان إثمها اكبر من نفعها، وشرها اكثر من خيرها، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشریفها كما في حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع تماثلاً الاطمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته »

ربما قالت باحثة البادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس رسوم الوثنية حتى لا تنازع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر « عصر المدنية والنور عصر المادية والعلوم » واذا اتفتت العلة اتفتى المعلول فقد قل مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في تمديد رد على من انكر نصب تماثيل لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور على ذلك ولكن لم يكفوا بسكوتهم مدعين

ما سهل تفهيم هذه الشبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام للتمثيل والنصب والقبور المشرفة الا انكفي بأن أقول ان هذه شعار وثنية منع الاسلام مسورها لأنها تذكر معادها وهو بعد حين مؤرخ حتى ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سدًا للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جاهل العوام ، فلونصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فأنهالا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر وتبرك بها او يعبدها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها وفعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولع فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً وبنيت له ضريحاً وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون انه حمار فاذا كان الأمر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظامهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عظام الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا ما يجرمه الاسلام وبعده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فتقول كيف نأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيماً دينياً بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقرى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف نأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نحلها أشياءه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأولياءه كقولهم : فقيد الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه . بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم يفضلهم عليهم . وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاه بها ان روحه مشرفة على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن ! : وذكر أخوه الكبير من أنباء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجملة بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمته وكلامه كالانجيل والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير

او كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعده رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء ، في رثاء الانبياء والصديقين ،

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، ( ٣٩ : ٣٥ ) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا ( ٥٢ : ٣٥ ) تربعص به ريب المنون ) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال ( ٣ : ١٤٤ ) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صاحح « قتل محمد »

أفرايت من يفلو فيه الناس ذلك الفلؤ الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب - وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارقين وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه نفعنا اكثر مما نفعنا الاسلام! - أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟ ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتشدوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستمجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتم لم تبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الإسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية المالك التي فتحها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ما ترمون اليه بالتماثيل ونقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والافتداء بسيرتهم هو ما يقيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لمجرد نصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعوا اليها داع ، وكلما يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبذلون لها المال ، وتدعون الى تعميمها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كاهل افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبذلون ترقيتها ما جعتم للتثال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يجبا به ذكره ، ويرغب في التأسى به ، فلماذا لا تبذلون المال لنشرها ، وتعميم النفع بها ؟ ؟



## الفصل السابع (١٠)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع ، ومحبوب لفائدته عند العقل ، ومع  
كثرة ما ألفت العيون رؤيته ، والآذان سماع أحاديثه ، لا تزال أسرار  
موضوع التفكير ، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب ، كيف لا وهو  
السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته البلى من الابداع ، والسبب  
الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في سراقي الوجدان والادراك . فشرفه  
مجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم . واما قوم حرموه فقد باؤا بحرمان  
عظيم . ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة»  
فانها منزلة جديرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء  
القوم انهم كانوا الاحظ لهم من الجمال ، ولا ذوق لهم في الحسن ، ولا  
نصيب من توجه النفس الى الاحسن .

كبرت سبباً ان يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف  
في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم  
يكونوا مع ذلك ذوي خطمة جميلة وصورة بديعة

وكبرنا تقصيراً ان لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب  
هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يهيروا اسرار الخليفة نظرة  
تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه  
على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس ، ويحمدونهم أهله الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاءهم ، وتناسقت أوضاعهم ، واعتدلت أشكالهم ، بياضهم جميل ، ليس فيه بهق بعض الاجيال ، وأذمتهم لطيفة ، ليس فيه حلكة بعض الاقوام ، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين ، وتكون آية المتهى في جمال العالمين ،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمن بما يتناقله الكل من صفات الحسن يجد ثمة جهة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة ، واستواء الهامة ، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعته ، وحلاوة الميسم ، وملاحة العينين ، ولطف الحاجبين ، ورقة الشفتين ، ولعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورينهم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم وتشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال ، قد يبلغ به متهى الكمال ، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثروا في كلامهم من شيء بمقدار ما كثروا من وصف الجمال وقدراً ينالهم يستحسنون هذين اللونين كثيراً : البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة . قال ذو الرمة احد شعرائهم :

بياض صفراء قد تنازعا لوانان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القران المجيد تشبيه حسان

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عندما ينطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته أطف من الحرة الملازمة لبض البيض وعن مثل هذا جبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حرة خلطَ صفرة في بياض      مثلما حاك حائك ديباجا

ولكثرة البياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للابيض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأبيض المشرب بحمرة أزهر ، وتشبيهم بورد الحدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحرة لا تطبع الا على أديم أبيض ورأيناهم يشبهون الاعناق كثيرا بأباريق الفضة كما قالت قريبة بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس عجيب بعد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغربي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بعد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، ونقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبأوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الغرام الى ما هو أولى ، نقلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، وركت بهم الى عشق الكمال المنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الذين شفقهم الجمال المحسوس ، ان يفهموا الجمال المقبول ، وان يزدادوا  
نصيبياً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يبرز عليهم ان ينتقلوا الى العالم الجديد  
الذي دعوا اليه لانه تبدى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للرب الحظ الاوفر من الشفق بالحسن  
والاستعسان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا  
لذلك العهد من أرقى الاجيال الراقية على بعدهم عن الزخرف ، وعدم  
نظمتهم بكل أسباب الحضارة ، ولطنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة  
جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المتبدل من المعاش ، وانتمتعوا  
في المتبدل من الاقاليم ، وحبب اليهم المتبدل من المهن والاعمال ، وأضافوا  
الى ذلك انهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً وللاختاب دخل كبير في  
تحسين الجنس وتجويد النسل .

وان بدا لأحدهم ان يتزوج بمن سمع بجمالها سابقاً تجده لا يقصر في  
البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقهن ، وجودة امثالهن ،  
والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجميل وعلى مبلغ هذا  
الحرص من الجمال :

أراد ملك من ملوكهم ( هو عمرو بن حجر ملك كندة جد امريء  
القيس ) ان يتزوج ابنة عوف بن عيلم ( الذي يقال فيه لا حرّ بوادي عوف  
لا فراط عزّه ) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتتزوج  
اليها وتمتنع ما يلزمه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام »  
قالت : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة زينها شعر حالك ، ان أرسلته منك  
السلاسل ، وان مشطته خلته عناقيد كرم جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان

كأنها خطا بقلم ، أو سودا بحجم ، قد تقوسا على مثل عين البهيرة ، التي لم  
 يرصها قانس ولم ينعرها نسورة ، بينهما أنف كدالسيف المستول ، لم يحنس  
 به قصر ولم يمض به طول ، حفت به وجتان كالأرجوان ، في يابس محض  
 كاللجان ، شق فيه فم كاللثام ، لذيذ البتسم ، فيه ثيابا غرور ، ذوات أشر ، يتقلب  
 فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يزين به عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي  
 بينهما شفتان حراوان كالورد ، يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذلك عنق كالبريق  
 الفضة ، ركب في صدرها مثال دمية ، يتصل به عضدان يمثلان الحما ، مكنزان  
 شعبا ، وذراعان ليس فيها عظم عس ، ولا عرق يجس ، ركبت فيهما كنان  
 رقيق قصيبا ، تقدان شئت منهما الا تامل ، تأني ذلك الصدر ثديان  
 كالرمانين يحران عليها ثيابها - الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها -  
 وشيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزمرد ، يحمل ذلك قدمان ، كعدو  
 اللسان ، - فبارك الله مع صنرها ، كيف يطبقان حمل ما فوقهما ،  
 ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كتقول بعضهم من قصيدة  
 ويزين فوديتها اذا حسرت      صافي الفداثر فاحم جد  
 فالوجه مثل الصبح مبيض      والفرع مثل الليل مسود  
 وجبينها صلت وحاجبها      شفت الخط أنج تمتد  
 وكانها وسى اذا نظرت      أو مدف لما يفق بعد  
 فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لرط خديجة حظ منه  
 كبير ولم يكن حظها هي منه قليلا

## الفصل الثامن

تراؤها والنزاهة عند قومها

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجمال وفضائل النفس حظ من الثراء أيضا وراؤها في حياة أبها وكانت تاجرة وامل آباها محلها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئا يجب منه في قومها فاتهم كادوا يكونون كلهم تجارا، تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشرية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، ومنافسة الاقرب والابعد، ولولا شغفهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا ذلك لاستطابوا من العيش ما استطاب ذلك الاعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « نخ نخ عيشنا عيش تامل جاذبه <sup>(١)</sup> وطعامنا أطيب طعام واهنؤه وأمرؤه، القت <sup>(٢)</sup> والهييد <sup>(٣)</sup> والصليب <sup>(٤)</sup> والعليز <sup>(٥)</sup> والذآنين <sup>(٦)</sup> والمراجين <sup>(٧)</sup> والضباب <sup>(٨)</sup> واليراييع <sup>(٩)</sup> والقنافذ <sup>(١٠)</sup> وربما أكلنا والله القد <sup>(١١)</sup> واشتوينا الجلد،

(١) تامل من التمل وهو الشرب بعد الشرب «٢» القت القمصنة وهي الرطبة من علف الدواب «٣» الهييد الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة «٤» الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها «٥» العليز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في الحاجة من الوبز والدم. (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبات طويل ضعيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع عرجون العود من النخل (٨-٩-١٠) الضباب اليراييع والقنافذ حيوانات معروفة «١١» القند جلد السخنة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرخى بالاً، ولا أعر حالاً، أو ما سمعت  
قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إِذَا مَا أَصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مَذْيِقَةً<sup>(١)</sup> وَخَمْسَ تَمِيرَاتٍ صَفَارٍ كَوَاكِرَ  
فَنَحْنُ مَلُوكُ النَّاسِ خَصِيْبًا وَنَعْمَةٌ وَنَحْنُ أَسْوَدُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَهْرَاهِرِ  
وَكَمْ مَتْنٍ عَيْشِنَا لَا يَنَالُهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ حَقَّ فَائِزٍ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بَسَطَ مِنْ حَسَنِ الدَّعَاةِ ، وَرَزَقَ مِنَ السَّعَةِ ، وَإِيَّاهُ  
نَسْأَلُ تَمَامَ النِّعْمَةِ «

هذا ما استطابه الاعرابي وحمد الله عليه هذا الحمد . وما  
الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيعون اذا اخلصوا  
الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة  
ما يقيم مادة البدن فقط كما تطالبه سائر الحيوانات بل يتسابقون الى ما به  
الغبطة من التفتيات والذخائر، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات  
والبدائع، ويمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف، وقوة  
في المدارك

وقريش كما عرف القارىء كانوا ممن أعدم الله لعمل عظيم في  
الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم  
وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيستأفونه وما أماءهم الا المفاسرة  
في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لا ثقاً بمن هم  
عتيدون لمثل ذلك ان يجمعوا في بلدهم ولا يعرفوا العالم، ولا تميل نفوسهم  
الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع، بل اللامق

(١) المذيقه تصغير مذقة وهي شربة من اللبن المزوج بماء كثير

يهو لاء أن يكون كل واحد منهم أنطق حاله بقول ذاك الشاعر من  
أبناء ملوك العرب ( امرء القيس )

فلو أن ما أسمى لأ ذنى مميشة كفاي ولم أطلب قليل من المال  
ولكنما أسمى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل امثالي

وحقا كانت حال القرشيين ناطقةً بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له  
في المجد أرب، فلا بدع إذا انصرفت أقسّمهم الى تحصيل المال فإنه أعظم  
أدوات هذا المطلوب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونهوا بالنبي قومه  
عند الشدائد منهم عبدالله بن جدعان الشير بجنته التي كان يقدمها للفقراء  
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمد قومه بالسلح في حرب حاربوها  
وسلح مئة كفي من غير قومه ممن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل  
أحد اخوة السيدة « خديجة » العوام ابو الزبير <sup>(١)</sup> ومنهم أمية بن خلف  
ابن وهب وابنه صفوان الذي أُرعن النبي (ص) أنه قال فيه « ان صفوان  
بن أمية قنطري الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير <sup>(٢)</sup> وكثيرون  
غير هؤلاء

فإن الله ما أشبه قريشا الضارين في أغوار رمال العرب وأنجادها لتقل  
المتاع من هذه البرية وإليها على سرا كهم سفن البر، بالفينيقين الضارين

« ١ » تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها اربعة  
عشر عاماً وحضرها مع اعمامه يحيى لم النبيل وعبدالله بن جدعان معري شهر ومث  
كبير وهو من نخذ بني جمح

« ٢ » أمية بن نخذ بني جمح أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي  
(ص) أما ابنه صفوان فاسلم بعد فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم



في أكباد تلك المياه وأطرافها لنقل البضائع من هذا النهر الى ذلك على  
مراكبهم فلا تنص البحر ، فلئن كانت لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء  
وصيف بين زفير الامواج ، ومما ركبة الامواد ، فلا بناء هذه البراري أيضا  
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومما لجة الرمال

لعمر الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا يقسم ولجيراتهم  
انما هو في أن يمتدوا للتجارة لانها في الاعم أقوى الاسباب المقربة من  
البدائم ، المبيدة عن الحياة الوحشية ، فقاموا بهذا المرغوب غير كسالى  
فكان لذلك رجحهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالانعام في  
ذلك العصر السحيق والمكان البعيد. وكان بلدهم على هذا البعد عن العمران  
المتمثل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت  
تجبه العرب الى البيت المعظم الذي فيها وجددير ببلدة يحج اليها العرب  
ذلك الحج ان تكون للا من داراً ، وانما تنسق شجرة التجارة في رياض الامن .  
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً موقفةً في العام قبيل أيام الحج  
وفقدون اليها لينيموا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول  
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه  
« ذوالحجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع باسفل مكة  
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان النعمان بن المنذر ملك  
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبعده عن مكة كان يمت كل عام الى  
سوق عكاظ جمالاً محملة بزاً وطيبواً لتباع في هذه السوق ويشري له

بمنها من أدم الطائف (١) ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يجيرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعناؤها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأى يبادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقرى تقيفاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من أدمها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغى الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجمون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي ، وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقيموا السوق الدائمة في تلك البلدة « أم القرى »

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله المنذر في ذلك اما نحن فنذهب حيرته ببيان وجيز لا يسعنا اكثر منه لثلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طبيعي كسائر البلاد. ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للدبغ وبعضها للطب وبعضها

« ١ » الأدم بضمين وفتحين الجلود المدبوغه والواحد أديم

الطيوب وبمضها للتظيف فاذا أضفت الى ذلك ما كانوا يحفظونه من ألبان  
الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبدوم أصوافها وأوبارها وجلودها  
وما كانوا يحفظون من التمر والزبيب وغيرها تجديبضاعة غير يسيرة يحمل  
مثلا الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه  
في العواصم

نحن اليوم لا تصور مجتمعا حضريا الا بأن يكون فيه أمير مسيطر  
وجندله حافظون، وزراع وصناع وتجار للمماش ضامنون، وقد رأى القارىء  
ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله فمضى ان لا يقبس على استغناؤه عن  
سيطرة الامير استغناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كالأقنان هذه الثلاث  
لا قوام لقوم بدونها . ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة»  
منها لا نقصد به عدو مفاخر لهم الا من جهة أنهم تطبوا بدار كرم وهمهم  
على كل ما كان يحول بينهم وبين المقاصرة في إدراك شأوا الأمم والابتعاد  
عن البداوة من بعد ان أو شك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب  
إخوانهم الآخريين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منقطع عن العاصرة  
وأعطوا الحضارة حقا على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق . وترام  
مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأتون منه ويرفعون عنه فأقاموا  
ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب  
كانت تأنف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة  
على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خاليا

منها البتة فنك اودية يجرود فيها الزرع والفراس وتجري فيها العيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

اما التجارة فلم تكن العرب تأنف منها فلذلك باسرها القوم بأنفسهم كما باشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأتون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الأدهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الاداة والماعوز والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الاشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الاكسية المعتادة ، وضروب الاطعمة والاشربة المهدودة ، وصنوف الماعوز والاداة اللازمة ، والعاقر المعروفة ، والحيوانات المتداولة ، والأسلحة الشائمة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة ويقال ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشهير كان زازاً ويقال انه كان سمساراً كما ان أبا بكر الخليفة الاول كان زازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزخرف وأبعد عن التسابق الى المتاع الزائد عن الحاجة نرى ان حاجاته التي تحتاج الى عمل التجارة لم تكن قليلة و نرى أنها وحدها كافية لان يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الاول في ثراء قريش وكثرة الثريين منهم لاننا لم نصلهم الى ذلك العهد وجها من وجوه المراج ونماء المال أعظم منها

وأصناف الاموال التي كان الثراء بها عندهم هي الذهب والفضة ، والابل ، والرقيق ، والاراضي للزرع والفراس ، والاراضي للمعدن ، ، أما الذهب والفضة فهما الواسطة البظني في تبادل العروض والاعيان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر انه كان لديهم منها شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك انه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته ( المدينة ) والآخر عدوا له في وطنه ( مكة ) أدت تصاريف العداوة الى اشتعال حرب بين الفريقين في الحبل المسمى بيدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً اقتدوا أنفسهم ووزوا في فدية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرياً من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من انهم اتفقوا على حرب النبي في أحد ربح العير التي جاء بها يوسفان من الشام وقدره خمسون ألف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية

وأما الابل فهي أوفر أصناف أموالهم والابل مال كثير البركة لصاحبه فالتليل منها فيه الفنى والغذاء، والنعمة والهناء، من درّها الغذاء، ومن أوبارها الكساء، ومن جلودها الماعون والحذاء، ومن بعرها الوقود

للاطبخ وكشف الظلماء، وظهورها صراكب لاطمن والحمل والنجاء،<sup>(١)</sup>  
 وبطنها أعظم بها واسطة للنماء، فبميشك أيها المطالع في أي صنف من  
 أصناف الاموال الحضرية يجد أحداً مثل هذه البركة، التي لا تحتاج إلى  
 شيء عظيم من الحركة؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعدُّ مالا في جميع جهات الأرض  
 وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق وإذا مررنا النظر عن استرجان  
 هذه المادة نرى أن لاشيء أقم من عمل الآلة المتحركة بنفسها، النامية  
 بطبيعتها، المدركة بخلقها،

وأما الأراضي للزرع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً  
 ومن متولي قريش من كان يملك أراضي في الطائف كتبة وشيبة ابني ربيعة  
 (من نخذ بني عبد شمس) وغيرها

وكان نظر القوم إلى الزرع والضرع أعظم من نظرم إلى الذهب  
 والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال «حجران يصطكان إن أقيمت  
 عليهما نقدا، وإن تركتهما لم يزيدا، إن أفضل المال برّ سمراء، في ربة عبراء،  
 أو عين خراة، في أرض خوارة»، أشار بهذه الكلمات القليلة إلى أن  
 الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الأرض  
 التي هي أول رأس مال أما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن  
 حركات دولاب الأعمال فقط. وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الأمم  
 وأما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعاً وبعضها كان مملوكاً  
 أما كون بعضها مشاعاً فمأخذه من عادة العرب في جاهليتهم من أنهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجمل لها  
حسب وحرما الملوك الذين يمدونها من جملة الاموال العمومية التي هي  
حق للخزاة العمومية خزاة الملائكة . واما كون بعضها كان مملوكاً  
فمنتهى مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي<sup>(١)</sup>  
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكانهم اشيع ملك بعض الناس ببعض  
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بمد الفتوح ان يقطعه شيئاً منها  
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبيّة (منسوبة الى قبل بفتحين)  
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه أياها  
وأقطعه جبل قدس للزرع

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف  
اليها العروض والامتنع التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول  
اليوم كل ثراء فإز ملك الاوض والمعادن لا يزال ايضاً ينبوعاً روراً  
للثروة ، واستخدام الفعلة بأجر ينحس نوع من الاستعباد والاسترقاق  
اعني ان فائده المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضاً مقياساً

« ١ » الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً  
من قريش « من بني عبد الدار وهط خديجة » وكانت أمواله تستثمر في مكة وكان  
مكثراً من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « ص » فقال له ان لي ذهباً عند  
امراتي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي فائذن لي لأصرع السيد  
واخبر أخباراً اذا قدمت أدراً بها عن مالي ونفسي فأذن له النبي « ص » وقدم مكة  
وأخذ أمواله بحية

« ٢ » جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيماً لثروة الأمم، وعلى مقدار ما تقدم كله يكون محور التداول للعروض والامته والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يباشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يتجر به ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معهوداً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالية فلم يكن بأس على المال بتسليمه الى من يتجر به بالموأجرة او المضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة «خديجة» التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أموالهن ولم يكن لابيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبث به الى التجارة مع ذوي الامانة ذاهبا وآيبا

وفي ايثار هذه السيدة ارسال أموالها في التجارة على الأتجار بالنقود في مكة كما يفعل المرابون دلالة على بمد نظرها، وعلو همتها، وعظيم عطفها وحنانها على وطنها فان الأوطان تسمى بأقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالنقود



## الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت  
أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد المخزومي. وكان الزواج  
المرضي في الجاهلية كالزواج في الإسلام أي أن الرجل ينخطب إلى الرجل  
بنته أو من له عليها ولاية ويقدم صداقها فيزوجه ، وأما ما يذكر من  
أنواع أنكحة الجاهلية الأخرى فهو من باب السفاح لا من باب الزواج  
المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وإنما يفعل  
أغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولدًا من أبي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب  
إذا كانوا يضمون للدكتور أحياناً أسماء الإناث فبهذا هو ربيب النبي (ص)  
أخو قاطمة لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الإسلام وأسلم. روى  
عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمائل  
وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم  
وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سيجب القارىء من زيادة تعريفنا لابننا هذا ونحن لانكتمه  
السبب وذلك أننا نحب ان لاندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً  
ومهملًا ولا سيما بعد ان رأينا كثر الذين كتبوا في سيرتها لم يترضوا لذكر  
ولدها هذا فكاد يضيع ويختفي الأ على المتقنين في بطون الاسفار الواسعة وعندهم

في ذلك انهم انما يترضون لسيرة هذه الفاضلة على الغالب منذ تشرفها  
بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن  
يعرفونا بشخص ممن مضي فيسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يطمونه  
ويجذبونها الى شيء آخر

على اني لا أنكر انه اذا سطت الشمس لا يبقى لبصيص السراج  
مكان. فن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس الهدى « محمد »  
صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أمّ الحسين ثم يرجع  
باحثاً عن ابنها ذاك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لمرك اذا وصلت يدورها الى هذا المقام تضاهلت امام نظرك كل  
ما نسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن  
الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون  
كله باسمه الشريف

فن هنا بدء الحياة العليا لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها  
في لوح الوجود ، وبدء اشراق مواهبها في سماه السمود ، أمامها الآن  
الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ،  
وليتبارك كلاً وبهاء

### ﴿ الخاتمة ﴾

#### ﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعميرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولندكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعميرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٧: ٥٧) وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقاه لبلد ميث فأنزله به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ) وقال أيضاً (٤٤: ٣٣) ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤ قلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعلبة لآولي الأبصار ) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله ( من جبال فيها ) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كما شبه أمواج الماء بالجبال في قوله ( وهي تجري بهم في موج كالجبال )

(٢) قال تعالى (٢٨: ٨٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفاعون ) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله ( تحسبها جامدة ) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله ( صنع الله الذي أتقن كل شيء ) لا يناسب مقام الأهلاك والابادة . وقال أيضاً ( ٩١: ٩ ) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها ) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى ( ٣٠:٣٠ ) أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتهبة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً ( ٤١:١١ ) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ) أي وهي ذات دخان لا تهاب أجزاءها ولكون أكثرها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى ( ١٣:٣ ) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي فسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله ( وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى )

(٥) قال الله تعالى ( ١٥:٢٢ ) وأرسلنا الرياح لواقح ) أي ملقحات للأشجار  
 (٦) قال الله تعالى ( ١٧:١٢ ) فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ) وهو يشير إلى أن القمر ( وهو آية الليل ) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى ( ٣٦:٣٧ ) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨  
 والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون )

(٨) قال الله تعالى ( ٣٩:٢١ ) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ) الآية

قل لي بأبيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو يخطر له على بال وخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجمل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل

واحد وأنها كانت دخانا . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأُنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطيعة . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العليم الحكيم  
الدكتور محمد توفيق صدقي

## باب المناظرة والمراسلة

٤

### ﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعمد فنقول التواتر هو وان كان من الطرق المفيدة للعلم اذا وجد الا اننا لا نحصر افادة العلم بالأخبار فيه كما اننا لا نلزم به كل أحد قبل ان يعرف انه متواتر اذا لم يقصر في الطلب او كان معذوراً بعده عن أهله  
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من اقواله (ص) الا القليل الذي لا شيء فيه من احكام الدين

اقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع بعد تواطؤهم على الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزلة التواتر في الاحاديث النبوية . وهذا اول ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي نقلاً عن شيخ الاسلام ان قول ابن الصلاح نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق واحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لا بعاد العادة ان يتواطؤوا على الكذب او يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن احسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً وجوداً كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة (أي المتواترة عن مؤلفيها) بأيدي الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مؤلفيها اذا اجتمعت (اي او اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور اهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدداً

تجمل العادة تواطؤهم على الكذب أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الخُتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من مجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمُنصف مكانة الخبر الذي ينقله آحاد ثقات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والتقوى وعرفوا ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متعمداً يتبوأ مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت ومحمّلوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والترهيب عن كتم العلم

فاذا اتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يبصده ! يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ما سمعوه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثوقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقل بمثل هذه الاسانيد اليقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويبعد كل البعد ان ينسى نسيانه لذلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية الندور فلا نسلم ان ذلك يضر في الدين اذ قد اغتفر ذلك أي النسيان والخطأ فيما حاجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط . وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر قلب يضر الحاكم ان يحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يتنزه ذلك في الرواية اولى لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً . فبين بذلك ان ماعسى ان يطعن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يبعد وقوعه عادة — بل هو اولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يبعد العقل تواطؤهم على الكذب عادة . فبعد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح ادينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه قد تصحح الجماعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد يبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد — وذلك دليل واضح على ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين من نبي نوعه

ونحن ايضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه فيه من يعتقد انه احفظ منه فمثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد ان يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير العدول — وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه لا يسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؟ فبين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضا احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الآحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكتب السماوية في شرائعها وانباء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلقوا عنهما جماً وفرادى وبعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأمور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكليم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمرة الله بأنذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . واثني الله على من احتج بخبر الواحد كوثن آل فرعون الى غير ذلك مما لا يكفي لبسطه المجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآحاد مطلقا ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم وبمقال داود الظاهري والكرائسي والحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآحاد يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا عمل لهذا الاعتراض من أصله على انه يحتمل ان يكون قولهم « خبر الآحاد يفيد الظن » قضية مبهمة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآحاد قد يفيد العلم . وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآحاد يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين - بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتج به من الكتب التي صفت في الصراح والحسان لأن أخبار الحسان بتعدد الطرق - ولا يهولك ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائعهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلقونها من وسم بأعلام الفضل والعدالة في زماننا هذا - يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يمدون احاديث من

(١) النار : أي هي بمعنى بعض خبر الآحاد يفيد الظن . وفيه ان التبادر من

الإضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا



سمع في بيته الفناء موضوعة - فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن. قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منقضى ومبرأ من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله - على أن لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكتوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الأمة بأسرها صحتها أو حسناتها لتعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الأمة على قبوله اذ كانوا بين عامل به ومتأول وهو فيد العلم لان سكوتهم عن الطعن فيها هو كذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو التأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كثير لا يجوز العقل تواطهم على الكذب عادة .

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً معصدة كثيرة ألجأتهم الى عدم الردولها نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل الى التأويل - وان ما هذه حاله لا يبعد ان نقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر - وما ذكرناه معلوم ان عرف حال المحدثين واحتياطهم في رواية السنة -

الاتراهم قد عمدوا حتى الى جميع ما شاع على السنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده الى أصله فما بالك وما رأيك فيهم اذا وجدوا مالا يصح مكتوباً في كتب الهداية ؟ اتراهم يسكتون عليه وقد عرف من عاداتهم ان ما في اسناده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم ؟ ان أهل الحديث لا يستبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً -

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الأحكام في كل طبقة إلى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية - فان كان أحد يشك في قولنا فليتبع كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفاسير وغيرها - اننا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجزم بان رجال هذه الأسانيد بعد توطؤهم على الكذب - لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث -

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فساده ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرفت فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم

وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرص وبعض الظن لقوله تعالى « ان بعض الظن إثم » وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجدته انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك « هل عندكم من سلطان بهذا » وقوله « ما أنزل بها من سلطان » وقد يذمهم الله بما رضتهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يعتقد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يعارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الآحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد يفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) النار: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الأولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا ايراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .  
ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لان الله أمر وأوجب الحكم بخبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله واذ « حكمين الناس ان تحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وهنا عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتج المحال فهو مثله فازم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فعلي كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضا اطلاق الظن مقابلاً للعلم انما هو اصطلاح حادث مخالف لاصطلاح القرآن وعادته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائكة حساية — وظنوا انهم احيط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم واقعوها الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك جملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم

فمن يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في بعض الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك تقول ان عملهم بالاخبار الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا لمرجح علموه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا احسن ما انزل اليكم — تقبل منهم احسن ما عملوا — فيتبعون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لا ينحصر الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله » فيجب على العالم ان يجتهد واذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتى يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتركم بمعناه عندكم وزيادة على ذلك تلتزمكم شاعات وفظائع لا يلتزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نبرئ حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدى الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها فنقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بغاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالاً

### ﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت روايته او ما روتها الجموع بالشهور وهو عندهم كثيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولاً

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره ابي حنبله فمنهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواترهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر فقال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل اربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يجوزهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجح عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علماً بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طرداً على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواتراً كباريس مثلاً واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيود المعتبرة في الرواية عند اهل الرواية كالبوغ وكال عقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جماعتي لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك قول ان كل جمع يفرضه التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع فقط لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضه الا انه في بعضها ايضاً واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ما مثلوها به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كبيرهم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان لقرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا تقصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو للقرائن لا الكثرة لاننا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بصاكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدوم عساكر الروس الى بلادهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ما ذكرنا يفيد الصاكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوقون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن عدم امكانه حينئذ

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لا يتنازعها شك في وجود البلدان النائية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا ما تواتر اليها من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فجارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرآنيين فان القرآنيين انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عدد بل القرآنيين قد تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفسقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن الخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحب الأوطان والاقدام والفخر وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد بفائدة او نقص ونحوه بتوسط فائدة او نقص طوائفهم واممهم واقوامهم واوطانهم

ولما ذكرناه واضاف اضعافه مما لم نذكره وتلخص ذلك لو سلم صحته ولان تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل لا كثر معارف البشر والعلم لا كثر الاحكام الديانات ان لم يقل لكلمها واحراج للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجموع لا تفيد العلم الا اذا ايدتها القرآنيين او شاركهم التقات - وخبر التقات التواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر الاحاد الأثبات الضابطين بشروطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وثقهم العلم ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواة فاذا وجدهم بالشروط المقبولة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواترنا عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين وانه المستعان (لرسالة بقية)

## اهم الاخبار والآراء

( إعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية )

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشمّل الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف مللها ومجتمعاتها أما سبب نيل هذه الأمانة التي تشوف اليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الأحرار العثمانيين في أوروبا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستنيرين فيها وورثتهم في ذلك في وقت آخر وما كاد نأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم فأنشأ ينهياً بعضهم بعضاً والبشر يتدفق من وجوههم ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الأزبكية وهم يهتفون بالأنشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رحبة قهوة « اسبلند ديار » وطفق يترنم بعضهم بالأنشيد والآخرون يصفقون لهم وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المجلة فخطب بالعربية خطبة وجيزة صفت لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائداً لاسمائي أحرارنا وجمعياتنا السياسية وضباطنا ذوي البسالة والحمية ، وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نتاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الألوف ويهدك فيها الحرث والنسل : وأنه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظير للأمم كلها اننا أهل لهذا النوع الراق من الحكومة فيجب ان يتحد الترك والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالأعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد المحبة والمساواة ...

ومما قلته ايضاً انا نشكر للحضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط  
الناطقين بلسان احرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشار كبير  
من الترك والأرمن اشارات الانكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جهور عظيم من فضلاء  
العثمانيين المختلفين في الجنس المتحدنين في العثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة  
بإعلان السرور وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الاحرار في أوروبا والى الاسنانة  
وقد كانت جمعية الشورى العثمانية قررت في يوم الأربعاء الماضي جمع أكثر هؤلاء  
الاحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الاعظم سعيد باشا بأن ينضم  
تاريخه بمساعدة الامة على اعادة الدستور وجمع «مجلس المبعوثان» فلما بشرنا بالبرق  
في مساء يوم الجمعة بصدور الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا  
اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الامير صباح الدين داماد ( ابن اخت  
السلطان ) رئيس جمعيات الاحرار يباريس يشكر له فيها اسمه وسمي الاحرار ويكلفه  
فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكنونية  
وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم  
فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان  
ضباطنا واحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر  
الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فواقفي على هذا الاقتراح من حضر  
من السوريين أكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني أكثر الترك والأرمن  
وقال واحد من اشهر احرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلاً واحساناً ولكنه اجابه  
بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة ( سنكه ) وقال بعض المعتدلين  
منهم لا بأس بأن يذكر في تعارف الصدر الأعظم تبليغ السلطان سرور العثمانيين  
وبعد طول البحث اتعجب الجمهور لجنة منهم لتقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل  
حقي بك القائم العسكري ( لان الدستور رجع بقوة الجند ) قررت ان تحتفل  
في احد دور التمثيل احتفالاً يخطب فيه العثمانيون بالتركية والعربية والفرنسية  
( المارچ ۶ ) ( ۵۹ ) ( المجلد الحادي عشر )



والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما  
للأمير صباح الدين أفندي والثانية للصدر الأعظم وترسلان بعد إقراره عليهما . وقد  
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتاب بل بمجرد الأريحية .  
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الأزبكية لاطهار السرور  
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرنا هذا الاجتماع في اثنا عشر واقترح  
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبمض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين  
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم إطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستور اي  
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى  
سيلان ! ! ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع  
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

### مظاهرة في حديقة الأزبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور - انه سيخطب في حديقة الأزبكية نحو الساعة  
السادسة بعد ظهر أمس لاطهار السرور بمنحة الدستور لآخواننا العثمانيين . فبناء على  
هذا الاعلان توافق الناس من خاصة وعامة الى حديقة الأزبكية ولما وافت الساعة  
السادسة التفتوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع أفندي المدرس  
بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اننا نؤمل البلوغ الى  
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الأمد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة  
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي  
من طلبة العلم في الأزهر الشريف فحذا حذو الخطيب الأول في الموضوع ثم تلاه  
حضرة الشيخ صادق عمران فتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية  
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الأستاذ العلامة السيد رشيد  
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم  
واوتفى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيد بحكومة

الشورى التي يتمتع بخيرها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رددوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الامر فيه الى الرسول ( ص ) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الامر فيها اليه وإلى أولي الامر من الامة يديرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الامر ؟ زعم بعض المخرفين أو المخرفين ان أولي الامر هم الملوك والسلاطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلاطين وانما كان يستشير أولي الرأي والمكانة من الامة فهم أولوا الامر بغير نزاع أفرايم هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبلغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرض ان يكون خاتم رساله مستقلاً بإدارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرضى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد الخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا تخوض في الكلام عن الماضي فانما غرضنا الكلام عن الحاضر قلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكبيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وانفذوا ذلك من نحو ثلث قرن فوضعوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت الامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذها منها ولكنها لم تنله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادمغة الكبيرة والأفكار البعيدة والغيرة الشديدة كمدجت باشا واخوانه

لم يكن العتلاء في الامة العثمانية يعدون على الاصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الامة كثير من أهل الترية العالفة والمعارف السامفة ولكنهم لم يكونوا منبئين في الامة كلها ولا مشتغلين بأشرب روجها معنى الحكم الذاتي

فلا رأوا أنفسهم قد سلخوا ما فيه سعادة الامة وعزة الدولة وانه لا سبيل الى استرجاعه من الاعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا ان يطلبوه من جانب الامة بتوجيه نفوس المعلمين اليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى اتيح لها الظفر الآ ن ونالت ما تمناه « ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله

فحدث شيء من الشعب واتقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو ان بعض المصريين صاح ليحي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . او حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : يا شيخ رشيد لا تتكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادهم ذلك الا صياحا بسقوط تركيا الفتاة اي الامة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة!!! وظنوا الجهلهم ان من لوازم حب السلطان ان يعيش على شيخوخته وضعفه عمر اطويلا بغير امة او بامة مية وجودها كالعدم فهكذا يكون الاحتفال بالدستور!! اما العثمانيون الاخياف قد جعلوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنتة ولا شكر عملا برأي السواد الاعظم وخلافا لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسند كر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآ تي

أرسل اليها كثير من المحبين رسائل التبائي بنيل أمتنا للدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد منها ما هو به وانا انطاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتمين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما تنشر شيئاً مما فيه العبرة والمائدة من تلك الرسائل

## الفصل العاشر\*)

محمد ( عليه الصلاة والسلام ) قبل تزوج خديجة

وإذا العناية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما  
ودع التردد إن أتاك حديثه مها حوسك مها نما مها سما  
لاتسأل كيف أبدع الإنسان من فتق الكواكب من رفق موادها،  
وقدر مدارات لحر كآها، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا  
ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شئنا، الماديات  
بنسائهن نسائنا، وبأرواحهن كياننا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جميعا  
نشرح أحشائها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلادها، قد حصرناها  
على عظمها في يدنا، وحشرونا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، إن  
شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزاءها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش  
اللبابنا، ويسحر أبصارنا، وإن شئنا لم نعبأ بها، واستشرفت قوسنا إلى  
غيرها، فأطلننا إلى مصادر الأرواح ومواردها، ومشارك الأسرار  
ومنازبها، وارفقنا إلى ينابيع الكوان ومظاهرها، وتلمسنا نعمة حياة لا  
نحتاج فيها إلى ماء الأرض وموائها، وترابها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائنا،  
ولم طالت آماننا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جشمت قوسنا  
بتكثير الصور ثم شقت كل نفس بأزواع منها، وتخالقنا في تمييزها وترجيح

بعضها على بعض، وتدارباً في مناهج طلابها، وتقاطنا في سبيل اكتسابها،  
ولم هذا البوز في أنصبائنا، والفرق في صرامينا، والبعد في مدارجنا،  
والقرب في معارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم ساجحة في أفلاك الحقائق،  
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الانوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور  
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاهير دابة  
بين أوراق الآجام وأحطابها، أو تحت دخان القنار وقصبا، ومع المصف  
صورهم منطوية في احشاء الاواكل، ومندرجة في الاواخر مع اجواتهم  
الاول

لانسأل عن هذا كله ان كانت هناك قد وقعت عند مطأئها من  
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري  
بها في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجلالها على لوح  
الآيات الينيات، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من  
تراب ثم إذا أنتم بشر تنشرون \* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم  
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات  
لقوم يفكرون \* ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنن  
والوانكم ان في ذلك لآيات للمالين \* ومن آياته منامكم بالليل والنهار  
وابتئازكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون \* ومن آياته يريكم  
البرق خوفاً وطمأنينة من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها  
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون \* ومن آياته أن قوم السماء والارض  
بأمسه ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون

إذا وقفت تفك عند هذا المظان من المعرفة فقلها تصل بك إلى معرفة  
أن ذا الحياة الأزلية ذو حكمة ليس في وسع استعدادنا أن نحيط بأسرارها  
خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا، ومهما طافت في سوح قفسها  
صوافي سرائرنا، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المساجع الفكرية مجز  
أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا إلى مادون هذا السرا الأعظم، ووقوعها بنا  
في كثير من أشراك الأوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا،  
وفي جوار جوسنا ونوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة إلى الإذعان بأن هذا الحي الأزلي  
الحكيم ذو عناية ربانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الأمر  
كاه فيما ييدي، ويصور، وله الحكمة فيما يتوع ويميز، منه كل شيء  
والله المآب

وان كنت في ريب من الحكمة الأزلية، والعناية السرمديّة، فدع نفسك  
واقفة ماشاءت في همة النبي، أو دائرة في سجن الشك، أو طائفة في  
جو الوم لاقرار لها. واتما تحكي هنا للذين هم بربهم يؤمنون



سبق في العناية الأزلية أن تكون هداية شموب كثيرة إلى أقوم  
سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من  
هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي  
أخرج الله إنسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب (١) من كبار أشرف قريش وورق عشرة أولاد

(١) اسم عبد المطلب شيبه وتسميته بعبد المطلب حكاية وهي أن أباه هانها

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شرافت  
 قريش من بني زهرة تدعى آمنه فحلت منه وقبل أن تضع حملها توفي فلما  
 وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمدًا» صاحب القرآن  
 فما أسعدك يا عبد المطلب أ كنت تدري وأنت في أبواب أبرهة  
 الجبشي تطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل  
 مكة أن سيولد لك في هذا العام حفيد تشي أعناق الملوك في الاجيال المقبلة  
 خاضعة لذكوره

أ كنت تفكر اذ قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنقطعين  
 في تلك البرية ان اسمك سترن به المحافل في الامصار النائية والشعوب  
 المختلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعتهه الله  
 لمنصب يتبعه من أجله العالم ويبقى ذكره فيهم الى الابد  
 أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يبعج اليه الا العرب  
 ستعج اليه كل شعوب الارض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية  
 أ جاء في خلدك ان كنتك آمنه الزهرية انما ولدت من يشرف الله  
 به قومك ويجمع به كلمتهم ويبلي سلطانهم وينشر لغتهم وقيم لهم مجداً مع  
 الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يثرب » ( المدينة ) فلما ولدت له تركه عندها  
 حتى كبر وكان هاشم تاجراً تخرج تجارة الى الشام فأتى في « غزة » فذهب أخوه  
 المطلب بن عبد مناف ليأتي ابن أخيه فأبى والدته أن تعطيه ايده حتى أقدمها بأن اتقنته  
 في بلده وبين قومه وعشيرته خير له ولا جاء به كان مردفه خافه على بغير فظنت  
 قريش انه عبد اتباعه فقالوا عبد المطلب وقال لهم المطلب ويحكم انما هو ابن أخي  
 هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتهر بها وصارت كأنها علم له

هل كنت ملهما اذ سميت محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له  
المالون تحميداً لا ينقطع، وتعبيداً لا يزول؟  
أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك إياه وعنايتك به إنما  
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه، والوديعة القدوسية  
التي اختص الله بيتك لظهورها، وتوكل لا تتشرب مبداء نورها  
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير أيها المخصوص بعناية  
الهي الأزلي، قديم ذكر كجمال المحافل واسمك سامياً مع اسم حفيدك  
نبي الشعوب وبركة العالم

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما  
الصلاة والسلام أي حوالي سنة سبعين وخمسة مئة منه وحوالي السنة الثامنة  
والأربعين من ملك كسرى أو شروان . ولم يكن قومه يعرفون سني  
الأمم وتواريخها ولا سني انقسامهم وإنما كانوا يحفظون الأعمار ووقوتها آجال  
الأشياء بالوقائع الشهيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الأميين إلى عهدنا  
ولعام الفيل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها تقدم تدور  
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وإبائه المسير لقاء مكة لذلك سميت  
بهذا الاسم . وحادثة الفيل شديدة الشهرة ويصح أن نقول أنها من التاريخ  
المقدس عند المسلمين أي أنها ذكرت في القرآن ولكن على أسلوبه في  
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على أسلوب المؤرخين ونقله الأخبار  
وقد أعطي لرضعة علي غانة قريش في إعطائهم الأ ولاد للمراضع  
من القبائل النازلة قرب مكة ابتداءً ان تربي أجسامهم في البادية حيث  
الأرض النظيفة قد كسيت من الأزهار أبدع المنارِق الطبيعية، والنسائم  
( المارچ ۶ ) ( ۶۰ ) ( المجلد الحادي عشر )



متحملة من ذلك المير تهديه الى النفوس رائحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أقفدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب  
عقبى العمل، وسو منقلب الكسل، وكأ ن بينه وبين سكان البراري وساسة  
الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات  
من مباسم همهم، وتؤمر اجتهادهم، ورافعون اليه آيات الشكر على ماله من  
الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضاض وجوه آمالهم

بزغ الفجر يوماً على نسبتين في أباطح تهامة قد أسفر عليهما  
البشر، وتقدت النبطة من أعماق جوانحهما الى أسارير وجوههما، ولم يكن  
ذلك الانس والبشر لما حولهما من مجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت  
شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقت رياضهم، ولو لم يكن  
الوادي لهم القليل مما أغشوا به مرة لقتلهم الظأ - ولا لما حولهما من وافر الرزق  
ومابغ النعم لانهم لم يكونا يملكان الا فتيات قد جارت عليها السنة، وقتلها الجهد  
والجدب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً،  
وأشبهتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتران عن هذا الحديث الذي كانا يتفديان به  
صباح مساء، ويجددان به شكري على هذه النماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :

- حقا يا حليلة انك قد جئتنا بتحنة سنية ونسمة مباركة

- أي والله يا حارث وانظر ما أجمله، انظر الى هذه الاشجار الهدب،  
انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى

انكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على مرآة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سعد صبيحة  
يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت  
خرجت مع زوجي وابن لي صغير علي أتانا لي قراء<sup>(١)</sup> معنا شارف<sup>(٢)</sup>  
لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من  
بكاؤه من الجوع ما في نديي ما يقبضه ، وما في شارقنا ما يقبضه ، ولكننا كنا  
نرجو الفيت والفرج ، فخرجت علي أتاني تلك فلقد أذمت<sup>(٣)</sup> بالركب  
ضمنا ومعنا حتى قدمنا مكة نتمس الرضعا فما منا امرأة الا وقد عرض  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك اننا  
كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع  
أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت  
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن  
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبن الى ذلك اليتيم فلا خذنه »  
قال لا عليك ان تعلمي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت  
اليه فأخذته وما حملني على اخذه الا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذته  
رجعت به الى رحلي فلما وضعت في حجري أنبل عليه ثديي بما شاء من  
لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام  
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شارقنا تلك فاذا انها حافل<sup>(٤)</sup> فلب منها ما  
شرب وشربت معه حتى انهينا ربا وشيعا فبتنا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي  
حين أصبحنا تعلمي والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت  
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله

(١) القمرة بالنم لوزن الى الحضرة أو يارس فيه كدرة . حمار أقره أتانا قراء

(٢) الشارف النقة المسنة (٣) أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطاع سيرها من

خلفها أي هزلها وضعفها (٤) حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي ليقان لي  
«يا ابنة ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا»<sup>(١)</sup> أليست هذه اناك التي كنت  
خرجت عليها؟ فأقول لمن بلي والله انها لمي . فيقن «والله ان لها لساناً  
قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أنلم أرضاً من أرض  
الله أجذب منها فكانت غنمي روح علي حين قدمنا به منا شباعاً ابناً  
فغاب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان  
الحاضرون من قومنا يقولون لعياهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي  
بنت ابي ذؤيب . فروح اغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن وروح غنمي  
شباعاً لبناً فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته  
وكان يشب شباعاً لا يشبه النملان»

فيا لك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تربيه العناية  
الخاصة ولم يكشف لك من آثارها الا هذه البركة التي ملأت يديك وولم يكن أيتها  
الراضع الغيبات المرصيات عن اليتيم التماساً لرضاء الذين لهم آباء . لقد فاقن  
الخطو وما الخطو ظبالاً اختياراً وعزاً لكرمها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتيماً  
\* \* \*

بمدان ربي «محمد» (ص) في بني سعد عند السيدة حليلة حبيبه  
به الى أمه فذهبت به وهو يمشي قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة  
لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة توقف في مكان  
يسمى الأواء . وكان عبد المطلب شديد العناية بحبيبه وتوسم فيه على  
الشان فلما بلغ الثامنة من عمره ودّعه ، فارقاه ذم الدار وأودعه في الجنب  
الآلهي الذي من لدنا وارقات البر والبركات العنبر والبر والبر والبر والبر

وقام مقامه ابنه ابو طالب شقيق عبد الله ابي النبي (ص) فأدخله  
في آل بيته وتمهد تربيته وتثيقته  
وكان أبو طالب امراً نبياً شهماً صادق المروءة، ماضي النزعة، نصيراً  
للعادل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه اقصى ما يمكن  
ان تكلف النفس في حماية ابن اخيه لما قام بالدعوة ومن موافقه امام قريش  
في نصره والذود عنه . وقد خلف ابو طالب أباه عبدالمطلب في المقام السامي  
بين قومه فكان ابن عبد الله يتنقل في بروج العز والسؤدد والسعادة في آفاق  
الشرف الهاشمي ، وتنطبع في جوهره الكريم صور البر والعدل والاحسان  
على مثال الخلال الشريفة التي كان يجلي بها ذلك الرجل السامي التريية (أبو طالب)  
نحن قد رأينا من آثار العناية الازلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح  
القول معها انه كان مستثنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول ان اعداد  
ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به  
أما تربيته اياه التريية الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء  
الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لانظير لها وصار  
على صورة من الجمال كانت تجمل الذين يرونه يقولون لم تر مثله . ولا يتم  
الجمال الا بصحة البدن وهي انما تم بحسن التريية الجسدية  
واما تربيته اياه التريية العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة  
النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يجتازنا في حيرة من  
أمر هذه القبيلة الصغيرة المبتعدة في دارها عن مناسي الارقاء العقلي ، ومناجم  
الإشراق التكري ، لا كتب يدرسونها ، ولا قوانين للمعارف يرتبونها ،  
ولا شي الاغرائطية يتوارثونها ، وقواعد عامة يتناقلونها وحصافة أوتوها

في نقش أصح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت الفوائد في الدواكر،  
وكذلك يملون في التربية الاخلاقية ينشئون القرية على دروس  
المشاهدة في مدارج السبل ، ودروس القصد والاعتدال في ممارج الأمل ،  
فيأتي من تلك السلائل التي لم تحتها عدوى الاجيال الفاسدة وابع في العقول  
والاخلاق ، أفذاذ في المهمة والاعمال ، بطبع من المربين ، ونقش من المثقين ،  
وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز ، وربيته النجيب ،  
نشأ « محمد » ( صلوات الله عليه ) في أمثل التربية بأنواعها كلها على  
يد ذلك الفاضل العظيم فجاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، أذكاهم  
عقلاً ، وأزكاهم نفساً ، وأصدقهم لساناً ، أنداهم في العرف يداً ، واثبتهم في  
الأزم قلباً ، أرحمهم للضعيف ، وأشجعهم على القوي ، أبرهم للقريب ، وأعد لهم  
للبعيد ، أقربهم الى المعروف سمسماً ، وأبمدهم في الامور نظراً ، أسداهم رأياً ،  
وأشداهم اقداماً ، ألينهم للصاحب جانباً ، وأكرمهم للخير صاحباً ، وحسبك  
انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك  
المنصب العظيم فزاده جمالاً وجلالاً وكالاً والله أعلم حيث يجعل رسالته  
نشأه ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثنتي  
عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر  
على ما تنكح الارض وتعلن من طبائع الاقاليم المتغيرة ، وأحوال العالم  
المتحولة ، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أمم كانت قبانت . كانوا  
على وجه الارض جمالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحيا بها الامم شالت  
نعامتهم طراً ، وطارت نعمتهم جيماً ، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فلك  
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً ، وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخاوية

أو المنقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بمدان صار نبيا قوله سبحانه «أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها، ومزارعها ومصانمها، ومتاجرها وحكومتها، وأراه كيف يكدرح الناس جميعا لياكل ثمر منهم خبزه بعرق جبينه، وليتمتع ثمر آخرون بشرات تلك الارض الطيبة، ونفائس ما تممله تلك الايدي الثقفة، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليم قوامه، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المراحة في هذا الحطام الزائئ، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغربية في هذا الهيكل الجسماني، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما بقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بصري» وقف به على الراهب «بحيرا» وكان على حظ عظيم من علم القراءة أو الكوثة فأبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفر مرة على أساليب التجارة، وأطلمه على ضروب البضاعة، وصنوف الاداة والماعون التي تعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بئذ ما ليس فيه وكيف

يكون لهؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية  
البدائع الانسانية ما ليس لتيرم

فاهميك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من  
صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي دوس كيدان من فوائد الترية العملية  
ما ليس في ألف دوس من الترية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي  
حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تبا  
الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وان أودى بهم الصبر  
الى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف  
ماقبة الذين تنقطع قلوبهم جبناً، وتخور عزائمهم جزعاً

ولم يامر في هذه الحرب قتالاً وانما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم  
النبيل أو يرد عنهم النبيل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن النزال، ومواقف  
النضال، وليس يخاف ان الاخذ بيد الناشئ الى ممالك أبطال المبايات،  
ثم ممالك أبطال المقابلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجمله أهلاً  
للمقامات العلى بين الرجال، حتى اذا أتاه الله للاخذ بقوم الى سوح العز  
والسؤدد والصلاح والفلاح، كان ثم الدليل الهادي، ونم السائق والهادي  
فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » ان يخرج  
في تجارة لها الى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار وأشار  
عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب  
الى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع اليها باعتبارها  
فريحت أضافاً كان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

بؤني الحكمة من يشاهد من بؤني الحكمة قد أدنى  
خيرا كثيرا وعياضه كرام الا ان الامم الالباب

المعراج  
١٣١٥

بؤني عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوي و ٥ منارا ٥ كتاب الطريق

﴿ مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ ﴾



## فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واتبعه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعا قدمنا متأخرا السبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا . ولن نفي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يدكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا عفا له

### ﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في ستغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » المنير بمصر قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بستغافورة ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة أو بأب السلوك وذلك بسبب السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المنار هنا له اعتبار عند أولي الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جبهة صوت كل خطيب حيث قد امتلأت الاسماع تقيقا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شهبافنؤمل بسط الجواب وبيان الحق بأدائه ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كنتم سابقا في هذا الصدد فرجوكم ان لا تحيلونا على ما ليس بأيدينا أتا يكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة النقشبندية المريدين ومضاهاها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة الشيخ في قلب المرید ثم يشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد نخلو قلبه من صورة الشيخ وان قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ) دليل لهم وقوله تعالى ( وابتغوا اليه الوسيلة ) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أبيه وأمه المسلمين إذ

نادیاه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا  
ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التلميذ بذلك  
ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التلميذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا  
يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالتبي المرسل بالنسبة اليه ولا  
ينكر عليه ولا قبله وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان وواجبوا على المرید ان يعتقد  
انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له .  
والشيخ محلات للسلوك والتفنين يحشر اليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب  
يجمعون بها من غير محرمة بل جلهم جهال بالواجبات العينية وان الذكر وحده  
كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابهم بحجة  
الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الامم  
وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد نقل الامام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي  
والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كمن  
نقص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم  
يعلمها النبي احداً من اصحابه ولا علمها الصحابة احداً من التابعين وان تطهير القلوب  
من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة  
الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم  
يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طبيب ديني هو نبينا محمد صلى  
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكمل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد  
بينه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادوية القرآن لاشفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا  
الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وسواسه  
بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب  
موسوس متهوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا  
به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق ان يلزم هدي محمد صلى الله  
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجليلاني واضرابهما اوجدوا الرابطة  
بمعناها المشروح اعلاه والزام المريدي بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريدي الشيخ  
اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرا ام انثى وان الامام واصحابه  
خرجوا عن الدين ومرفوا منه بانكارهم الى نحو ذلك

واناسأل من المنار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي  
فانا الى ذلك محتاجون نعد الايام والساعات والله المسئول ان يديمكم نفعا للعباد وشجى  
في حقوق اهل البدع والالحاد آمين ع . س . ط

( س ١١ ) من س . س . في ( كوالا لمغور ) في جنوب ميلادي .

سيدي . تصدر في سنغافوره مجلة علمية مليئة بلغة الملايو اسمها ( الامام ) يكتب فيها  
بعض رجال الاصلاح ومحرمها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة  
شبان هذه البلاد علما وعملا اشتهر اخيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين .

وفي المجلة باب للفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة  
القشبندية وهي احضار المريدي بصورة الشيخ في القلب عند الذكر و بربطه من جملة الارادة  
التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ أخذنا من قوله  
تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين  
آمنا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين  
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأقبي الامام بان الامرين بفعل هذه الرابطة  
والعالمين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها مستندا  
لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالتلخيص والجلالين في  
الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب . ثم قال . اذا فاحضار المريدي صورة  
الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحرمه . او ما معناه .  
ثم احمى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للدجل والتضليل . واورد لفتي  
الرابطة آيتين آية . « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا  
الله مخلصين له الدين » . اه بالمعني

فلما نشرت هذه الفتوى وهاته التصريحات التي لم يهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيامة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين واوهوا الأمة ان الأمام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرضون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقير وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فقينا متوقفين حتى يأتيانا من عند الأستاذ بيان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم التمدح المعلى في حلها والله يقيم لنا .

\*\*\*

(ج) لو قلت إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسئلة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد ساكت الطريقة القشبنديّة وعرفت الخفي والاخفي من اجازتها وأسرارها، ونحضت بجزء التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تهدف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين ، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال ميين ، وأمهّد للفصل في المسئلة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر واخلاقهم ان يأفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأنسوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تعصبوا له ووجهوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبتة ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك الى محرمي الحق واستبانة الصواب فيما تازعوا فيه . ولو لا فسوّ هذا انطلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشيخ والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتمعوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال او تجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكمال على هاتين القاعدتين نبي التعصب المذاهب والطرق في جميع الملل وعليه يتخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة القشبنديّة وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الطوائف وبكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصلاح او العالم الى شيء يظهر له بحسب اجتهاده انه حق او خير فقتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله او عن محض التقليد فاذا خالفهم غيرهم فيه عدوهم متعصبين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وهم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه اتوا اليه مدعين، وقلوبه راضين مطمئنين اذا تدبرت هذا فاعلم ان أئمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الا عن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وهو يصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقتهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشهورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا عليهم الالهي عليها وكل منهما اذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلا : التسمية في الهيئة اليونانية هي السموات والكرسي والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من توويل الآيات التي زعموا أنها تدل على مشروعيتها ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شيء منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه ما يتعلق بجوهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي القشبي في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة :  
« وذكر بعضهم ان قوله تعالى « ويزكيتهم » بعد قوله سبحانه « يتوعلو عليهم آياته »  
اشارة الى الافضة القلبية ، بعد الاشارة الى الافضة العقلية المسانبة ، وقال بخصوصه  
للأولياء المرشدين فيكون مرادهم برفضة الأنوار على قلوبهم حتى تخلف قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة التشيكية ، وقالوا بالرابطة ليتبأ يبركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم لثبوت ذلك دليلا يعول عليه عن الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة ويعدونه دليلا لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الاطناب لذكرتها مع ما فيها . ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين - التوجه والرابطة - وقد شاهدت ذلك من فضل الله عز وجل . وأيضا لا أدعي الجزم بعدم دليل في نفس الامر وفوق كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ، أو يقال يكفي للعسل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وان كان للبحث فيه مجال ، ولأرباب الهال في أمره مقال ، اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه ما وجد لها من الأثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتني قد وجدت أثر الرابطة والتوجه في نفسي : رأيت ما لم يراه مني الناظرون ، وسمعت ما لم يسمعه مثلي المصفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في النار ولا الخوض في علاه وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة بالفعل اني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئا عاداه » وانما اتكلم فيها عن عرفان ، وأحكم فيها بسطان ،

أقول ان التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يعدا من العبادة المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بهما ، وانما أخشى ان يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة تقلداً من غير علم بالشرع ، وعرقان بحقيقة النفس ، أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وان كنت لا أجزئ رمي شخص معين به ، يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يُصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا الأيد مشركاً لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة التخيلية عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع بل يكفي بأن يتفق بما جرحه من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشيوخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرّبونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلاً يعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المتنوعين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وأرادتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أمراً حقيقياً لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخالف لها فإنه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينهما. ومثل ذلك قالوا إن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من اتوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتقياً في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجههم ورباطتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويعرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء فان كانت يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها مما ينتفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كتل البرهي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كتل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالامور بالمقاصد والارادات ، كما ينال ذلك في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو المارفين من الصوفية تين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصد والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل ( ٤١ : ٥٣ ) سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ) ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصولة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان لله طرائق ، بعد انفس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لا بد من التصريح بها وايضاها ايضاها لاليس فيه . ( احداها ) ان كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لا صورية فلا يقال ان علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وضع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تنمى لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة



(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تعتبرها الأحكام . ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا عومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والتمرية والأعمال بشرط في جوازها ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فإذا فرضنا ان التوجه والرابعة يتأنيان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بهما . وقد علمت انهما يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد ومن هذه المسألة أتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المرید شيخه ولو في المصيبة ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خير الا بواسطة ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء بردة منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالحرب وتديرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن رحي وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المرید الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو تقديس ، أو من تناسي الشاخص : ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خير من غيره الا بواسطة شيخه من يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بمراتب شيخه . وقد صحح في الغالب

و قد صحح في الغالب

و قد صحح في الغالب

و قد صحح في الغالب

الله ياذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد منشأ فساد كل دين  
وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم  
المشكلات عند جهة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً له  
سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الا تعليمهم  
ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين بيان الحق وبين الادب عند ذكر  
أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم  
لا تصح نسبتة اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان  
مخالفاً للشرع ، لا مخالفة الشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فإن ذلك تقديم  
لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن ببيتهم وقصدتهم فيما اخطأ اجتهادهم فيه وان  
المجتهد المخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

وانني اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق  
بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي - الذي صرحت غير مرة بأن كتابه الاحياء كان  
استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف - ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً  
من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة  
فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين  
تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة والتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الاذن  
بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند  
زيارة المشاهد من الخشوع والحال التي تزيد رغبة في الآخرة واعراضاً عن  
الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالرابطه التي نحن  
بصدده البحث فيها بمحدث « من بورك له في شيء فليزمه » كأنه يقول اننا وجدنا  
لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو  
البركة لان معناها الزيادة وقدمنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن  
عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فاننا لو جعلنا للانبياء والصالحين صوراً وتمائيل تمثل لناظرها هياتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتمايل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتمايل فثبت انه لا يجوز لنا ان نحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لفرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة ونجعل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فرض الينا من الاستقلال بأمر ديننا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدلل به عليه من جملة في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسنه ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرج ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأثبت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرج منه حتى تنكره وتقدم على ما تجبته ؟ الزم ما رأيت الرج فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كذا الامر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومته في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب ما لا من شيء « كما هو ظاهر حاشية ابن ماجه ، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الاول . على ان في سنده فروقا بايونس عن هلال . قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي . ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الأحياء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة . وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وان اهتدى الى حقة مذهب السلف قبل الاقطاع الى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين نستعد ان الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم ونراهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح ان نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلا من اصول الدين وخلاصة القول ان التوجه والرابطة ليسا من عبادات الاسلام ولا دليل فيه على كونها مشروعين ومن جعلها عبادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) ام هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ) وان ائمة الصوفية المحققين لا يجمعونها من الدين وإنما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فما عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لا يسمونه استحضار الأرواح وفي كل منها لابد من الوساطة ، وان المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي اذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها ان الشيوخ الأولياء بل والانبياء لا يكون لانفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عرفان وهو سر من اسرار التصوف أفشيناه للضرورة والارشاد وان يستعد مع محبين الظن بهم أنهم ليسوا حجة في الدين وانهم لا يطاعون في معصية الله . ومن أراد ان يزداد نوراني هذه المباحث فليتنظر جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام فان فيه بياننا لا يجهده في كتاب

### ﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسببر (روسيا)  
 الفاضل الجليل والعالم النبيل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر  
 دمت بالمر والكرامة. اما بعد فقد كثرت المباحث والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا  
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه  
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله  
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض  
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان  
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آئمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها  
 احدى عينها فحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذته القهستاني والزاهدي فالأمر  
 من سيادتكم ان يبين الحق من الأقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم  
 فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٢٤ : ٣١ ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)  
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدان وفي رواية عنه :  
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والظلمة . وعن سعيد ابن  
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي  
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن  
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل  
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والظلمة والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى  
 الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في  
 صلاته وان المرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا  
 ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعها الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً كان معلوماً بذلك ان لما ان تبدي من بدنهما ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره . واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه مما استثناء الله تعالى ذكره بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » يقول تعالى ذكره وليقين خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيوب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الخمار على رأسها وتسدها الى الورا فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلو لم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة فكيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كن يأتين المساجد ويغشين الاسواق ويسفن الجرحى في مواقع القتال ويخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . فغلن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسلمون في الحضارة وانتمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر المقباء عابوا وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتدأ هذا البحث والخلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكابر ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد؟ اذا كبر أحد نفسه وقال بمحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهن يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم وبعدها عند الانصراف كما هو مأثور مشهور - فبل يسفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسمي ووقوف بعرفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام ان كشف المرأة

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحيثما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجند انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الأول وإنما علاوه يخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأورد وعلاوه بتلك العلة ومن العجب ان امام الحرمين من الشافعية اعترى يمنع الحكم النساء من الخروج في زمنه ووطن ان عليه جميع المسلمين

قال الزهلي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهمات انه الصواب . وقال الباقيني الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وإنما ذلك سنة وعلى الرجال غرض البصر عنهن للآية وحكاه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتعبة التي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرها والى السجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كتب الحنابلة « لا يجوز له النظر الى الاجنية قصداً وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الاتصاف : وهذا الذي لا يبع الناس غيره خصوصاً للجيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريماً للفاسق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الحنفية مع أن الجميع يروون عن أنهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة العارضة أو سد ذريعة لا يصح ان تجعل دليلاً لتغيير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو إباحة تغييرا مطلقا كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ومثله كشف المرأة وجبها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه مادامت المفسدة متوقعة

فماصل الجواب ان كشف المرأة لوجبها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل أوجه في الإحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جنابة على الدين وتحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للخرج والصر فيه وقد نقاهما الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحمله من نساء الامصار من تعودنه أو من كفتهن الثروة مزاوله الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفهن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السفارات من تقطع بأنهن أبعد عن الريية من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجبها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

### ﴿ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ﴾

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ . بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

جنبا لو تكرمتم بابداء معلوماتكم السديدة وآرائكم المفيدة عن السوالين الآتين وما ذلك الاجبا في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟  
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين لدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتعمم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجود المغايرة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يقوّموا بالاحترام اللازم لقيمصر أو للحاكم اذا مر في الشوارع أو قابله في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم



بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ -- هل يجوز للمسلم احترام شعائر عبدة الدينية أم لا ؟

مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجاراة الشعب في عوائده الدينية هل له ان يفعل هذا أم يتمنع .  
هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموميا في مجلتكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

(ج) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فيباح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشمل على محرم في الاسلام كشراب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينية فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحظره الاسلام . فالمحذور في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدهما الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمله المسلم لعمده واثبه منهم هذا ما اتفق عليه التقباء فيما نعلم ولعلنا نفضل القول في ذلك بعد

### ﴿ حديث علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادتي عن هذا الحديث « علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطر التناء والشكر (ج) هو حديث موضوع وتجده في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المنتثرة وقل لا أصل له ، والشيخ عبد الرحمن الدبيع في تمييز الطيب من الخبيث وقال « قل الديميري والزرکشي وابن حجر إنه لا أصل له »

## باب المناظرة والمراسلة

٥

### ﴿ بحث العمل بالأحاديث القولية والأحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور أما السنة القولية ( الأحاديث ) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية ؛ ولم لا يكون النسخ في الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؛ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول ؟ لم يكن من المعلوم ان الافعال تنطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقارنها اليان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن « قد قال الامام الشافعي انه لا يكون حتى حكي بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعها سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله الا كتابه - ثم قال - وهكذا سنقرسول الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضوعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى » يقال عليه فهذه الأخرى الناسخة هل هي معلومة أم لا وهل هذه هي المدونة عند أهل الحديث أم هي أحاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان تجد الله او رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل الينا ذلك بالتواتر فها انصفت مناظريك ؟ -

## ٥٢٢ العمل بالأحاديث . دعوى احتياج القرآن الى السنة ( المارح ٧ م ١١ )

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »  
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم اليه  
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضاف ما في القرآن وهي  
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني  
عنها البشر ولولا خوف الأطلالة لا تينا بجمل منها وينا ما لها وما عليها ومقدار الحاجة  
اليها فليتبغ ذلك حضرته

بل قول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة اكثر من احتياج السنة اليه .  
يوضحه ان القرآن الكريم ذواوجه والسنة مينة للمراد منه تارة وشارحة ومفسرة  
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على ما فيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة  
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتودوا طاعته واتباعه كما أمر  
بنلك في كتابه ولتلا تجرم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . وليسط ذلك  
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة  
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فإين  
الدليل ؟ اما قوله تعليلا لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة  
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لا تنحل على نسخ السنن النبوية باحد  
الدلالات مطلقاً والقاري يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار  
على العمل بالنظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسمه ثم يعمد الى هدم  
القصور اليقينية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في  
غير موضع من كتابه والأحاديث المتواترة لفظا ومعنى في وجوب اتباعه واتباع  
سنه . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الأمة ؟ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين  
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر  
حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

إن أمر النهي عن الكتابة لم يقل اليامتواترا بل قد اختلف في رفعه الى المصنوع (ص)  
وفي نسخه وقد عارضه ناهو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها او انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام — لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معللا بعلة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشبه ذلك على الناظرين فظنوا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك — فالقول بان نهيم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها . ثم قول الحق ان الامور المطالة يدور حكمها مع عللها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو ما خوف الالتباس بالمصحف فقد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لصح — لأنه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اغنى حديث النهي عن الكتابة واجاديت الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ومن نسال حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وابق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتا . حينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة موقفة - فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابه واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوع ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن موقفة لا - لا - في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفارق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يكن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الاتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من أشار عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكتاب الناس وانهما كهم على كتب شعنت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالمعانية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها - فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الاله مما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاتمار به وينهاهم عما لا يجب ان يتهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفيما شرع الله من الدين على لسانه بإرادة هذا منه (رض) أو منهم هو أمحل

المحال وحضرة الدكتور فجله ان يعني ذلك فن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس  
بواجب وحرم ما ليس محرام على الامة وانه يعلم ذلك ويستقده او ان اصحابه يعتقدون  
ذلك او انهم لم ياتروا به الخ فخطوه فوق كل خطأ واقراؤه فوق كل اقراء ومع  
ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته —  
هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة  
مرتبة؟ قد قد منا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف  
في رفعه وسبب النهي منصوص كما قد مناه مع معارضته لما هو اصح منه  
فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات كثيرة القرآنية  
المصرحة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينازع  
احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانما أي طاعة الله واجبة علينا كما هي  
واجبة على اول الامة

لكننا زى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص)  
وهل طاعة الرسول (ص) الا الا تتار بامرهم والاتباع لئيبه والا لم تكن له طاعة وقد  
عرفت ثبوتها وادل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سنته القولية كما قال  
تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شيذا » من يطع الرسول فقد اطاع الله  
ومن تولي فمأرسلناك عليهم حفيفا » اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية  
مهما يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن  
ذلك باكثر واوضح مما عبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان  
ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خير يوثق به وبدلته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه  
بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن  
طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك  
من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان الخرج — وتارة يأمر  
بالتأسي به وتارة يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وتارة

يعلمنا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحريم إليه (ص) ثم نراه  
 ينه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره  
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله  
 فاتبعوني يحبك الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طلبهم محبة الله وبابا  
 لمحبة الله لهم وهذا لا يمكن ان يخص بقوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى  
 عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة  
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه  
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطللة للصلاة وتارة وتارة يحذر عن  
 مخالفتهم أمره « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم  
 الخيرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله  
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك  
 من اساليب التمييز والتفنن فيه لا يوضح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن  
 ملآن من أوله الى آخره بذلك حتى القصص قائما انما سئمت للاعتبار وليطاع الله  
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليؤمن الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما  
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم  
 يعتوا بسنته اذا رأوا احدهم اخطأ في الرواية او حكم بخلاف السنة بهذرانها لم  
 تلبثه ولو بلغته لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل  
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كأننا من كان ما لم يكن عن الله أو عن  
 رسوله وقد عرفت حكمها في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية  
 بغير ما عاملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما  
 قدمناه عن القرآن . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح  
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجدها مواءمة لما

دل ان قرآن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكتم به لن نضلو كتاب الله وسنتي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجوده اتباع سنته أيضاً تواتراً منوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة فأكثر من ان تستغنى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين — وكل ما خالف الكتاب والسنة فإما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشتم الذي حذر الله عنه في كتابه فعمله حضرة الدكتور على الرواية والمروي بلائحة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسنته (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دونوها هو بين أيدينا فلهما بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولاخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعيهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه بيده وقاله بنفسه

الحقير صالح بن علي الياضي عفا الله عنه

( المآرج ) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالرجو منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المتقد عند تسليماً صريحاً



## أَنَّ عَمَلَهُ الْجَمِيلُ

هو إرشاد الأريب، إلى معرفة الأديب ﴿

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحموي الموالي البغدادي الدار الرومي الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور . كان غلاماً ثاجر حموي عليه ليكون عوناً له في تجارته ثم أعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فأعطى أولاده وزوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم وأجر بالباقي وجعل بعض تجارته كتاباً فكانت عوناً له على ما تصبو إليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والأدب . تألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه ( إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء ) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وإذا باسمه الذي كتب عليه ( إرشاد الأريب . إلى معرفة الأديب ) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذلك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك المصنوع قال المؤلف في فاتحته ( ص ٥ ) د وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين والنسائين والقراء المشهورين والأخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمصنعة ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فيه تأليفاً ، مع إنباط الاختصار والإعجاز ، في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهداً في إثبات الوقائع ، وتبين المواليد والأوقات ، وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم ، والأخبار بأسمائهم وشي من أعلامهم ، الخ قال الكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كنا نحننا فأظهرته همة أوربية . ذلك أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الباس جب كان مغرما بدرس العلوم والتواريخ العربية  
والعربية والفارسية ثم مات في اثناء سنة والاربعين من سنة فوفقت أمه مالا عظيما  
على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلا بها بصرف ربه في ذلك وعهدت  
بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بعد ما عني  
الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه  
فاذا فيه بعد الفاتحة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوها باب المهمة وهو يتدعى  
باسم آدم بن احمد الهروي ويتبعه باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على  
أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المعري في ٤٣ صفحة فتشكر لجميع العاملين في احياء  
هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان ينسى طلابو الكتب  
في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاعتان

( الرد على من أخذ الى الأرض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض )

بنت قواعد الاسلام وأقيمت أركانها على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند  
علمائه ان جهل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بضر في الدنيا ولا  
في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عقوبته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما  
ان الله تعالى لا يندره في الآخرة اذا اقترف الفواحش والمنكرات جاهلا  
بحرمها . قالوا الا اذا نشأ في شاطئ جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم  
ما كان بالدليل فالعلم لا يكون الاجتهادا ولذلك اجموعوا على ان المقلد لا يسمى ملما كما  
صرح به ابن القيم في اعلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون  
لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمفتي ولكن وجد  
في هذه القرون من الموقعين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم  
بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذرا وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ  
بما كتب في المصنفات النقية التي أنما التمسبون الى أصل المذاهب المشهورة قام المدافعون  
من العلم بردون هذه الدعوى وبيّنون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف  
( المخرج ٧ ) ( ٦٧ ) ( المجلد الحادي عشر )

من هؤلاء الحافظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الأرض ، وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثیرة عن اكابر علماء المذاهب الاربعة لأن كلامهم يقع المقلدين المنكرين مالا يقتضيه الدليل المرید بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة التعلية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه فتشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

### ﴿ ليالي سطیح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في امتداد الاخلاق والعادات ، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطیح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تهريظه عالم الكتابة والتحرير ، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته ، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسنة ، ولهجت السنة الفصحاء بوصف ما في مبادئه من المتانة والاحكام ، وما اودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلقت افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثلات ، وتلطف الناقدون في الالباء الى ما فيه مما لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجبل او عصيان قوانين التماس ، فلو جمع ما كتب في تهريظ كتاب ليالي سطیح ، من التماس والمديح ، لكان معه كليلي هجر الملل ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التهريض ، هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكاتبون مسالك قول على من يحاول بعدهم وصف الكتاب او تحفه فما على المنار الا ان يجعل الوفاء بدمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئه ، لهم يبتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فن ذلك قول سطیح في الحث

على الصنایة باللغة العربية ونصر دولتها و ذكر إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،  
والاستاذ الامام ( ص ۶۲ )

« فذا ضرکم لو تساندتم جميعا و اتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرفتم من شأن  
هذه الدولة ، و حرکم من انظامدين ، و هزتم من الجامدين ، فاني أرا کم بين  
متصفح على اخيه ، و متنبل على قرينة ، و ليس هذا صنع من يريد ما يريدون ، يحاولون  
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم تداركها الله بذلك الافغاني  
لقضت نجبا و قيت ربا ، قبل ان يتمها بكم و يتمكم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق  
فيها الا الذماء ، ففتح فيها فتحة حركت من نفسها ، و شدت من عزمها ، ادركها  
وهي شطاء قسطنض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قراها قبل ان تشيب  
ناصية القرن انظامس ، فسودت يده البيضاء ما بيضت من شعرها سود الياالي ، و تهدتها  
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قناتها ، و بدأ اصلاحها ، و قد كان الناس في ذلك  
العهد يدينون باللفظ و يكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهندي ، و خرجوا  
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، و قام بعده نفر من تأدبوا عنه فكانوا كالسيوف  
فرجت للرماح ضيق المسالك ، فأنسح للتأدين المجال و جال كل جولته ، و تنبه الوجدان  
و تيقظ الشعور و محرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، و ظهر أثر جمال الدين في  
النفوس العالية ، و أصبحت تتدبر كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان انطوى  
أجل التقليد ، و أن بعث الله على يديه ميت اللغة و احيا رفات الانشاء ، و غادر رحمة الله  
عليه مصر و لم يضع لنا كتابا نأخذ عنه ، أو مؤلفا نضرف منه ، ولكنه ترك لنا رموسا  
تؤلف ، و أفكارا تصنف ، و كأنه أحس بذلك حين أحس بال موت فكان يقول وهو  
يجود بنفسه : خرجنا منها و لم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، و لكننا لم نغادرها حتى  
تشتاذلك الأثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب قد دورتم  
عنا في صدور الرجال ، فاذا حوتم التراب على رجل الاقنان فليكم برجل مصر  
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم ينادر كلاها مؤلفا ، و لم يدع مصنفا ، فاولا  
محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولولا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان  
ولما سكنت أنفاس الافغاني بعد أن تجددت بذكره الانفاس ، خلفه حكيم الشرق

في دونه، ووطن نفسه على الماضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعوه، واخافوه في ذات الاله وخافوه، ولم يزل بهم حتى غلبت على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فتفتت الأذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، فبحر مطارف آدابها، وأطل علم الأدب Littorature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، وفقدت أسننته الى السرائر، فبني تحت نظره الشعور كما يبني النبات جادته الشمس بالنظر، أو كته أشعة القمر، فطفت من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الأرواح، حتى شفت الأولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيج ومحاوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح قال ( ص ١٤٤ )

قال ( اي سطيج ) وابن مكائك من العلم، وابن منك منزلة الخليم، قال حبي ابي من تلاميذ حكيم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله تراه، وجعل التميم شواه. قال ابي لأرى رأياً حقيقاً، واسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون؟ فقد سمعنا انهم فريقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أتى عليهما العميد، وتبأ لها بالطالع السيد، قال — لا علم لي بما تقول. وقد كنت ألق الناس بالامام أغشى داره، وأرد أتباره، وألقط ناره، فاستعته ينحوس في ذكر السياسة فبحا الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويوسو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأقضى في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذلك همه رحمه الله يلقي في الأزهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التعميم والعمران، على انه كان من أشد الناس تبرماً بالسياسة واهلياً، حتى أعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ما قال

لكنه كان يجتك بها مادمت الى ذلك الحاجة ويرصد حركاها وصداء ، ويصد  
فاراتها صداء ، خشية أن تقطع على العلم سبيله ، أو ان تنفث عذرة في طريق الفضيلة ،  
ولولا ذلك لقطعت عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتقنيه ، فكم تطلعت  
في ابتزاز قواها ، وتحمي جوده طريق أذاها ، حتى اذا ظفر بطلته ، وقار برغبته ،  
واستمد منها ما شاء ، تحت حاية الاقناع ، عطف على العلم بتلك الامداد ، وورد عليه  
ما سلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم السيد ، بيقظة حزب جديد ، ليرد عادته ، ويضد  
عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، وممارعة الخلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ،  
وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام مادهم جبل الوداد ، وجانبهم  
فضل النصح والارشاد ، لاصابه ما اصاب احباب حكيم الاقناع ، وقضي على هذه الامة  
بالحرمان ، فقد كان ينمو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شررة القوم ، ويصلح  
ما تشده اهل السائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار  
الفلك لنا بالتحوس في دنشواي ، لرأيت غير التي رأيت من ذلك القصاص ، ولما  
لوقع صوت السيد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ،  
الذي جاء ابلغ ما علي الضغينة على الموتور ، فكان فيه كثير جوح البراع ، ضعيف  
ضعيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة  
للدافع عن نص

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى فارتدت طائفة من جنات العرب  
وكادوا يفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف  
النبي ، ولانالت من عصبة الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاما — ومات الاستاذ الامام  
فصبا بعض حزبه كما يدعون ، واستغفر الله لهم عما يقولون ، فما غض ذلك من  
كراسة حكيم الاسلام ، ولا من من سيرة ذلك الامام ،  
أراد بعض مربيه أن يتي غناه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صواخ  
القوم وصورالحنا ، فرمى نفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا  
منزله في قلوبهم ، تقصر ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام  
لا يشغله الا لوف من اولئك الذين يرفعون السترة بالصباح ، وينعون عليه مذهبه

في الإصلاح ، ولما ظهر ذلك المرید بمظهر الاتصال بالقوم أنكروا الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه الالسن وأخذته سهام الاقلام ، على انه وان اخطاه التوفيق في عمله فما اخطاه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض المرآئين السبيل الى ثنويه سعة الامام بعد موته ، و باقوا في ذم حزبه ، وزادهم ضمنا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي اودع فيه الامام من أسرار حكته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساقي اليه سوفاً أعجلنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ما سمعه أ كان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعلقون باذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باللوم ، لانهم يطعنون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاجية هذه الامة بغير اجامعة فما لهم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواعظ و يوالون الصباح بطلب تأسيسها فتلقي اصواتهم بالتداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد جبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود اولئك الوعاظ عن الكلام وتدققوا في انشاء الكتائب حين ساقتهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بذلوا في سيده ما بذلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت برائن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتائب داء الجهل ولكن بداء الفرور فسيبل الإصلاح ان تنشأ الكتاب وتبني الجامعة في وقت معا حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتبسط الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يهودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكلم نهضت امة بفرد واسست دعائم دولة على عزائم آخذ وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام  
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفتي  
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزهم بناء الزعماء فاعلم ان بناء الرجال لا تكون  
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما ترى من الخلق  
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا  
زاجر من الخلق ، فاذا تزعمت العقيدة ولم يطعنن الطبع قل ان ينجع في الناس علاج  
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة  
الا أمرا يسيرا ، واني اذ كر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل  
أمرى منك على المزاج ، ولا يصفرن في عينيك مائي ما ألقى عليك ، فرب مؤرّب من  
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خطرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،  
وتغفل عنها عقول العامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والعلاج النافع ، لا يحتاج  
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جليظة ، أصفرت ما كنت تكبر ، واستنرت ما كنت  
تستغزر ، فاعلم انه اذا افتلت أبواب المتدييات ، واطفئت أنوار الحانات ، قبل منصف  
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوانيتها ساهرا ، ولا تجدد في طرفاتها عابرا ، اذا  
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك ( فينا ) يجمع فيها الليل بين الجفون  
والسرى ، ويجول الظلام بين الأرجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت  
حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد أثمروا بأوامر  
انطلق وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة  
الكوز : فنجتمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تعقوا أوامر الكتاب المبين ،  
ياويلك أيحييم ليالي العمر بالآثام ، وأتم أيامه بالنام ، فمكتم الفطرة ولا  
بدع اذا حكمت آمالك ، وخابت أعمالكم ، خذوا مضاجعكم اذا طر شارب الظلام ،  
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لبدانكم ، وسلامة لديانكم



إذا شئت أن تعرف ما وراء ذلك من النافع فاني أعد لك منها ولا أعددها  
منها الرجوع الى المعيشة المنزلية التي انحلت بزوالها روابط الأهل والأقارب ، وليس  
ما بين البيوتات ، فتأكر الأخوان ، وتدابير الجيران ، واقترنت المنازل من انس السر  
وإف الناس الجلوس في المتدييات حتى أنهم ليوحشون في ديارهم ، قلقة زوارهم ،  
وأصبح المرء في داره حاضرا كالفأب ، مقبلا كالنازع ، يعلم من حال البيدعه ، مالا يعلم  
من حال القريب منه

ومنها اجتيال القبات ، التي أقامتها المتدييات والحانات ، في سبيل الاجتماعات —  
كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور  
واقصصوا وكانت سراتهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم لسر فينشأها العالم  
ويؤتمها الكاتب ويقصدها التاجر ويتعجبها الأديب فتعبري بينهم الأحاديث  
وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره ، وتنزل التارة  
فيجدهم الأمم على العمل على إزالتها ، وتطل رؤوس المشروعات فلا يفتنون يقينون  
سارقا ، حتى قتوا شرونها مجتأ ، ويقفوا على وقائنها جدالا ، وينزل بأحدهم المكروه  
فلا يزالون يظفنون بالسعي له حتى يأخذوا بيده ، وينهضوا به من عنقه — عقت  
بينهم الزيارات ، عرى المودات ، قراهم وهم كأنهم أهل بيت واحد : يألم الجار للجار ،  
ويأخذ الناهض يد ذي الثار ، يربك هل نهضت أمة بغير ايمان الجمجمات ،  
وهل انصبت مودة إذا هي لم يهدما أهلها بالزيارات ، قد جار في حكمة من قضي  
على المصريين باستحالة الاتفاق ، وجعل تلك الكلمة التي رمى بها حكيم الأفتان  
أساسا لحكمه ، فصرفه التقليد عن النظر إليها بين عقلاء ، فمن ابن المصريين ان يتقوا  
إذا هم لم يجتمعا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الأفتنة ( اي بقية الأزيكية )  
تكدت تبلغ ما تفرجه ارض وادي النيل من الخيرات ولا يفرتك ما ترى في عاصمة  
الفرنسيس فان أهلها من الأكياس الذين يصلون سمر الليل بالنهار لأصطياد الذهب  
ولكن من جيب الغريب ونحن انما نقول ذلك لينهب الغريب بأموالنا ويسخر  
من جهالنا — اهـ . وهو خاتمة الجزء الأول من الكتاب

### ﴿ رسائل البناء ﴾

من مزايا مجلة الشمس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بناء الكتاب  
المتضمن وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعا  
بجموعة على حثها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل  
صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد  
الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما من تضرب يلاختما الامثال وتشد الى كلامها  
الرحال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان  
ورجائه ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبئة الجيش . وقد غني الناشر تصحيح  
هذه الرسائل مبارضة على أصلها ولم يتبع سنة اكثر طابعي الكتب بمصر من اهمال  
التصحيح فابوجد فيها من التلظ فالتذب فيه ذنب التناخ المحرفين مع قدر بلادنا  
من النسخ التي يمارض عليها الأهل . وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد  
قروش واحد فنحت محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قرائتها

### ﴿ سر تقدم الانكليز السكسونيين ﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم باسره ثقات الامم ، ولا  
غرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغيرهم من الامم العزيزة التي تساويهم  
او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يباري فيه احد الا من يجهل ان الشمس لا تغيب  
عن سلطانهم ، وان ماتت من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جهل هذا التقدم لا ميتة ،  
او تجاهله لغروره وغباوته ، فان الامم الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار ،  
ونجاريا في تلك الجوارى المنشآت في البحار ، هي الجديرة بأن تعرف سر تقدمهم ،  
وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بييدا عنه ، كما يعرفه  
من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز  
به الانكليز على غيرهم من الامم في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب مر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد فتحي باشا زخول في قومه وخدمته للغة أمته ان ترجم هذا الكتاب بالمرية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أجهج من الأولى وأشدنا تقاناً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته ( مسامرات الشعب ) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب ( التربية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر ) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختار فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي ارى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتابين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محضوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيتها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعنا التأسي بأمة كما ينفعنا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وتبتاً في التثبيت بالجديد

### ﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد اهتمت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للقصاص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوص باريس وهي قصة تفيد المتفرجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تهيدم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حيل الأوربيين القامرين على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والريزية ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

### ﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهادية مزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة وستقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خبر معرف لها . وقيمة الاشتراك فيها أربعمائة قرشاً في السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لغيرهم فتسنى لها التوفيق والنجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن فخر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المنار شيئاً من افكاره العالية وقعه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتسنى لها التوفيق والثبات

## باب الاخبار والآراء

### ﴿الامة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المنار لا يسع عشر معشار ما تعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجها وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدق بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكاتبين في الصحف اليومية والأسبوعية بعض ما ربما يذهلون عنه، وتنبه القارئين الى ما ينفع التنبيه له، واتي أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب . (١) أول شيء يجب على المنار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام ، بأنه دين تمصب وعدوان ، وفي المسلمين بأنهم لا يلتزمون مع أحد من لا يدين بدينهم ، لاسيما الذين يزعمون ان العلماء المعصمين ، هم الذين يثبثون الشقاق بين العالمين ،

أريد هذه الخطة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للأتمتاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال زكهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حوالبه ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدعوا بدعوة الأحرار العثمانيين من النصارى واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعطوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الظفر بالدستور قد كانوا هم السابقين الى مصافحة الأروم والروم وغيرهم من الشعوب المواقين لهم في العثمانية المحالفين في الاعتقاد وهم الذين رفعوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالقول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، إرضاء لمناطقة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا مجلما للبعوثيين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكرونهم هذا الجامع بذلك الفتح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم المنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته محجوبة ولا مقبولة

فادعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي يتمتع بعمرائها الجميع ، بهذا تكون الأمة العثمانية ، وتعتز الدولة العلية ، وبهذا يقطم المسلمون السنة القادحين فيهم من الأوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي التفوق فيه إلى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالستور خاسرة ، أو أنهم يمرون الدنيا بخراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشآن ، أو يدفعهم إلى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكما في نصحه ، مراعى لاستعداد الاكثرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدرج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعمل عليه بطلب مآثر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فإن المصلح في القوم يدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه إلى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، ويقيم على دعوته الحجج القيمة والآيات اليقينية ، ثم لا يستجيب له قومه إلا بالتدرج ، وأرى ان من الحكمة في تلافى الشذوذ والتقصير ، ان يبادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين إلى انتقاد أهل دينهم ولو بالعرف والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر ندينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايبتهم له ،

( ٢ ) انتقل باقارئ من المسألة الدينية ، إلى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان قد جسم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالسلم التركي ، يعادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يعادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك نفس

لو بدأ بالدعوة إلى ترك العصبية الجنسية العربي أو الكردي أو الألباني أو الأرمني أو الرومي أو البلغاري لما سمت للبادئ من هؤلاء دعوة ولا كان لها من الوقع والتأثير عشر معشار ما كان للجأهرة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من عنده الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال أحرارهم هللوا ايها ايها العثمانيون ترك التعصب للجنس ونشترك بقب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر بلهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخص الجنس التركي

بالثناء الحسن قبل ان تنامي او تنسى انا اجناس مختلفة . ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا . ندبضع سنين ارقى العثمانيين تربية وتسلما ، واعلاهم اديبا وتهذيبا (٣) بعد ذلك كرساتني الدين والجنس اذ كرسنا من عمل الجمعية التي تلاقفت ضرورها وسعت مع غيرها تخير العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - . ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الخثيث اليه حتي اندبجت الجمعيات فيها او كادت ، وتدابجت معها كما ارادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحددين في هذه الجمعية هم الذين يديرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع اعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلفاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر اوا كثر ولم يلبثنا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال او اديبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا اقرب الى العدل والانصاف ،

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكريتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق امورها (٢) تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لاسيما ذوات السبق الى الحرية كانكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليعجز ان يعمل في عدة سنين مائمه هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السر عسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ ابي الهدي احد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ملحمه وسليم باشا ملحمه الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر الحجاب والكتاب والختم

ومثلي الروايات وأجواق المويستقات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال الأمر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثير الغزل والنقل في المعسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثمة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائفين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يهزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الأبدال عسر جدا مع تحوي الأكتفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان تقبل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كان ممن جروا على مصانعة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدرج فان في العجلة مفاسد كثيرة ، واما قهوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد فقد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الاسنانة وسلاينك وأوربا ، ويحمل الشعب على المظاهرات ويهريه على الخطب الحاسية في تسيح الحكومة السابقة حتى افراط بعض الناس في ذلك افراطا لا يصد عاقبته ثم اتنا نرى بين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناهقين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه يتهاقون على الدخول في شعب الجمعية تعززا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاجا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يرتقي هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا أعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان يطن في الدولة انه من الأحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الأعضاء الصادقون الي تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الي محققهم وتزكية الجمعية من نفاقهم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم يبلغنا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الأهالي الذين يظلمون الناس وينفون في الأرض بغير الحق ويأوون الي بعض الوجاهة فيقتدونهم من الحكام بالرشوة حتى بلغ من استهاتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيبتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على مرأى من شرطها وهم آمنون مطمئنون



فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين قيسهم الآن الى نقب هؤلاء الاشقياء وتربيتهم بالشدة التي لا يطعمون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومه السابقة والا كانت قائمة الحرية للاشمرار وقائلتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو موادة الدول الاوربية فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر اعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة تذكر بها الا الاحتباس من جنة المانيا والنمسا والله الموفق فتناله حسن الختام

### ﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من متار هذه السنة أن انكارا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعلوه مناقضا لما يستتبع من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في قاهره ونظر خارجتهم في مجلس النواب بلندره وكنا قلنا ان حركة القبط التي شرحتها في الجزء الخامس مما يحتفل ان يحصل الانكليز على ارجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نيا جديد من أبناء أوروبا بالسرية العالية بأن القوم لا يزالون على مزهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان يتخذ في السنة القادمة

لا أقول ان كتابات القبط التي تعامت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لإظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الاخلاق شمهات وقايلها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أيضا كانوا وحيا وجدوا فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يلقى بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يجارون الطبيعة ولا يقاومونها ويملون في كل حال ما يرونه يلقى بها ويوشك ان يكون للوفد المصري الذي سافر الى لندره برئاسة اسماعيل باشا أبلغه تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقا وانكار قضاها وإسناد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

## كيف نستعمل الحرية (\*)

أيها السادة الأحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقي الأوّل أرسل اتقول إرسالا ، لأنّ المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان من عقائه ، وفكّ الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدنا نياس من انتهائها ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان اتكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرئيل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الارتجالية حرةٌ مثلكم أيها السادة فهي تأتي التقيده ، وقد جعلت موضوع خطبتي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا اخرج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاص الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضمنون لها قيودا ، ويخرجونها عما وُجدت له ، ولو كانت ذات شعور سمجت كيف يحاول تقيدها لطاقواها وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستبين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتحان حكامهم ، والنعي على صالحهم وطالحهم سادتي : ان من يدفع عن مركه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ، فاذا كانت المظالم زحزحتنا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فنحن لا نرتكز في قطة الا اننا دفنا تلك المظالم في صدرها ، وأنحننا باللائمة على القائم بها الشعب الذي ينلو الحكام في ظلمه ، يجب ان يتطرف في الحرية من نالها الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفتقه من سكرة الاستبداد الا التفرج الفظيع ، والتتديد الشديد ، فهو كالمضو الخدّر ، لا يحسن الا بالوخز المؤلم وربما لا يحسن به .

( \* خطبة من الخطب التي اقامها في احدى احتفالات الحرية ببيروت السيد

حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (الناج)

( المجلد الحادي عشر )

( ٦٩ )

(الناج ٧)

كل هذا ايها الاخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذا نكون صرفنا الحرية عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

ايها الشعب السوري العظيم ، يا سلالة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني احييك واهش لك ، احييك باسم الحرية ، وانا اديك بل ماضني : انت اسمى من ان تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل انما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواء ، وصيانة الافراد من عبث الحكام ، وسهولة سلوك السبيل الي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسط ابنائها في الحضارة والعمران ، وعدم استكاثهم للظلم والهوان ايح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لنا بهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان نرتشف منه ارتشاقا ، بل يجب ان نتلمه ابتلاعا اذا قدرنا اتيح لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يلقى بنا ان نعمل ما من شأنه إضعاف قوانا وإنهك جسمنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجميات هي اساس النجاح ، ودعم الرقي ، فيجب ان نؤسس جميات ، لا يسوغ ان تكون جمياتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية مها كانت وجهتها ، وأي كان قصدها ، بل يجب ان تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جمياتكم عثمانية ، الجامعة الي تنضمون تحت لوأها هي العثمانية ، فاجعلوها جمياتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمها مشترك بين المسلمين والنصارى وانا الآن لا اعرف ان كانا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بشئائكم لا بذهبتكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بللى بللى  
المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنهض من كبوتنا ، ونُقال من  
عزتنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي  
تضم الفرق والنحل ، وتنشى طلابها تنشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ،  
ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي نبت الجمعيات وبنها فتى انشئت  
الجمعيات فقد أسست المدارس ، فانشؤوا الجمعيات انشؤوا الجمعيات فخصوا استعمال الحرية  
الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهديبية ، وهي ميزان اعمال الامة ، وعنوان  
حالتها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تناول كل شيء ، وهي قائد  
الامة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن مواطن البوار والشقاء ، فيجب ان  
ان تكثر الجرائد بيننا ويتم انتشارها وبذلك نحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير  
الكبير ، ومن البواعث على العمل المنفذ ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأمم من الخفيض  
الاسفل ، وينيف بها على يفاع المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد لتقرأ فقط فان  
الخطب يتناولها سمع القارئ والأبى ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخامل ،  
والصانع ، والزراع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من  
الدعائم التي يثاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فالنابر  
النابر !!! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبتها ، ليهتفوا فلتندم  
الحرية ، فذلك يحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قواتنا ،  
والمحافظة على حريتنا ، وبه نرد عادية المظالم ، وندفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل  
مجموع أفراد الامة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد  
بالنهر والسلى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث  
الشريف ، فيجب ان تتآلف ، ويجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لتحسن استعمال  
الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وثمة شؤون أخر ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خير  
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المبد ، والأمل مقفود على ان  
بينوها بالصل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك  
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو  
هبة من شخص معلوم ، أن هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب  
وخيانة وفاق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، أن الحرية هي حق  
للشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فبيل الشعب له انما هو استرداد لحقه  
المتعصب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا للسلطان  
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر جيشنا الباسل صعبه الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خالف  
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأست الجندية ، فان الجيوش في كل  
الأدوار والأجيال ، كانت يبدانظالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا  
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل أقت انظاركم الى فظائع جيش السجم ،  
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يملون بطلاب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة  
المستبدين ، وتنفيذاً لتقاصد الظالمين ، فليمت المستبدون ، وليسحق الظالمون

واشكر أيضا لرجال جمعية الأتحاد والترقي الثماني ، ولكل رجال الاصلاح  
الذين وقفوا حياتهم ، وخطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرح  
بأن جمعيتهم قامت بما لم تم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فلما كانت  
صيا في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو والميت شرع ، هذا مع  
اعترافي بما للجمعيات من الأثر الحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يبلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ  
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

( المار ) جاءنا من بيروت ان الجمع المحتمل قد حقق للتطبيب مفيقا شديدا

وحقق بالحق له والنار هناك كثيرا ،

## الفصل الحادى عشر (١)

( الحب الشريف )

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة إلا من خصائص  
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتر نظرات بصيرته  
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع المعائب  
النفس مجلى الآيات الكبر ، ومهيطة الفيوضات العلى ، والمرآة العظمى  
التي ينكشف بها الازل والأبد ، والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء  
وتتكرر الصور ،

هي السلك المدود بين مبدع الطباع ، ومقيم الشرائع ، وبين  
الجواهر المتأنفة الصامتة ، والظواهر المسخرة المطيبة ، فهي خليفة عليها  
واتحة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجذوبة من طرف اليها  
بجاذبية الانس والمادة ، ومجذوبة من طرف آخر الى مصدر بوارقها  
بجاذبية الحب والشوق ، وبأجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر  
حظها من الانكشاف ، وبأجذاب النفس الى مانع الظهور تأخذ النفس  
حظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تتمجد بما ميزها  
به فاطرها تباركت عظمته ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطيبتين  
المتضادتين أعظم وأميس الا واكوان لوجودات كلها لكن اختلقت

العبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب  
من هاتين الطبيعتين لاتساع المحيط الذي تدور فيه ، ولا اتصالها بعالم الحسن  
وعالم القبح ، وترددتها بالأجذاب بينهما فهي ان وقتت يوماً مع الطواهر  
أنست بها فشتتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذي هو وصفه ، وان  
ارتقت الى المبدع دهشت فتولت فتدلت لما هناك من المجالي الازلية  
التي تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة  
والرهبة ، الاقدام والأحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ،  
كل ذلك من مبدعات الحب والبض وأثارها . وكل درجة من هذه  
الاشياء قائما هي على مقاييسها ، هما بالاختصار ركنا السعادة والشقاء  
فن هدي الى تصريفها والجري بهما على سنة مثلى فقد أهديت اليه  
السعادة وأوتي بالحب الشريف والبض الشريف حقا من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قلب طاهر والقلب الطاهر مركز  
الحب الشريف فإذا أحب سيدتنا هذه كان قلبها تواقاً الى مآلي الامور ،  
عظيم الشرف بحسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيماً  
قويت معرفتها بالكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التي تليق بالانسان  
سواء وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تندرج في زمرة  
عشاق المجالي الازلية

عرفت هذه السيدة صفة النفس الانسانية بمن منه انشئت أسرارها

واشتت أنوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم فيفيض عليها من العناية  
الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة  
الطيبة قوة فراسة والقراءة نور فكانت تهدي بها فيما هي حائمة الروح  
عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن  
مهد الله ووجدت فيه ما يمشق من المزايا الطيبة، انتشرت حبه من تلك المحبة  
الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقعت في محل من قلبها لتثبت  
شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألقت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها  
هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من  
لذات العناية المرجوة .

الآن وجدت محبة الفضائل والحمد أعظم من تجلي الفضائل والحمد  
فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يميل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك  
الشهر فيها وقد سبرته في متجراها فربحت بواسطته أضعافاً، والشجاعة هو  
المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أبي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في مجاه  
طوالها، والحكمة هو الذي قرأ في سبأ آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة  
هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأني الفضل  
تنشد بعد هذا محبة الفضل، وأي الحمد تريد بعد هذه سريرة الحمد؟  
كأن خلق وكأن خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلا  
أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمة لا تقف أمامها الصواب،  
وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو  
طالب وهو به جدير:

فن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكماء عند التفاضل؟



حليم رشيد عادل غير طائش      يوالي إلما عنه ليس بنافل  
 لقد علموا ان ابننا لا مكذب      لدينا ولا يخفى بقول الأباطل  
 فأصبح فينا أحمد في أرومة      قصر عنه سورة المتطاول  
 فإأ كثر فبطة السيدة «خديجة» اذ عرفت هذا السيد الجليل، وما  
 كان أجدرها بأن يمتق قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها اذ علمت  
 انه لا نظير له، وان سعادتها لا تتم الا به، وما أحقها ان تشتم القرصنة وتسبق  
 الى زوج هذا الشريف الذي جمع الى شرف النسب شرف الخلال

## الفصل الثاني عشر

### مقاول معنا وقد

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الاونة  
 الى زماننا هذا وكان علماء التوراة يثبتون دائما بظهور نبي متطر وبعضهم  
 كان يقول انه سيظهر من العرب . والراهب مجيرا قرص بن أخي أبي  
 طالب اذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن : ولم  
 يكن بعيداً عن المؤلف أن يجبر بعض الناس بالمغيبات ولكن لم يكونوا  
 يصدقون كل شيء من هذا القبيل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن  
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكهن قبيل ظهور النبي ( ص ) ولكن أكثر الناس لم  
 يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئا من كذب  
 الكهانة مع مصداقة صدقها أحيانا فلم تكن الثقة بها في الحقيقة آمنة  
 ولا سيما في الامور العظيمة

وينا نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمثل لمن  
رجل فلما قرب نادى باعلا صوته: يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي  
يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجا له فلتنقل، فكذبته ورمينه  
بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رمينه

لم يكن هذا النبيء كما هنا معروفا فلذلك احتقره النساء لأنهن لا يبان  
في الغاب الا باهل الشجرة . ولكن كان قومهن يعتقدون بالخالف وهو  
على اعتقادهم روح ينطق بالشيء من حيث لا يرى أو تمثل بصورة بشرية  
فيقول قولا من هذا القبيل ثم يئيب فكان السيدة « خديجة » اعتقدت  
ان هذا المنادي هاتف فلم ترمه كما رماه ترائها ولطها صدقت اذ ذاك  
وقاطت خيرا ورجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وان صح ظننا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم نطقها الى  
بركات الجناب القدسي فاذا الرغبة في زوج المنتم عليهم بالنبوة لا تعظم الا  
من العارفة بذلك الجناب الاعلى الذي يفضل بخلقة النبوة على من يشاء  
كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار انبياء جيرانهم  
بنى اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصطفيه الله ويرفع  
درجة نفسه على درجات سائر نفوس البشر حتى يطلع على عالم يطعم عليه  
أحدنا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكا أو حظوظا زائدة من  
نعيم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقايين ولم يكن حظهم الا  
مقاومة الناس ايام وتعليمهم . والنساء اما يرغبن بالنعيم والرفاهية ويرفدن  
العيش وكثرة الحلال والحلي وكل هذا لا يرجي لدى الانبياء الذين تنصرف

أنظارهم عن متاع التروير وينتفون الى ما فيه غبطة الروح فلا تتصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنم الله عليهن بسلامة القطرة وقوة الاستعداد كالسيدة « خديجة »

ولما رجع عبدها « ميسرة » من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي « محمد » أخبرها بأحوال غريبة رأها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فابث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمته بأذنها ، صوت ذلك النادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد . وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تألف منه هذه الكلمات :

« تقاؤل هذا وقته »

## الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب « خديجة »

كانت « خديجة » تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تسيء على خواطرها بما حكاها لها عبدها « ميسرة » ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أناب به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا مرّ بقلبا خاطر آخر يقطع عليها هذه الآمال وينهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينازع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما علمى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتمثل في فكرها تلك الطامة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدجاجاوين، وتنسى الشمس ومائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المثاق، ويقوى إيمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفليس حسبي أن أكون ربه النصيب من فتي قريش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة المظمن الصالح الذي أنبأ به المهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الخيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة عكاسه نفسي، أليست تمنع الماديات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للماديات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجود عليها، وما أنجس صفة الدين لا يترشحون عنها، نعم نعم أف للماديات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحببت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكر، فانطمت عليهم سبل الارتفاع في معارج الاستحسان والتحسين، ونمت عليهم مطالب السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للماديات فهي قاطمة الطريق على نتائج المقول ترجعها في مهاري الندم، أو تذرهما في سجن أقفر ممنوعاً عنها كل ما يربها، ويأجها

لبنى آدم الذين يضررون المادة في هذا المكان من الحكم على قوسهم والقضاء على صولهم وتلويهم أليس لهم ما يذكرون بأن المادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم ما يصرح بأن المادة يجب ان تكون تابعة لامتبوعة، ومنقادة لا فائدة، حتى اذا قمت أمام بصائرهم أبواب أخيراً هو خير ودعوا عانتهم تلك المحودة على تدبر ما قمت، ومنسومة على مبلغ ما ضرت، واستجابوا أخري، معاصيها على مقدار ما يدوم من أسبابها، ونضع من أبوابها

تبرمت وخدمت، بالمادة كثيراً، وتأقت من قلبها طويلاً، وسردت كل سيئات الجود طيباً في نفسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن الخدمات والتابع، لا خصها الله من سلامة النظرة، وفضل النطقة، وقوة آلة المعرفة، وسرير حرارة الهمة،

ثم مادت لتضر الضعفاء الذين لا يستطيعون التظلم على الثابت الراسخ وهم الاكثرون وقد كرت أسباب رسوخ بعض الماديات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت، وأحوال مضت، وورأت ان الناس يرثون من السالطين كل شيء، ولا يميلون الى التغيير حتى يميل بهم الدهر ميلة شديدة على يدعاصف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكم دكت الارادات القوية أطوداً من الماديات

ربما كانت هذه السببة تستطيع التظلم على المادة فلا نجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لاني كانت قوية الارادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطبتها وهي أرملة في الاربعين من العمر، وهو في الخامسة والعشرين يشف مجاه عن ماء الفتوة، ويفسر عندي الشباب، والمرأة مها قويت ارادتها تذكر

الخية فينظ احبابها اقدامها وهذا بعض أسباب المأفة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصب الخواطر على المرأة التي تجد ضالتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تحصيلها هي صبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصب لانها أضف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله في عين الرجل بهتت نفسها وعلت كرامتها لديه . قوّة الخفر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها ومن عطل من هذه الحلية منهن وغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلى وأجل وأزين هذا الضعف الذي بدونها تمقت المرأة . والجن من ضعفها ولو لا ما حصل الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فإنذا تصنع قوّة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خنرها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعتها أمام خشيبتها من الخية ، وماذا تجدي قوّة عزيمتها وصبرها عند المزيجات من خواطر الحب الشريف الذي ملأ قلبها الطاهر بعدان كان حبة صغيرة أقيت فيه

اللهم رحماك قليت القلوب من حديد، ولم تقدّ من صخر، ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها راحة الياس، ويرأب ان اتاهها راحة الرجاء، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورائية، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها النطاء عما يحف بها من السعادة الخفية عنها اذ ذاك لا قلب وجاؤها يقينا . ولكن تستكمل الفراز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منحوسا بضحك وطمب والشقاء يساوره عما تحرب يأخذه يائنا أو يصيحه وحله

صباحاً . وتري مسعودا يتامل ويمسي ويصبح علي مضاجع الخيرة والاروق  
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على  
رأسه وتشمله ويتبارك بها بيته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى  
هاتف يشرها يقرب اتصال السعادة التامة بها ، ما أشد حاجتها الى من ينبتها  
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية  
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الميل الى رب الفضائل والمكارم  
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وجبست عنها البشري حتى أخذت  
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف  
لذلك الذي أجمعت فيها بمد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

## الفصل الرابع عشر

### الزواج

لا بدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد  
اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديراً  
أن تجلي هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض نعي الانسان .  
كيلا يكون بو آدم وحواء أنقص من الجمادات حظا في هذا التاموس  
الكبير الفائدة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت  
جديرة ان تتناول هدية سعادتها ، وتكشف لها الحبيب عن الرحمة التي

ترعاها ، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة  
خطر لها ان تبث الى النبي سكنت مكارمه ومعاليه فزادها رسولا  
تسير به رغبته وتستحي به سعدا مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن  
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجاها بالله سبحانه وحسن ظنها بان هذا  
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها  
في سواها

كانت لها صديقة اسمها « نقيسة » ( وهي أخت يعلى بن أمية ) قصصت  
عليها حديثها واثنمتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة  
هذه الامانة لانها ستكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت  
مجالا كانت وكيلة بابداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكن ممنوعات من مكالة الرجال  
فلم تكن رسول « خديجة » محتاجة الا لشي من قوة الجنان امام ذلك المريب  
المظيم وقد امدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد قتل ماشئت في تيسير ما يرجوه

جاءت « نقيسة » هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس  
بعضهم بعضا فقالت له ما يمنعك أن تزوج فاعتذر لها بقلة المال اللازم للقيام  
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاة قال  
لها « ومن ؟ » قالت له « خديجة »

قالت هذه الكلمة وصمتت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام  
حركة في فؤاده وبأي شي يتحدث ذلك الفؤاد الطاهر حينئذ الا بقوله :  
خديجة الشريفة المروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي الموافقة ، هي الصالحة



اذهي يا قيسه فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النقية في هذه الرسالة  
فالله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى  
مخاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبد العزي « هو الفحل  
لا يتدع أنه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يرد ان خطب  
ما كان هذا المخاطب الكفو فنياً اذ ذاك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً  
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقري الضيفان وانغاة العفان في  
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب  
وأبواب المراج بما أوتوا من الهم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار  
المعدمين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فتح قلة ماله  
في ذلك الحين أصدقها عشرين بكرة لان اعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة  
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً الى رؤساء ديات ، ولا تلاوة الرؤساء  
صلوات ، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوافق برضا المرأة وأوليائها  
ورضا الرجل ، فيخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجابة من المرأة  
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للمخاطب . وهكذا أصبحت  
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الأمين بكلمة أعطها عمها عمرو بن  
أسد فاعظمتها من كلمة جمعت بين القميين ا

فبشر عباده الذين يستمروا القول فينبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# المعراج

١٣١٥

بإذنها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما ينطق بالآلة أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ - ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٨

## فَتَحْنَا

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وان تذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورواقد من آخر السبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا فيما مشترك لكل هذا. ولن يفتي عن سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عدد صحيح لا نقفاله

### ﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ١٢ - ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنباء وان كان في صورة الانتقاد وهو: اتي قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى «ويطعمون الطعام» الآية حديثاً طويلاً مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رأيت في (نوادير الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يعدونه صدق الحديث بعد ما ساق الحديث الى آخره: هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل بعض على شقيقه تلها الا يكون بهذه الصفة ولا يدرى ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم «ويسألونك

ماذا يتفقون قل الصوفى وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قال صلى الله عليه وسلم  
«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج النقة  
لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثما ان يضع  
بما يقوت» أفحسب عاقل أن عليا رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى اجهد صديانا  
صغارا من ابناء خمس اوست على جوع ثلاثة أيام وليالها حتى تضوروا من الجوع  
وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابه من  
الجهد؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله  
جوع ثلاثة أيام بليالين؟ هذا ما ذكره الحكيم الترمذي في وجه التنكير الا ان  
المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم  
يتين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة.

٢ الفونراف—وقد رأيت أيضا في هذا الجزء في قسم الفتاوي سؤالا يتعلق  
بالفونراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على  
من سمع آية السجدة منه؟ وان شخصا لو شهد بواسطة الفونراف أو ودع الوصية فيه  
هل تقبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا؟ واني أظن ان السجدة يجب على السامع اذ هو  
كلاستماع عن انسان وانما الفونراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية  
ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مها ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التليفون  
والفونراف حتى اتنا لو سمعنا صوتا معروفا لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا  
نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم.

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون  
بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستفتون  
ما حكمها الشرعي ووربما تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة اقرغزية فما حكم ذلك شرعا؟  
هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل  
كسئلة الر بامثلام هذه المعاملة مما تم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ  
حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجا ان شاء الله تعالى  
و الامامة — ان رجلا قطعت احدى رجليه من فوق الكعبون قدم صناعة

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القسم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في امامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

٥ النسخ — هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة النسخ والمنسوخ وهو يقول ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال بعدهم اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يؤيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسئلة ثم ان ابا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يستبرقوله بحيث نعهه خلافا في المذهب فبعضنا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين النبي والمعتزلي فيما اعلم والله اعلم. وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ معا وما قيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فلي هذا يصير النزاع لفظيا والله اعلم. والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسئلة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوتاري

الجواب عن ار علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الأثر في الإيثار لأجل العبارة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « و يروى » ولم تثبت في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان أنساً الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة . وما قاله الحكيم الترمذي بمضه وجيه مقبول ، و بعضه متقدم مردود ، والإيثار مرتبة وراء مرتبة تقديم الانسان نفسه على من يجب نفقتهم عليه من أهل وولد ، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله ( ٩ : ٥٩ ) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) وقد حررنا هذا المبحث في المجلد الثاني من المئارج ( راجع ص ١١ و ١٧ منه ) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما علي الإيثار ان صح الاثر من طريق الرواية بنفسها او ببالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فالخطب فيه سهل

### الجواب عن مسائل الفونتراف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الأمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامثال ومن سمع القرآن من الفونتراف صدق عليه انه سمع القرآن فالظاهر انه بشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . وإنما عبرنا يشترع دون يجب لاننا نرى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الأحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

واما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالهبة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها ممن صدوت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة الفونتراف مثلاً كانت بينة شرعية صحيحة لان البينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المئارج من قبل

### الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا اتفتمم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استتمتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلد او ما لم يدنع منه كما في القاموس . ولفظ احمد وسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدبتموه فاتفتمتم

به « فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ يان لطريق الاتفاح وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان داجنا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا انتفختم باهلها ألا دبتموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الاتفاح بالاهاب غير المديوغ كاتدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجزون شاة لهم مثل الجار فقال « لو أخذتم اهلها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اکتفوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والاتفاح به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الاتفاح بها . وحديث « لا تتفخوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعلت بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فانها مما يؤكل فسدت الثريمة اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدعاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالثمنه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن مظهرا نظيفا بعيدا عن الاقدار وما فيها من المهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي يتن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون بجلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتى تفسد عليهم بل يعالجونها حتى يتفخوا بها فالذي اراه وأعتقده ان التجارة بهذه الجلود جائزة شرعا لا اثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخالفين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعقد في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

### الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي باعمال الصلاة كلها تامة

وحيثذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدي رجليه من الخشب وهذا لا يصلح مانما من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام يصلي جالسا للعرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا . وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلواته صحت امامته . ومن استتى من هذه القاعدة بعض من نصح صلواته للضرورة ولا تصح امامته كالندي لا يحسن الفاتحة لم يستتى من ذهب احد اعضائه فأتخذ له بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

### الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذ كر اني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى ( ٢ : ١٠٠ ) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بنخير منها أو مثلها ) والآية في اللغة العلامة والعبارة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق ، والنسخ في اصل اللغة نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الأساس قولهم : نسخت الشمس الظل من الجواز والمعنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء واثناني تحويل لغيره . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وائمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع اختلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتاج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص والمروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق انندي صدقي والشيخ صالح الياضي فعند ما تنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كتبنا بدأنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صدقي فأمكننا عن اتمام ما شرعنا فيه



## ﴿ التمييز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبعث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحجب عنه في النار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل ؛ قد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لآلهين لهذا المقام أقدم لابلنكم أوفر التحيات وأزكى  
السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلية وتبوية السلطة  
الدينية الاسلامية أدامكم الله ركناً منيعاً للوراثة المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ  
لما بيني وبينكم من المودة الايمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع  
ما اعتبراني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائدة فله الشكر ولكم  
والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي فيما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس  
اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله :  
الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان للذي  
يوسوس او يان للوسواس الخناس فلو وسوسون قسما قسم الجنة وهم الخلق المسترون  
الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس  
شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فبينم حضرتكم بان الجن خلق مسترون لانعرفهم فهل المراد لانعرف كافة  
احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من نار في  
آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان يسري الدم  
كما كان يسري في الآلهة لمعبودتهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة  
فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بمخالف غير

حقاقتنا وانهم يقدرون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلم « وانما نجد في أنفسنا أورا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جطتم هذا الاثر للشيطان الذي قلم عنه بانه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكان هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فكبرت فلطمها الله وقالت « انظرنى الى يوم يعثون » فلا غوينهم اجمعين « وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان — اي القوة — الا غورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله ( واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ) الخ قل ( أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قبس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لا أقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكري منشئة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم

محمود فهمي

باشمهندس ري مديرة الدقهلية

( ج ) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المسترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك أخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن ( ١:٧٦ ) قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن ) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

يرهم حين سمعوا منه القرآن فأمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان حبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وإنما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦:٢٩) واذ صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن ) واذ اصح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة واتنا صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لم كما قال في سورة الجن (٧٢:٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٢٧ الامن ارتضى من رسول ) الخ

وكذلك حديث صفة عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى حبا مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧:٢٧) انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجنان لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجنان

واما تعبيره عنهم بالقوى فقد كنا قلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لم حاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واتنا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاد عليه رحمه الله واحسن مشروا ومميز ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿ ﴾ وهالك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي تحف عنده ولا نزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة اصناف

لكل صنف وظيفة وعمل وتقول الآن ان الهام الخبير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منها محل الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتمثيل الجثمانية المعروفة لنا ﴿ لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا قائما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطما ﴾ والواجب على المسلم في مثل الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في الحديثين وكون عمر منهم . والمحدثون المهتمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشيطان لمة باين آدم وللملك لمة فأما لمة الشياطين فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ( الشيطان يهدمكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا الا من حديث أبي الاحوص . والرواية اياد في الموضوعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضوعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والاياد اغلبي فيما يظهر والافهم غير صحيح واللمة بالفتح الالمام والاصابة

( قال الاستاذ ) وذهب بعض المفسرين من مذهبها آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من انماء نبات وخلق حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى انخاصة بما هو أدق من ظاهر المبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفحه الله في البندرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجاده قائما قوامه

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني اتوى الطبيعية ﴿ إذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعقل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ﴿ وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهم حق الفهم ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال اصدق بغيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴿

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو الخير ، ووجه للباطل أو الشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسبته قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكنته حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى منكاً ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجب فيها على الناس فكيف يحجب فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نافذ والعلم الواسع ! ؟

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومما اختلفت

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان عانت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سيئين مختلفان فسبب الظلمة الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الظلمة الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللفظ الذي يتبها به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتبها به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة « اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الاستاذ الامام مامعناه: فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المحاوقات لا يتعداه ﴿ ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به ﴾ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحداه والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لانه أكل الموجودات في هذه الأرض واستنتى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بـابليس وهي القوة التي ﴿ لزها الله بهذا العالم لزا وهي التي تميل بانستعد للكمال أو الكمال الى النقص وتعارض مدة الوجود تدره الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي ﴾ تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلائقه فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فرجعوا ان في العالم إليها يسمى إله الشر وما هي بإله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته الا هو ﴾

( قل الاستاذ الامام ) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجرد في الدين ما ينجمها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحيط علم بما فعلت المادة والتماليد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددين في الدين اذ يفرون من هذه المعاني كما يفتر المرضى أو المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تثبت أولئك المرضى أو المخدجون بأضر طعام يفسد الأجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيّلونه من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آثاره في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له : فاذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة خلفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك الدين أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟

﴿ ألا لا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون ادعانا ، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سببه ، ولا يعرف أهل العقلة . لو ان مسكينا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء واذرهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الأجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بحجره آخر ككشف ثم ينعكس عنه كذبا المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قالية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسب يريد وكيف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من العدم ألا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعدشكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بنول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يعد مثلا من آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بإيمانه نفسه ، وأدعن اهقله ، ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به . كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فيرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذي وفرقيها تقاليد حفت بالخاوف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشرف في نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الألهي والضياء المملوكوتي والألاء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لنفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكن حل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون إلا وجهه الكريم ، وان ما كُشف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه إلا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس إلا ما بين لنا بالنظر الى الاول نسبه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شيء أعلى ولا أسط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، او عرفوا ذلك كله لأطافوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطائفة حيث لا ينازع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا نجد طائفاً من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

لهذه القوى التي ترى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا الى آثار مجهل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجبت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الناشئ ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كتبها لاحتجابها بما تصوره من حياتنا واختيارنا ، ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيقا حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا تقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سئلت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وهيته حياة لم تستطع له تعريفاً ، ولا لفظه تعريفاً ، الاقول كما قال الله وبه قول



(١٧ : ٤٤) تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم )

﴿ أفلا تزعم ان لله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلوركنت الى انها قوى أو ارواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أرواح لنفسك ، وأدعى الى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من أسرار الكتاب ، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول ( آمنة به كل من عند ربنا ) فلم ترمي طلاب العرفان بالرهبان ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنتم به ، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته ، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا ، وارضى منك برهبهم نفسا ! ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة ، ومن فضل ربه في سعة ، ﴾

ثم تقول في الآية ان ترتيب النظم يلتئم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المعاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شرطباع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة وينخفضها معها ارتقى وكل وقصارى

ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل يجعله مسخراتها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى ( ١٥ : ٤٣ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ) وقال عز وجل ( ٧ : ٢٠٦ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الفناء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرته من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكمها في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴿ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كتبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

## باب المناظرة والمراسلة

### ﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالحا اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل الفارئين وسآمتهم وضياح أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض ، وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في العرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة للمفكرين . وعبرة للمناقدين ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الأدب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

( الكلمة الاولى ) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

(٥) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغاً بحيث صار يلعب بعقول أصحابه ويجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا اتضح له فيها عيب أو سلخ عليها انتقاداً في مغزاها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متقاً مع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد إذاعتها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفاً من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أتاهم بحكم واتضح له بعد تخرجه أنه لم يرض الناس أو أنه لا ينفعهم أو قد يضر بمصلحتهم التجأ إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظاً وحكماً أو لفظاً فقط أو حكماً فقط

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا التقلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الورطات والغلطات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما فقد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتقدوا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا تحكما إنها جميعاً مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعبارة مقبولة ، ولا يمكنهم الإتيان بحكمة لذلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا تصريحاً ولا تلميحاً . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتنقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلاً عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواء كالأيات الكثيرة من سورة الأحزاب والتحريم وبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلاذ لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلاً مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قرناه هنا كما  
 يقررونه في كتبهم الطاعنة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على  
 روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم  
 مسألة النسخ والقول بها ، وكان الاولى بعلمائهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في  
 أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ،  
 بدل أن يهيموا في وجهنا ويردوا مذهبا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في  
 أصول الدين ، وبهتابة تسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين ، فحسبنا  
 الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك ليأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين  
 ما ينفع المصنفين ، ويهدي المستهددين ، وسأزيد الامر قوة في الكلمات الآتية ، ما  
 سيكون إن شاء الله نافعا للمؤمنين ، هادما لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

( الكلمة الثانية ) — في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور  
 المسلمين وتواتره في جميع الأزمنة - اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور  
 منها (١) كلامهم في نسخ الأحاديث والسنة فقد كانت الأحاديث والسنة تنسخ بأحاديث  
 وسنة مثلا وتنسخ أيضا بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين  
 ونشأ منذ نشوء الشريعة الإسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا  
 يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون  
 به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل  
 ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والمجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ  
 القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والأحاديث . أما رفع حكم الآية مطلقا  
 فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة  
 ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم أن  
 بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولنا ملزمين بتقليد  
 أي صحابي فيما فهمه ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير  
 في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير

موضوعه كما قال الامام احمد بن حنبل وقله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكننا أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تُلغى فلا تلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن انكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا نُنكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عيباً في تسميتهم التخصيص والتقييد والتبيين نسخاً . فإن كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الأصفهاني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وانكره غيرهم في جميعها بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء . فإن المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الأول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وإن كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا إليه فيما كتبناه سابقاً تلك دعائم شبهات المخالفين لنا في الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أنكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم أن أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي إن لم تكن موضوعاً من أعداء الاسلام المناقذين لغرض المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد مذهب لها في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سندا من الكتاب المتواتر فيختلقون الروايات ويدعون أنها كانت قرآنا ونسخ وقد انطلت حيلتهم هذه على بسطاء المحدثين كما انطلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الأحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن ان كل ما أوحى إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآنا ونسخ كحديث (بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ) فوقع بسبب ذلك في الغلط رواية ودراية ولو علم ان من الوحي ما ليس بقرآن مطلقا لما ساء قرآنا واني لأعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (سفرئك فلا تنسى الا ما شاء الله ) مع ان مثل هذا الاستثناء قد ورد - كما قرره الاستاذ الامام --- في القرآن لتأييد النفي وليان أن لاشيء في هذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكأنه يقول انك لا تنسى أبدا الا ان قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى ( خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ) مع قوله (خالدين فيها أبدا) (وما هم منها بمخرجين) وغيره كثير ( لها بقية )

## كلمات للمنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الأشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألنا نشرها ، فأجبنا سوءا مع الشكر له ، لأنها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التحمل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المنار حياك الله ويياك ، لقد أوضحت السبيل ، وبينت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالأشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، من قوم فظروا اليك بين الانصاف ، فشهدوا بها ما حزيت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم الى

طلعتك متناقة، وبصائرهم بالاعودتيا من لذائذ الحكمة مفتاقه (كذا) ، ثبت الله دعائمك  
 أيها المنهج القويم ، والقسطاس المستقيم ، لقد كشفت قناع الخفائي ، وبينت  
 تباين الطرائق ، وشددت أزر الحق ، وشيدت مباني السنة ، وخربت مصانع  
 البدع ، وجددت هذه الأمة دينها ، ودعوته لتدرك يقينها ، فمنها من اتبعك ،  
 ومنها من ضالك وبتدعك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .  
 أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب وروده ، والواضحة في سني السنة  
 حدوده ، والمرفوعة عليها قواعده ، والموظفة على طوذيها شواهد ، فلا يحزنك  
 (وحاشاك) ما هذى به بعض حاسديك ، وما فاه به الأغبياء من راديك ، فقد  
 وردت البنا ودودهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، واطلع عليها المستبصرون  
 عندنا من طلاب الحق فأنشدوا بلسان واحد

ان المرانين تلقاها محسدة ولا ترى للثام الناس حسادا

واقبلوا يتضحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ولا بعض شيء ،  
 فلا تهدم حقا ، ولا تبني باطلا ، فما عليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات  
 المزورة ، وهاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما قصر رأيهم عليه ، ومنتهى ما بلغوا  
 من العلم اليه ، واننا لانكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمعقول ولا منقول ،  
 والحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق بزخارف اللسان ، ولكن بالدليل والبرهان ،  
 والاختد بما في القرآن ، وأحاديث سيد ولد عدنان ،

أيها المنار لا تروعنك (وحاشاك) تراثر الأبهة والحسدة ، ولا تهمنك وانت  
 أليث همهم السفلة والقردة ، فإله ما أوضح منار الحق لرائديه ، وما أرفع اعلامه  
 لواردية ، وما أحلى الرجوع اليه لدى طالبيه ، وما أدحضه حجة محاربيه ، هو الحق  
 والله أجل من ان تخفض اعلامه ، أو تخفي احكامه ، أو تحاولك آياده ، ما فئت  
 والله منا هجج مسلوكة ، وما انفكت نواقضه متروكة ، لدى حماة دمار الشريعة ،  
 وحراس حصونها المنيعه ، معاذ الله أن يستر شمس الحق ضباب الهذيان ، أو  
 يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسي أفديك أيها المنار من ان يدنس طاهر  
 ساحتك المندسبون ، أو يدلس في واضح أحكامك المندلسون ،

أيها المارك أسوة بالأنبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فلحق  
 طلاب ، ولا تمأ بفرقتين احداها عمشت بصأرها عن رؤفة الحق ، مذعمت  
 عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 شأغت ، واذا حدثتك هي بما لاسنده عن بعض من تعظمهم طلبت منك  
 الايمان بالمحالات ، فهذه جاهلة ملبس عليها ، ثبت التقليد في قلبها  
 والثانية ثقلت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطققت تضلل من رام اهداءها ،  
 وتذمرت من ورود حق المقال ، خوفا من اثلام اعتقاد أولئك الأندال ، وهذه  
 غير ملومة لانك جذدت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ،  
 وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استنزفت بها الأموال ، وأضلت بها عقول الجهال ،  
 وأنت بالرغم منها حولت الهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مدا ،  
 أيها النار انني أعقد كما يعتقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق  
 الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يرده الأمتهور جاهل ، أو أحق متجاهل ،  
 فريك آمن أيها الحائد عن السنن القويم ، والناظر الى النار بعين السخط الذميم ،  
 ولا تبار قوما لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لعباب علومهم قرار ، طالما  
 ازاحو دياجير الجهل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الأدلة هام المجادل المجازف ،  
 فارجع البصر ، وانهم النظر ، في أجزاء النار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك  
 ووصفهم ، وجراتك وخوفهم ، وانا ابهل الى الله ان يميتني على ماضيه وشمله منار  
 الحق ويصني عليه انه بالأجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجاوا — المالاغ



## أبو حامد الغزالي (\*)

٥

رأيه في حكمة التكليف ورد شبهات الباطنية عليه (١)

﴿ جواب المسائل الاربع التي سألتها الباطنية بهمدان ﴾  
( من الشيخ الاجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى  
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الاربع التي لبس ( بها ) هؤلاء القوم الذين طفوا  
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلاباً لقلوب الخلق ، وهي هذه  
﴿ المسئلة الاولى ﴾ أليس أهل الاسلام متفقين على ان الباري جل ذكره  
غني عن كل شيء غير محتاج الى شيء ، ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف  
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نسبت بحجة العقل ان غنياً عن كل شيء ، يكلف من  
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلني ان أكون من العالمين  
﴿ المسئلة الثانية ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليثيب  
من أطاع وبعاقب من عصى وهذا مستحيل جداً في العقول فأبي حاجة به الى  
معاينة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمراً اذا لم ياتوه عاقبهم عليه وان

(\*) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات  
القديمة ببغداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الأكوبي فأرسلها الينا لنشرها  
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا  
باليقين انها محرقة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حاملها  
(المنار ج ٨) (٧٦) (المجلد الحادي عشر)

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجيه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثيب من يريد ويعاقب من يريد؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجيه حكمة والحاجة نقص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى نقص وهو غني غير محتاج

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ ان الله تعالى كلف العباد الطاعة لينفعهم بها أترأه جل ذكره عجز عن ان ينفعهم بغير التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يعجز عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والمعجز ثابت وهو محال

﴿ المسئلة الرابعة ﴾ ان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، وهذا باب تخبر فيه العقول، هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينبو عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحججة على هذا الخلق العقل وأمر أهله ونهاهم وخص غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وأهم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من حبالات الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها؟ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والمأمورين والمنهين بأمره ثم يكلفون أمرا ويمنعون من الفحص عنه والتماس سبب يتصور به ما يكلفونه عندهم ويصح في معقولهم ومعانهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا؟ ووجدنا المتحلين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والنظر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه؟ هذا منكر من القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشيء . ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين الخلق من الحق يخبر في موضع بآية « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » ويخبر في موضع آخر بانه يسئل ويقتضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعمى » قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فتسيتها وكذلك اليوم تُنسى » فأني سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضى هذا الجواب ؛ وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يهر عنه

بيان يقبله العقل . فلهذا اعزك الله المسائل الأربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لأن سقوطها أيضا لا يصح . أبني ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

\*\*\*

أجاب وقال أما السؤال الأول وهو استبعاد التكليف مع الاستثناء وتوهم التناقض بينهما فمصدره الجهل بحقيقة التكليف فكان السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يمهدون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده يضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكلف عبده الأعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكان هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله، تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله، والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف، وعقله الضعيف، وقياسه الفاسد، كثر تعثره بالضلالات، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهلها وهم العلماء الأقوياء القائمون بحقيقة المقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الأدلة والبراهين المستبصرون بمداخل الغرور والتليس فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة؟ على مثل هذه الاستئلة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للافهام الضعيفة انفع من ضرب الامثلة فلنقتصر على ضرب مثلين .

( المثل الاول ) تكليف الله عباده يجري مجرى (معالجة) الطيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة يشرب المبردات والطيب غني عن شر به لا يستضر بمخالفته ولا ينتفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطيب شفي وتخلص وان لم يوفق تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطيب بيان فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للعبادة الاخروية اسبابا تفضي اليها إفضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفوس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن ردائل الاخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما ان ردائل الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسوموم بالاضافة الى حياة الدنيا والنفوس طب كما أن للأجساد أطباء فالأنبياء أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح لتمهيد طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاهها » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال ان الطيب أمر المريض بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطيب وانه صح لانه راعى قانون الطيب ولم يقصر في الاحتياء وبالْحَقِيقَةُ لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطيب بها فكذلك ( مداواة ) النفوس هي الاحتياء الذي ينفي عن القلوب أمراضها . وأمراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت أمراض الأجساد حياة الدنيا

﴿ المثل الثاني ﴾ ان الملك من الآدميين قد يخص بعض خدمه وعبيده الغائب عن مجلسه بقال ومركوب ليتوجه الى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحها به وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد الى مجلسه وينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على ان لا يستخدمه أصلا ولكن ليقربه من نفسه لمجرد حظ العبد والزيادة في قرب به . ثم العبد ان ضيع المركوب وانفق المال لا في الطريق الى السيد عد كافراً بالنعمة وان ركب المركوب وانفق المال في الطريق متزوداً به عد شاكراً للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكراً وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله يستوي عنده كفر العباد وإيمانهم بالاضافة الى جلاله واستغناؤه ولكن لا يرضى لعباده الكفر فإنه لا يصح لعباده فإنه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستقني لعبده الغائب الشقاوة بالذل والقتل ويريد له السعادة بالقرب منه وهو عني عنه قرب منه أو بعد . فبكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكذا يصح قول الطيب المريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك

وإن خالفت فعلها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها»  
(وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فان قوله ان الله مستغن  
في اثابة عبده عن المطاعة وهو لم يتضرر بها بضاهي قول القائل ان الله مستغن في  
في انشاء الانسان عن الامر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن  
الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فابانه عاقب بعقوبة الجوع  
من ترك الاكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك  
رضاع والده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يهمل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدوي ان  
لفظ الغضب والانتقام مستعار وه أول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلام  
فكذلك الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب  
الاسباب فبعضها يفضي الى الايلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء  
فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى الآلام الآخرة ولذاتها من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالمعجز عن الاشباع  
من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيناء من غير  
رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز  
وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بعجب انما العجب في التعجب من هذا  
التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب  
منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا فتمتد بالاواني  
الموضوعة في صحن الدار فقال لأهل الدار ما ارك عقولكم لماذا لا تردون هذه الاواني  
الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق؟ فقيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل  
في فقد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثير  
خطبه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم رتب الاسباب؟ ولو  
رتبها على وجه آخر لتصور أن يتعجب منه جاهل و يقول لم لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الاصل و يظهر ان ههنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال

وانما الخلل في فقد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب له المثل في فقد البصيرة . والمثل  
مذكور في الاحياء ولا أحد سمة في الوقت المذكور

منها اوهام العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين  
 ﴿ واما السؤال الرابع ﴾ ففي ايراده خبط وكان السائل لم يقدر على ان يفصح  
 عما في ضميره والذي يتحصل منه تعجبات اربع

(التعجب الاول) قوله كيف أمر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة  
 لا تحصل الا بالبحث؟ وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقادا جازما أو معرفة  
 حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والايان والمعرفة  
 تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضمفاء  
 القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وانما مثال ذلك  
 امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر العلة في كون الدواء نافعا ومنعه المريض  
 عن الاشتغال بالبحث عنه لعلمه بانه يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث عن علل الطب  
 لثق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فان وجد على الندرة مر ايضا ذكيا  
 آنسا بمنهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يمتنع عن ذكر  
 المناسبة بين الدواء وبين علته بل اذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصلح  
 بمحض التقليد وتفرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة  
 اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان  
 كان يريد صلاحه ولم يمنعه عن البحث اذا علم اشتغاله به الا ان ذلك نادر في المرضى  
 جدا والا كثرون يضمنون عن ذلك وكذلك معرفة المال والاسرار والبحث  
 عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

﴿ التعجب الثاني ﴾ وهو تسخير البهائم الانسان يضاهي تعجب الانسان من  
 يمشي خطوات لينظر الى منزهات ووجوه حسان فيقال كيف اتعب رجله وسخرها  
 لاجل عينه والعين آتته كما ان الرجل آتته فما بال إحداها جعلها خادمة واتعبها  
 وجعل الاخرى مخدومة وطاب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل البصير يعلم  
 ان الكاهل يندى بالناقص وان الناقص يتسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة  
 واما قوله ان ذلك ظلم فهو جهل بحمد الظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله  
 تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه الظلم بل له

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلاً ( ١ )

﴿ التعجب الثالث ﴾ أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو فاسد لان قوله « ينبو عنه العقل » لفظ مشترك فان اراد به أن برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد . وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود بمئة الانبياء ارشادا لخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمحال أن يكون في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل او مشيت فوق حبة مخصوصة أقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالته وليس كل ما لا يدركه العقل محالاً في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط واحراقها فاجربنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينهما سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن يتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل كل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكنا نقول هذا شيء ينبو عنه العقل ولا يقبله ، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك ، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه ،

واما ﴿ التعجب الرابع ﴾ وهو انه لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم سئل وقيل « لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً » قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فصدر هذا السؤال الجهل بكون « لفظ » السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله ( ٢ ) وقد يطلق

( ١ ) المنار : فسر الظلم هنا بما جرى عليه الأشعرية وفيه نظر ظاهر وقد ينا حقيقة الظلم وكونه محالاً على الله تعالى في مواضع من التفسير والمنار ( ٢ ) هذا ما يعبر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخذة فمغني كونه تعالى لا يسئل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذ به على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله « لا يستل عما يفعل » إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما انه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله « لم حشرتني أعشى » وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة اه والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب عالما مليا بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فان من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستعلاء كان من الهالكين فعوذ بالله من فطانة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

## استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سعادة ﴾

كتبها عند إذاعة خبر هذا الاكتشاف

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

او مض من كعبة العلم نبا خطير ، دوت له أرجاء العالم المتمدن اي دوي ، وعندني انه اعظم اكتشافات البشر ، وأسهي ما بلغت اليه مداركهم ، فلا يحسب بجانبه كشف العالم الجديد شيئا مذكورا ، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى العوبة من الأعيب الصبيان ، كيف لا وهو الامنية الكبرى التي طمحت اليها ابصار فلاسفة العصور ، والغاية القصوى التي اشترأت اليها أعناق الحكماء في جميع الدهور ، : حلم رآه أسلافنا في ليل مدلم بظلمات الاوهام ، فتجلى لنا نورا باهرا يبدد دياجى الجول وينيير بصائر الافهام ، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة ، وآذان مصغية ، وقلوب واعية ، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة البسيطة من عضو الى آخر كما تبين الآت في استحالة بخار الراديوم الى عنصر



الطليوم : اجل أماطت الطبيعة اخيرا تقاب الخفاء عن وجهها الواضح ، ورفقت الحجاب بعد دلال ونفار ، طال اجله الوفا من السنين ، غادة وضاءة لا كالفادات تشقها العالم فقام لاجلها في اليد واقفان ، وجرى وراءها الى قن الجبال ولجج الابحار ، تنفى أثرها في الرضاء اللادعة تحرقه أشعة شمسها ، وفي الثلوج المتراكمة يلذعه قارس بردها ، سهدته قرونا طوا الأوهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراري وليل العاشقين طويل ، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحدق فيها بمجهره وهي غزال نفور كالتربق الفرار ، اذا دنت نأت ، وان قربت بعدت ، هي اشبه برهراث الأكل وسراب الظان ، لم تكشف القناع عن نرها البسام لحظة من الزمن ، تطلبها في الحرارة والنور ، وامتطي في أثرها الكبر باثية والبخار ، وكالميا بين الزهور والرياحين ، وشرح لها وجدته بين الرياض والبساتين ، فكانت اذا أدته منها ابتسامة ، اوقفته عن الدنو منها مهابة ، جمال تكلم بالجلال ، واففة الا أنها دلال ، منها نحل العاشق سقا ، وضاق ذرعا ، فلما أيقنت منه الثغاني في سبيل غرامها ، والاستقلال في هيامها ، أماطت الآن اللثام ، بعد آلاف سنين في التحجب والدلال ، والتلاعب والمطال ،

طمعت أبحاث اسلافنا منذ الأعصر المتراامية في اقدم الى ا كشاف امرين خطيرين اولها اكبير الحياة الذي يتدرع به المرء الى درء كأس الحمام ونيل الخلود على وجه البسيطة ، وثانيها حبر الفلاسفة الذي يباح له به تحويل المعادن الى ذهب ، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا مثر يا ، ولبت التمداء يخطون في دياجير الأوهام ، ويتلمسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى نبغ نحو أواخر القرن الثامن رجل هو لغز من أغاز التاريخ غريب الأطوار كثير المطامح بعيد المرامي يسمى جابرا تفرغ الى البحث في المعادن واقطع الى إجراء الامتحانات المتعددة بشأنها تدرعا لتحويلها ذهبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقية الدنيا منها الى الاشكال العليا وما قئى يكتر من التجارب ويعد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيميين ولكنه منطلق

الحقيقة بالجهالة واكتف الحق بالباطل ولم يدر خطورة قوله ولم يحلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكياويين ويكتشف أعظم اكتشاف قدر للمرء حتى الآن ويحيى به مصداقا لاقواله

يد ان العلوم الراقية لبثت قرونًا طويلا خليط فن واحد فكان الباحث متكئا في الطب وعالما في التنجيم وطوال السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهورا يتلس الحق على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة العرفان فانثى الطب من الكهانة والفلك من التنجيم وكيمياء الحق من كيمياء الباطل

ولما انتظمت الكيمياء فنا قائما بنفسه نبد طلابها آراء الاقدمين بسذ النواة فبين لهم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بعناصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم بهذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لهم هذا الفتح المين نشطت الهمم من عقلمها واستولى على المقطعين الى هذه الابحاث هوس شديد . نضرب لك مثلا واحدا لتفقه الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو الكياوي الطائر الصيت « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكياويين الذين تحروا البحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبعث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص تأكسد المعادن (١) وكانت له أثرا خالدا وما زال يوالي التجارب حتى انفجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وسائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكد الطالع رجلا عريقا في نسبه « كيرا في حسبه » وافرا في ثروته « فأصبح هدفا للتأثرين ، وغرضا لسهام الحاسدين ، فصوبت اعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلا فحكم عليه بالاعدام وكان اذ ذلك منهمكا في تجارب كياوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابحاثه واكتشافاته فعاملته بفضلة يندى منها جبين التمدن واجابته بفضالة يحمر لها وجه الحرية قائلة ان لا حاجة بالجمهورية للعلماء !

(١) النار : التأكسد عندهم عبارة عن اتحاد المعدن بالاكسجين بحيث

يتولد عنها جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

فقد من كعبة العلم الى باحة « الفليوتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعتئذ  
« لا غرابج » أحد مشاهير مواطنيه: بعد دقيقة يسقط رأس تمر بكم أجيال وقرون قبل  
الحصول على مثله

فاتشمت اذ ذاك غياهب الجهل عن بصائر أولي النهى ففقهوا ان جل المواد  
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة فحسروا عن ساعد الجدوقذفوا  
بالأوهام القديمة من حلق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر ثرى على نوادي  
العلم ومجامع العرفان فبنيت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان  
الكيمياء على عمد راسخة الأركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كياوية  
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الاحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الالباب حيرى هي الذريرات الاصلية لهذه  
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر  
أن يكون عنصرا بالخصائص والمقومات التي تتميز بها عن سواه غير انه لما كان  
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى  
ذلك لبث العنصر ثابتا على مر الأدهار

يد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة  
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا  
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذريرة من مجاميع ونظامات هذا الكون العجيب الذي  
يملا القلب مهابة ورهبا متى تجلى لك خلال استار الدجى كواكب ودراري سابحة  
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وقفه رموز اسراره فيرتد  
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جاة المتضلمين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر  
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة  
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول  
عليها ما يصح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهدروجين حسبوه ذلك الاصل

(١) المناج: هي الآلة التي اخترعوها لقطع الرقاب بسرعة

حتى انبأ بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغاً في حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقاً لنبوتهم ثم انه تبين من الأبحاث الحديثة ان الجوهرة الفردية للهيدروجين على ما فيه من التناهي في الصغر هو كبير جداً في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخران من الذرات الكهربية التي اطلقوا عليها اسم الألكترون بحيث ان جرم الجوهرة الفرد الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الألكترون وثبت لهم ان هذه الذرات الكهربية تستقل عن الجواهر الفردية وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقومة للجوهرة الفرد حتى ترجح عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردية لجميع العناصر تتألف من هذه الذرات الكهربية فقط التي بعضها ايجابي وبعضها سلبي بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير هذه الذرات في تأليف جواهرها الفردية فما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذرات التي ثبتت قوامها بقوتي الجذب والدفع

فمن ههنا علمت ذلك كيف تأتي استحالة المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة يد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عياناً الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس مندبض من سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المخذ في غضاضة الشباب وريغان الصبا المتابعة بعض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لا احتفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوارهم فيقتضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كرى فيتقى خالداً وهي الفتاة التي نضينا فانها ما لبثت حيناً من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كرى فأقاما في بيت بعيد عن ضواض المدينة وجبة القوم باليان الامتحانات الكيميائية حتى ظفروا أخيراً بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان ينحسر شيئاً منها فسواء وضعت في الماء والثلج أو

الهواء بقيت حرارته مرتفعة عما يحيط به وهو أمر لوسعه العلماء في حلم لما صدقوه. ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر دعروا منه بيد أنهم توسموا به أخيرا خيرا اذ علموا انه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهافتوا عليه تهافت العطاش على الماء حتى بلغت اثمانه في الأشهر الأخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمح منه يساوي خمسين ألف جنيه وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسراره الكيماوي الشهير السير ولهم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينما من الدهر لغزا من الالغاز لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كنهها فوضع السير رمزي أخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدا سدا محكما وما قى يراقبها حتى تبنت له مميزات من المعجزات وهو ان تبدي من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الأصفرار وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم يثر عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من اثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصددده هو باكورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غمض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جازين الى هذه الغاية سباقا يبذلون النفس والنفس ويجودون بالمال والأرواح لغرض ترقية شأن العقل البشري والنهوض به من حضيبض الجهل الى قنن العلم ولعله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرز شمس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الافهام وتميط الطبيعة عن محياها الصبوح حجاب الابهام ومن يش

## ﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأْتِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا  
لَا تَبَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ \* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ  
المُشْرِكِينَ \* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ  
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ \* (سورة الرُّوم : ٣٠ - ٣٢ - ٣٣)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، بفطرة أعلى  
من فطرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بلذات وآلام غير جسدية ،  
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، انشأ مستعداً لإدراك معلومات غير  
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدارحياته على التعاون والاجتماع ،  
ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده  
مختلفين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر للمجموع النوع القيام بجميع العلوم  
والاعمال ، فأدناهم الخدم والبنائون والزارعون ، وأعلام السياسة والحكام فالانبياء  
والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي  
والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى  
أعلى ما يتشوف استعداده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه  
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب  
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكامل الفطرة البشرية على منهاج التدرج في الارتقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالمرابي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كما ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سدرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خدلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يفرقوا فيه مذاهب وشيعا ، ويتقصوا منه سننا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكير ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لا اذ كر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطعموا عليها قد كتبوا لمؤلفها من مشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجمها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء النصارى قالوا عند ما قرءوها: لو كان ما في هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضله ، وعلو كعبه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان عالما بمتى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الأديان، مع ما كتبه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الأوكتشفها، ولا عقدة من عقدة المشكلات إلا وحلتها ، ولكن الشبه تدكر فيها غالبا بطريق الأيحاء والتلويح ، دون الأبانة والتصريح ، وذلك أدنى ان لا يثك الضعيف ، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف ، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله « راميا الى الخلاف من مكان بعيد حتى ربما لا يدركه إلا الرجل الرشيد »

كتب الأستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الألوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومائل تحتاج الى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التفتيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها ، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشقيطي ( رحمه الله ) ذكره لمسألة خلق القرآن لأنها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها ( راجع ص ٣٧ منها ) وانتقد عليه حروفا أخرى فأقنعه في بعضها واقتنع منه في بعض . وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعا أو أكثر . وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه لمثلها ، فأبقيتها على أصلها ( \* ) الكلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي إلا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الي صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصحت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف . وعلفت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس ، ولولا انه نهى عن شرحها ، ووضع الحواشي لها ، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش ، ولكن ماراه رحمه الله هو الصواب ، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب ، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المعول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الأستاذ الامام ، ونفع برسائته

محمد رشيد رضا الحسيني

الأنام ، آمين

منشئ المنار



## أثر العلم في الحياة

### مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الغنى والفقير إنما يكونان بالحفظ والاقدار ، لا مدخل فيها لعلم المرء وعقله ، ولا لذكائه وسميه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والغنى ، وقد نظم أدبنا في القديم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بطواهر ماجاء في الدين من اسناد كل شيء الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . ومما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من آيات

لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقات أي تفرق

ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبتها اذ يرون مثل فلان باشا و فلان بك يعشون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجهل والغبوة فاذا قيل لمن يعتقدون هذا الاعتقاد ان تدبير الثروة علما يبحث فيه عن ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقف عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتراحم في البلد الواحد شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا إن العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الحفظ والاقدار ، ويسردون ما يحفظون من الآثار والاشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازن التي أقام الباري بها نظام الكون فهي تقتضي

الاسباب لا تافيتها ، وان اشهر استعمالها يتنا فيما جهل سببه غالبا ، والحظ في الاصل هو النصيب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا ننكر ان بعض الافراد ينالون الثرى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسعون اليها سعيها ، ولا تنازع في تسمية ذلك حظا جاد به القدر ، على ما يتنا ويين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما تقول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضحين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل المخطوط ما تعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما تؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يعلمون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فضربوا عليهم إلى علمكم ، ثم لكم بعد ذلك حكمكم ، إذا كنتم تعذرون فيما تحكمون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عند لكم إذا قسم عليها ثروة الشعوب والامم ، فسيروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عنت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتنا أخرج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانه روح جميع العلوم ولاعمال ولكننا لانزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى اني لم أرفي لغتنا غير كتابين وجيزين فيه طال المهد على وضعها ، وارتقى العلم بعدها ، فصرنا محتاجين الى خير منها ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين الحامي ( المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية ) فحملته الفيرة على أمته وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الافرنجية الحديثة وقد قبل وسماه ( مبادئ علم الاقتصاد السياسي ) وقد طبع الجزء الاول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمنه عشرة قروش صحيحة فحسى ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهمه إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعاً . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئاً منه تنويهاً به وإفادة لقراء المنار

## الاسلام روح المدينة

﴿ رد على لورد كرومر ﴾

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعد بعض الافراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويعاقب على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاستانة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجيب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) وتقل بعض كلامه وشيئا مما يؤثر عنه وتقل عن المنار ايضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا اللقب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلو يحمي من أشد الاخطار فشكرا للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنسن لنا مطالعة الكتاب ولكننا نرجو ان يكون خيرا مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك عن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهرا ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطنا ، ونحن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار فنحث الفراء على مطالعته

## ﴿ تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسائله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . وبعض الكتب الافرنجية مزينة على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستقي عن الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلته يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلك لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فأفنياه حسن الترتيب جامعا لكثير من المباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعته لنحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق فحسب ان ينتدب بعض من قرأه من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافل في تربيته ووقته إظهار أقيمته ، وشكرا لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فعشرون قرشا مصر يا ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

### ﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي أفندي زيدان منشئ الهلال ملحقه لسني مجلته . تتضمن وصف الدولة العباسية في عهد المتصم بالله ( سنة ٢١٨ - ٥٢٢٧ ) وقيام الفرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهبوا الروم لاكتساح المملكة الإسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سافرا عاصمة المتصم وواقعة البذ في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك ، وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وان شهرة هذه القصص في إيداع الفكاهة القصصية المسلية شيئا من الفوائد التاريخية ورغبة القراء فيها مما يجعلها غنية عن التعريف والثناء وثمن النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال

### ﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الأستانة مجلة إسلامية بحورها باللغة التركية طائفة من العلماء وقد

كتب النا مديرها ما يأتي

إلى إدارة المنار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق

غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجرائد

حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؛ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طعاما لمواقف الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلمية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لإخواننا مساكين الترك نصيب من مائدتكم العلمية ونحن مقفرون في هذا الموضوع لمعاونتكم العلمية فترجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بعد في وقته . وان أبنائنا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلوا فائق احترامنا

(المنار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر لمديرها الفاضل حسن ظنه بنا وسنبدي رأينا في منهجها ومقالاتها بعد ان يتبدر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لمديرها ان شاء الله تعالى

### ﴿ اقسطاس المستقيم ﴾

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاستانة) بعد إعلان الدستور . أنشأها الحاج محيي الدين افندي كريمة والحاج حسن افندي المجدوب من خيار أبناء بلدتنا ( طرابلس الشام ) القيمين في الاستانة وقيمة الاشتراك فيها نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلمية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في البلاد الأجنبية

فتمني لها من الرواج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يبعث أصحابها الى تكبير حجمها وتكثير فوائدها

## البدع والخرافات وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْعَجَابُ

﴿ كتاب ابي مسر ﴾

كتب الينا من ستافوره وجاوه ان هذا الكتاب منشور في تلك البلاد يجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المتحليين للتنجيم والعراقة رائجة به وسألنا الكتاتيون عن رأينا فيه وأرسلوا الينا نسخة منه لتنظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فنقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

اننا لم نر في لغتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، محرض على الفسق والفجور، مقطوع للروابط بين الأزواج والاهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة والذمة

أما كونه مفسدا للعقل فنحنى به انه يمد الضعيف في غيه فيزيده فسادا يقبوله لما وضع له من بيان ما يعرض للسوء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي بين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و١٢ برجا للنساء — لرأى ان ذلك باطل بالبداهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتفقت اسماؤهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمائهم وأمهاتهم بعد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر أو أقل يكونون متقين فيما يعرض لهم من الأمور والاحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وفقيرهم واخلاقهم وآدابهم ومكانتهم في الناس وفي غير ذلك لا فرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظره اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فالعقل أن يجمع أسماء كثير من الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء والصناع والزراع والعمال والخدم - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة ابي معشر ويعرضها بعد الاسقاط على ابراجه وينظر بهد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب ان كان ممن يشبهه في بطلانه. ولا حاجة الى شرح ذلك وتفصيله فانه يكاد يكون من البديهيات الأولية وإنما يروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيها هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقي اليهم من كلامه الجمل العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الايمان والأذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أبناء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسليماً

أمثال هؤلاء الاغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لاحدهم البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة ابي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئاً ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئاً لا ينطبق عليها ولكنه لا تنظاره ما يمكن ان يصدق عليه يتشبث ويفطن له ويفي عن غيره ويظن انه غير مقصود به

واما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الاحاديث الصحيحة التي تسمي تصديق المنجمين والعرافين كفراً وبين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها والتحريض على الفسق وقطع الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهم أحرص على البحث عن مستقبل حياتهم من الدجالين والعرافين والمنجمين وانك لتجد في بروجهم من هذه المفسدات أكثر مما تجده في بروج الرجال

مثال ذلك انه يقول للمرأة انها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وانها تزوج عدة أزواج وانها تكون سعيدة مع الاخير منهم وانها تكون شديدة الخطوة والبول عند الكتاب أو الحكماء . . . فقل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تعتقد صدق هذا الكتاب اذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الانباء ؟ ألا يكون ذلك مجرداً لها على العشق وعلى بغض زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاصد متممدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لهم لانه يرغب النساء فيهن . ومن خبثه الدال على تصدده انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضهن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوفقن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد العقيدة المتدنية ما كان يعز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفق بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدو له فانه يحمل أكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يثي عليه اعتقاده يتهم او يعرض بدمه وجملة القول أن هذا الكتاب من أقبح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالاكتساب به ألا يكون من كباثر الأثم والفواحش ؟ بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو اتحال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنغافوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والإفساد للأداب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك ولو نهت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن نحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فسي أن يتدب لذلك بعض أهل الخبرة وأن تحمل الجرائد اليومية على التحجّرين بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما يمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة



## بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِثْمِ

### ﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الأهل والاقربين ، والأصدقاء والمجيبين ، الذين حال بيننا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو اليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والامة الى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء وأنا نكتب هذا في القطار بين القاهرة وبورسعيد . وسقيم في تلك الديار الى ما بعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أخانا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبعتها وعهدنا الى إدارة البريد المصري أن تصدده وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والنداهم . فحسب ان تكون غيرة قراء المنار الأخبار على إدارة المجلة في غيتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا اليها ما وجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نعد من يرسل قيمة الاشتراك الى المجلة في غيتنا من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا ، بل نعدله ذلك جميلا يذكركم ، وفضلا يشكره ،

### ﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجمين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزابجه كأبي الهدى وعنايته بالشيخ ظافر - حديثا غريبا يرويه عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمر المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطانا فقال انه يكون سلطانا في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبا الشيخ ظافر عبد الحميد ( افندي ) بذلك كبر عليه ان يصدقه لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الاستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الأمة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فيشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالي بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلان الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

### ﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الأرض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للثربية والتعليم تعلم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تعليمها يشبه الوحي وزيبتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد ورتبت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمون النصارى في سلايك والاسانة ومصر فقط لكان لقاتل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقفهم مثل أهل بيروت والشام لقال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود الاحرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسعيًا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاوورهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في موافقة عمل أهل جدة ( نجر الحجاز ) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لعمل أهل الاسانة وسلايك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يطلون من أمرهم في ذلك شيئاً ؟

كتب اليّ وجيه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملحد في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لبناً الدستور ثم مشطاً اللهم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاورا وواتقوا في ذلك الاحتفال وطفق كل فريق يهني الآخر . و ذكر أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاصد الوالي واتفاقه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الأهرام والمقطع فلخصوه في الجريدتين

وكتب الينا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : ان الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يباشرونهم فلما جاء نبأ الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والدروز والنصارى من الأرمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذاك بتواطؤ أو تقليد؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجذلم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضاً بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الثوري العثمانية في مصر قال: « ثم سار الموكب تتقدمه الموسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومد ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صد اعضا لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طولها ٨٥ ستمترا وعرضها ٥٠ فخاها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه للحرية وينا كانت القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهراً الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك وانت من صغار مستخدمي دولتنا العلية؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تحتم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسربها النفوس وتفتبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه: « اهتمت الصحافة البرازيلية والظليانية بالمظاهرة وذكرتها باثناء والتكريم وجراندنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يحصل الحرية طويلة المكث في ديارنا ؛ والدستور ثابت القرار في وطننا ؛ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرر المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخارجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الأخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الأديب الياس افندي مسرة بالامر وطير الخبر تلفزيونيا الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سابا انطوري نزيل الريو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وقد شارك إخواننا الارمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريداً في عظمته وقياسه في محاسنه

وفي الختام نثني بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهني الشعب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشتراك جميع الطوائف والملل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب الينا من المغارة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سر تجار البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة قتلوا عليهم خطاباً ألمّ فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها من النجاح والفلاح في المستقبل وشكر لرجال الاحرار الذين كانوا مبشورين في البلاد الحرة ومشتنين في اصقاع المصوير يسعون فيما اختطوه لانفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والويرة النصر تحقق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخالجي باشكاتب المركز وشكر للحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الاحرار مهتاً بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الاحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهنؤوا جميعهم للمنار وبعد ذلك انفرط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

## احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيستها بالقاهرة باحياء ذكرى شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكتظت بهم الكنيسة على سمتها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة ( المذبح ) دكة كبيرة على جانبيها رايتان سوداوان بينهما واية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد للقسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت القاءها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا ووصفوا لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الأحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المبروفة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهدا في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفادرة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الأحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

ويبدو أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين نعاتهم واحدا بعد واحد فصعدت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالعربية فأحسنا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتبت اسماؤهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كادوا يختمون الاحتفال بمد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه به . وقد تمنعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الأرمن وغيرهم فاخطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة فلقائي الأسقف والقسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت الى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهاتف يكاد يبلغ عنان السماء ما خلاصته :

قد رأيتم أيها السادة اني اختطفت من مكاني الى هذا الموقف الذي أترفي وجداني تأثيرا لم يدع لتصور الكلام وتدييره مجالا فهما سمعتم مني فأنا معذور بالتقصير فيه قد رأيتم اني عاتقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا بدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك فماتك البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نحتفل بها لم ننله الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال فقد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية الطلابية للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يفته بل قال ان قتالم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه فهذا القانون قد وضع بشئى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين انني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التأليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويها بفضلها

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية  
والمساواة - وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب الذميم  
يخدمون الدين وإنما هم يحنون عليه بذلك  
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها  
مما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد  
ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ،  
جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأى  
غرابة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على  
حكومتهم وما عليهم لها بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات  
كلها ؟ لا غرابة ولا عجب

اما نحن العثمانيين فاننا قد جمعنا من اشقات الاجناس المتفرقين في كل شيء  
مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفوقون في الاجناس والانساب ، متفوقون في  
اللغات ، متفوقون في الدين ، متفوقون في المذاهب ، متفوقون في طرق التربية والتطعيم  
- أو قول في الجملة انا متفوقون في كل شيء . يتفرق فيه الناس . فان كنا على هذا  
كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في  
هذا مجالاً للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخاف قهوانين الاجتماع الانساني  
لا سيما بعد أن برّح الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف  
والمملات اتساعا وملا القلوب إحنة وبغضاء .

ولكن المتأمل في ذلك يرى له سببا طبيعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي  
زاد في التفريق والتزويق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ،  
كيف كان هذا ؟ إنما كان بالمساواة في الظلم وتعميم الاستبداد فلولا ان الاستبداد  
كان عاما واقعا على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب  
المساواة بالدستور عاما



كان ظلم الاستبداد واقما على رأس المسلم والنصراني وغيرها ، كان عاما شاملا  
للتركي والعربي ، والارمني والكردي ، والالاباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي  
جمعت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على تمني المساواة في العدل  
الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب  
ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور  
بعد الظفر به بسعي جمعياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فاذا كانت المساواة في الشر  
قد أدت الى هذا الخير فما أعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة  
فنعن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الأهواء والموانع الناشئة  
من اختلافنا حتى ننناه ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،  
جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتبويه بالاحرار الذين نجحوا في نيته ، وبالذم  
والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألم بالحاضرين من الجوع  
والسامة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .  
دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،  
ثم النهائي التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده  
بأيام ، وكان أكثر المهنيين تلطفا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلغاء الذين  
سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكاترة شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي  
نمر حتى قال هذا الأخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشر سنين أي  
فيما يتعلق بمشرب المنار في التساهل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين  
وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء  
الترك القيمين بمصر والعارفين بالعربية وجمهور أحرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء  
عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا مشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ  
الدستور والاستفادة التامة منه .

## الصحف في البلاد العثمانية

لم تكند الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها ، حتى طفق أهل العلم والفضل يمدون الجرائد بأرائهم وأفكارهم ، وانبرى الأدبيات في الاستانة خاصة للكتابة ، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة ، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الاستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مرأ في ان هذا الانقلاب الأخير ، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

تسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الاستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثماني جرائد هزلية مصورة رأيناها ممتصمة بحبوة النزاهة والأدب بعيدة عن المحجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لا خلاقه ينطع فيها ما يحمده وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في سلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الأدباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثرني تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت ، أحدث في فؤادي اضطراباً ، وفي جسمي رعدة عظيمة ، وقشعريرة قوية الشكينة ، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون ، وقصور وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكل امتصبا من العظام يحكي رسوم علماء التشریح (Physiologic) التي توضع للدلالة على اعضاء الانسان ، لا لنا وضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة العفوع على هذا الميكل من السلطان !!! يرى الرأي ذلك الميكل والأداهم والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المنضوب عليهم من نيرون الماتي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نأ العفوع عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة يا يجهل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثّل سجينا اخنت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ، فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كتفيه ، وملاّت لحيته صدره ، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنتره في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقدم » وما كانت حياة أبي الاحرار مدحت باشا في منفاه ( قبر الاحياء ) الا كحياة هذا السجين ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة وال عمران والاجتماع وكأنا تدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا ، حتى مالنا اليها وقرظنا احرارنا أحسن تهریظ ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي يملأ ما ضغيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلي تلغراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بنذر بنور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » واذا لم نجح من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرين فائدة الا صدها لباقي الدول عن عرقلة مساعينا وايقاف سير أعمالنا فكانت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكمين ، وتقديس البغاة الظالمين ، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والعظماء — عطاء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والباسوسية والوساطة بين الحاكمين والمحكومين لهم بالرشى وأكل أهوال الناس بالباطل ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطنة الجائرة، والفئة الباغية الخاسرة، ثم لا تزال بعد التمتع بالحريّة متخلّفة عنها بمراحل ، فمسي ان تغذ في سيرها ، وتجتهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضلّيع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طبارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الغني افندي العريسي فإنه عزم هو وحسن افندي ييهم الشهير على إصدار جريدة يومية سبها (المفيد) واذاع صديقنا جرجي افندي نبي وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرا فيها انها سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتين ضليمان بما اتدبا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا الا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدي فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة «ثروت فنون» بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها «الجريدة» بالمرية وانا نقلنا عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« تقرأ الجرائد فلا تراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الجليلة في رقي المرأة على أنهم يكثرون من كتابة المقالات الضافية الذيول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية وزيارهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشتاق بك بملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية بالشركة السفن ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة احبا وكرامة فاني أقرأ خمساً واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئاً واقرأ عشر أولئك هل لهم ان يتفضلوا هم ويكتبوا فيفتنوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (العورة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه. فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويخرج عواطفها. ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالتربية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هانم افندي في مقالها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت. وقد استحسنت الكتابة أن يتضمن برودجرام المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيي انه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن باية لغة كانت. واذا وقعت فاطمة هانم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعدي خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، واؤكد أن بيننا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة واظن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانا وامثالي من الفتيات نادي بانشاء المدارس ونحن لانزال في دور التحصيل ؟ اه

فهي ان نرى في فتياتنا من ينهجن نهج الكاتبة القويم ويذهبن مذهبا في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الأنباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي ودحض التأويلات وبيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعاً للمخرافات والاهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا الان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من المشويين والممخرقين، وتقتضي على التقليد والمقلدين، فتكون عوناً للمنازل على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين

حسين وصفي رضا

## البرنامج السياسي

### ﴿ لجمعية الأتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحيانا نقله عنها لبراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

- ١ - جعل الوزارة مسؤولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك عهد الوزارة مستقلة اذا لم تمزج اكثر الاصوات في المجلس
- ٢ - لا يكون مجلس الاعيان ( الشيوخ ) مقيدا بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة
- ٣ - سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب درجة الاولى سواء أ كان من أصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ما عدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ - سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي

٥ - سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يخل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ - يتوقف تعديل وتبديل التقسيمات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القري والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور

٧ - ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مخبرات الحكومة بهذه اللغة

٨ - أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الأقل

٩ - كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب مقدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندي

١٠ - الاديان حرة وستبقي الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ - سيطلب تنظيم القوى الحرية والبحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضر بتمرين الجيش واستكمالها لاسباب القوة

١٢ - إلغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ - اقتراح وضع قوانين تعين حقوق العمال وأصحاب الاعمال المتقابلة

١٤ - سيطلب التدرع بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ - سيطلب قبول أصول (التخسيس) في أمور الاعشار بصفة مؤقتة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدرج

١٦ - التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشئ المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ - كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المار ذكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروغرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معلمات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية احوال الدولة الاقتصادية . أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ - توجه العناية الى ترقية احوال الامة والملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ - سيقتراح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تعرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ - سيقتراح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

رشح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ - يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان

وتقرار اجتماع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أو إضافة مواد أخرى عليه



فمهر عباده الذين يستمعون القول فينبغون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

# الخطبة الأولى

١٣١٥

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

( مصر - الأحد ٣ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر ( تشرين الأول ) سنة ١٩٠٨ )

## الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

أقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب  
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري  
وعبدالرحمن افندي الكواكي السوري وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان  
وقد تلخص هذه الخطبة بعض من حصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة  
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فان الاسلام دين سهل  
سائق موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خير قيام ، وليس لهم كتاب  
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفاً مجموعاً كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما ( المراجع ١١م٩ )

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ( وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل اليهم )

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الارض ، وتقل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذته الأيون اغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤثفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأيت ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربي ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويتدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الاصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم الدنيا كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ، ؟ السبب في ذلك

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الإسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبقتهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم ، والجمود على تقاليدهم وعاداتهم ، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من قوره : ان هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فان لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين ، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين ، واما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد ، ولم يكن لهم من الحكام المستبدين من يفسد عليهم بأسهم ، ويذهب بعزيمتهم ، بل أعدمهم لذلك بطبيعة البدو وسذاجة الفطرة ، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة ، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر ، فكان فيهم كثير من إذا دعوا إلى الحق والخير فقهروا الدعوة ، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة ، لذلك أنزل الله عليهم كتابه ، وبعث فيهم رسوله ، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نؤمنك ( أي نحميك ) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا ، وقام الإسلام بهم خير قيام ، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان ،

هذه مقدمة يمكنني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الإسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم ان يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الإسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية ، وماهي الفطرة البشرية ؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الأذعان للسلطة الغيبية واختيار ما تعتقد انه الخير والمصلحة قال تعالى ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) إلا ان الفطرة بعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها آيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها ( لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ) فحصل مقصد الإسلام وحينئذ يجد المسامون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الاعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعز دولتهم

فإننا ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الاوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعبقة المطهرة للجان ، المبنية على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل ( الثالث ) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها امر الافراد وترتقي الهمة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الاعمال التي تزكي النفس وترفعها الى عليين ، أو تدسبها فتقيها في أسفل سافلين ، فهذه العبقة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاوان ، والخضوع الاعمى لارؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبنى عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي ( ص ) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

في الكتب واكثرها فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها، وقد كمل السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والقبض والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولما أراد ان يخرج لم يستغن عن المطوفين الذين يعلمون العوام مناسكهم بالعمل . وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهده على العمل به رضي منه وقال « اقلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولته ، وأية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض لها من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكرة في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون - لعمركم تذكرون - وما يتذكرة الا من ينسب) وانما يتذكرة الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعوننا اليه من الخير هو مما أودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية - فدين الاسلام اسهل الاديان لاجرح فيه ولا مشقة ( ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون \* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأي عذر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟! (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ) يرضى بأن يكون كالدواب لا يهجمها الا علفها أو كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعزبها الأمة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والاضطراب في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا نخفي على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وإنما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا إذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجبا كثيفة فأعرضنا عنه وعن العلوم التي نحفظ بها  
بيضا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندرسة ليس لها سوق نافقة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند ما ظهر الاسلام وفقدت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترفقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من شائنا هم خيرة علمائنا !

## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ وزير كيا الفتاة ﴾

#### الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تغير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى المصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة ، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير ، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح ، بخلاف الانقلاب فانه مها آلم الأمة ورضرضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم ، ويصعد بها درجة في سلم

( \* رسالة حفيلة جليلة ألها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقر يظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ  
لاعظم انقلاب

النجاح ، وأكثر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الاقلااب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلاً ، بدل الاقلااب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباسايل ( la Bastille ) واطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة ( Révolte ) فأجابه المحبر: عفوا يا مولاي بل هذا اقلااب ( Révolution )

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المحبر ينافيه ، وبين ان الاقلااب غير الثورة والمهيبان ، فنحن اليوم أخرج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ الى قدر المعاني ، لان الاقلااب السياسي من شأنه ان يحدث اقلااباً في اللغة والادب ، فضلاً عن اقلااب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد العثمانية الى اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية ( أسبانية وعبرانية ) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الاقلااب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعابير السقيمة ، التي نغطى المعاني بستار المهابة حتى تستبهم على القارئ ، وتقيد فكره بسلاسل التذليل والاستعباد

#### الاستبداد يولد الاقلااب

تالذي يولد الاقلااب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار لفضب والحيوانية ، لامن قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بمحفة بمن تحت يدهم من الخلق ، لهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد او المستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي : ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ونحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتاً منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

### الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن نماردة بابل وفراعنة مصر ، عن جنكيز خان وتيمور لنگ ، والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وسأوت بين أفراد الأمة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعاهدين فضلاً عن افراد الأمة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الأمة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم والا اولي الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانها من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما بتكليفه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين ، ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضيانه ، وانزلتهم عن المنصة ، وأقدمتهم مع الخصم في مجلس الحكم

### الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الخال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، واقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلكوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرون : « لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » ود أموال الرعية انما هي ملك للملكا فاذا



أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن ، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والتبجح ما استقبحة السلطان ، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق ، ولا للحكمة والشرع ، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم

فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي ، وعلى جانب من الاستعباد الأفريقي ، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما قال الله تبارك وتعالى: (١٥٣:٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمتم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ) وقوله تعالى (٤٢:٢٦) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقدته قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل ، فاجتمعت وجوه قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه ، فتحالفوا وتعاهدوا إن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وكان ذلك قبل الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لقد شهدت مع عمومي حلفاني دار عبد الله بن جدعان ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان ؟ لا بل من جمعية الأتحاد والترقي ؟ ولقد أحسن جداء العلامة المقرئ في جوابه المذكور في نفع الطيب حيث قال :

« سألتني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم ، إذ لم يبل أمرهم من يسلك بهم الجادة ، ويحملهم على الواضحة ، بل من يفتري في مصلحة دنياه ، غافلاً عن عاقبة أخراه ، فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة : » فأجبتة : بأن ذلك لأن الملك ليس في شريقتنا ، وذلك إنه كان فيمن قبنا شرعاً

قال الله تعالى ممتا علي نبي اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ) الآية وقال تعالى ( وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ) وقال سليمان ( رب اغفر لي وهب لي ملكا ) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله ( ص ) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فيها ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر عن ر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آخر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لفقور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن نبي أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلاثا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل

ملوك الافرنج مقدسين وغير مساوين

#### منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحصرهم على الجاه وطغيمهم في جمع الاموال وادخارها وفي انفاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشون به ، وينصبون له اشراك المكيدة ، ويتهمونهم بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعده عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادرتة وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر ، ونتيجة التضييق واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة بيصرها لا تطلم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامر بلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال الخان المعظم على الرحب والسمة ، واسكان من معه من الحریم والاسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء ( العرضي ) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « المصدر الأعظم » القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الخند والمحافظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلة ، ثم « الدقردار » الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء  
أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما جبال الخيمة  
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :  
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من مماليك البيضان وطواشيه  
السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات  
« قينزل آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزرع البساتين  
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة  
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الأبريقدار » و « السجاده جي  
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات ( العرضي ) مثل آغة  
الانكشارية « يكيچري آغاسي » وآغة الصباحية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو  
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج  
كلهم في درجة واحدة بمثابة جبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريفات الرسمية  
والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،  
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر  
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تميز بين « القهوه جي باشي » الذي  
لا يحتاج صناعته الالمرفة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة  
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر  
المفلق الامير شكيب على ان يقول آياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرما

واندا امتزجت الحياة البيتية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية ،  
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي  
وسط يقال له الماين لانه بين « الأندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي  
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية »  
و يهدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيح هذه العادة المستكرهه ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من تعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمرا أو دسياسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السداجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربي في حجر والدته الجركسية على دلال السراي والاعوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبديل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهم حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاعوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادي العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوب في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية .

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفات من أيديهم ، وفتشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيبتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الأمور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اتقصوا عليه وساقوه بالاستتيم واقترروا عليه بإفكهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وترديده ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقصدار والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى البلطه جي باشي وهو الخطاب - نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجر المنافع وتوظيف المنسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ، ولم يافرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وانباء ملوكها العظام ، ولم يزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

#### شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كان لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدينة العجيبة التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا ( النمسا ) وروسيا والبندقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط والتقهقر ، وبدأت في الإصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معملاً لسكب المدافع ، واقتبل السلطان سليم الثالث مهمة عالية واقدم على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغاثته أيدي المنون بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرم على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال غائلة الانكشارية ، ونظم المساكر الجديدة ، واجرى من الإصلاحات ما هو مفصل في التاريخ العثماني . واصاب اندولاه العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بوناپارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دللي علي باشا ، وحرب الموره ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتداخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماة عن المسيحيين : فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانكترا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطالبن الباب العالي بإجراء الاصلاحات ، ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى ، ولساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن واخذ الثوارث . وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تقشع الجلود من سماع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذايح الروم في حرب المورة ، ومذايح لبنان في حادثة الشام ، ومذايح البغار في حرب روسيا الاخيرة ، وهي التي قام لها غلا دستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفه التاريخ .

مدايرة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس سائت بمض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسته أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبع من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي ممولي رقف السلطان بايزيد ، وكان مولده في الاستانة (١٢١٤هـ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيبه الصدر الاسبق اسبارطه لي علي باشا ، وذهب الى مصر مرارا وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فأكمل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات اوربا بسبب اجتهاد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطنمها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوربية وفي مقدمتهن  
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية  
الى القيام بالأصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية  
الدول سندا منيحا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان ( تموز «يوليو» سنة ١٨٣٩ ) كان مصطفى  
رشيدباشا سفيرا في لوندن . فتمين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل  
كثير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال  
الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت  
قراءته في كلخانة (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قيو)  
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتمل على تأمين  
الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال  
الأميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح  
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء  
المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك  
مما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات إرضاء لاوروبا ولا سيما انكلترا .  
والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح  
والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز  
والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلاد لم يكن  
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد  
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئا  
مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لو زال عنه الاستبداد والجهل المستوليان  
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نوايس المدنية الحاضرة كما  
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت



قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الايالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كهصيان الارناؤوط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفة اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسمى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والالفاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . وانشأ في عهده ونحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا «تاريخ علم الأدب»

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعقلا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وانشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع متخبات (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

علالي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبغ منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين علالي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جار شيلي علي رضا افندي اي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجيه جي زاده عزت ملا الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فتعلم امين مبادي العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سبيه ، ولم يصطلحوا كالغرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسي (عالي ) تسمية بالضد تفاؤلا بعلوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنسية واتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في ( انجمن دانش ) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق ا كادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العلية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذلك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بمعية السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع مع جودت باشا القواعد العثمانية التي لم يؤلف لآن احسن منها ، وخلف الفريق كجيه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلتره ، ومماشاة لها لحرصها على تقوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاورام المدرجة في الدستور ترجمة حرفية ، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حتى درسها ، ولا لتشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم ، ولذا لا موا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها توول إلى قلب البلاد وجعلها

افرنجية محضة . ولذا كانت الاكثورية لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الا فئة قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مرة او مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور با اليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكذاره وفرنسا وساردينيا ايطاليا ، فحاربين روسيا واتصرن عليها في حرب القرم وعقدن معاهدة باريس ( ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ ) واعترفت اور با بتمتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ ايضا مؤيد لخط كاخانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الاصلاحات والخطوط الشريفة السلطانية لم تنم تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصابهية وقلبوها الى النظام الجديد

#### حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا امصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا المالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقراض قد تفشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم النقدية ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأنقلت كاهل الامة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، و مترجم تليماك للتركية الترجمة الاولى المويصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العديلة ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالامع باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأخته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والأخطا وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت به فئمة من الشبان فأكرم مشواهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايتهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والملابس ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فنظموا الشعر وألغوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، واشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتديير الملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقر سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الأديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها ( البحيرة ) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم بو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بدیعة عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الأميرة الشهيرة نازلي خاتم التي اقتفت أثر والدها وزوجها الأول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعده بالمال والجاه هي وشقيقها الأمير محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبدالعزیز

نخلص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبدالعزیز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الأذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تحجز لهم وتحمي عنهم ، فرعايا جلالكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لا حد له ، والمظلومين بلاشفقة ولامرحمة ، والأولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلالكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع ساداتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سدتكم الملوكية ، لان ظلأمهم يرون هذه الاستغاثة مع الاحترام بحكومة جلالكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »  
وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويهدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف ( ۱۸۶۲ م ) ، وهاجر إلى باريس ( ۱۸۶۵ - ۱۸۶۷ م ) وانصار هذا الحزب هم جميع المطلعين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا ( جون تركي ) كما يقولون ( جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي ) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية ( كنج تركلر ) ، ولذا قال هانوتو: إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الأجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فلا أكبر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الإسلامية ، لما عدت من ان الإسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الاعظم علي باشا صاحب الاعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للعالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقواف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و ( الدوتة ) واشترك الزوجين بالأموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة علي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر أموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنايف سفير روسيا في الامتانة

#### صدارة نديم باشا الاولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، فترقى في داره على الاستعداد والارتكاب ، وتعين واليا كآبيه ثم ناظراً للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للاصلاحات الجديدة والحرية . تقرب الى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدرس له بأنه تحت وصاية

## (التاريخ ١١٩٠) الاختلال في صدارة نديم. صدارة مدحت باشا الأولى ٦٦٣

فؤاد باشا وعلي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالة ١١١ ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد ١١١ ، وكانت الميزانية المالية وضمت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها مصارف الماين، فاقبلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودر بهم وعلهم حتى كانوا من خيرة الموظفين، فاستبدل بهم المرتكبون وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية، حتى كان الضابط يرقى إلى المراتب العلى في أقرب وقت، ويصبح مشيراً، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بينا السرايات التي لا لزوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار أثراً بعد عين كما زاد الانهالك في المالدات والشبوات ، وكانت أوروبا وصيارفة الأستانة تهرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم قراء الرعية من أصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الفلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين ا كسارخوس للبلغار مستقل عن بطريك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبقدان والجبل الأسود والمهرسك روما تابعين لبطريكية القسطنطينية لاشتراكهم جميعاً في الدين الارثوذكسي . ومن الفلطات المالية أيضاً إعطاء المثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكك حديد الروم ايلي المروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضرار الخزينة والاهة من وراء ذلك ضرراً كبيراً ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

### صدارة مدحت باشا الأولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (الندانوب)

البنى، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط  
المعدود في ذلك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،  
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة  
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى الى  
أن صار باشا كاتب في مجلس (والا) وهوشورى الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب  
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفت باستهداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا  
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فأجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت  
بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت  
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨ م تولى الصدارة عالي  
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا لمدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره  
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية، وما زال  
يرتقى في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلغارستان الحالية) فأجرى فيها  
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا  
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشييرا لعساكرها فسكن عصيان نجد، واهداه  
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمته، واذ كان الصدر الاعظم محمود  
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية  
ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء  
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا  
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سراري  
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما في أحد الاقضية  
فأجابته مدحت «سلم على الخاتم وقل لها ان تلتمس هي بنفسها من أفندينا ذلك»  
واشد غضبه من مداخلة السراري وتتابع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة  
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد،



فزاد الارتكاب ، وبيعت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالزائدة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قضت باعلان الافلاس في ۵ تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ۱۸۷۵ ، وطمع المدوني البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الأمة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتاوات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتاوات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة اوسنة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ۲۲ مايس ( مايو ) سنة ۱۸۷۶ وذهب آلاف منهم إلى سراي طوليه باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقبصيرلي أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبد العزيز في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ و ٣٥ مايس ( مايو ) سنة ١٨٧٦ بفتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة الموجاء ، ونقل السلطان عبد العزيز من سراي طولمه باغجه إلى سراي طوب قبو القابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطولمه باغجه على ساحل المضيق ( البوغاز ) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثر بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجرركس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجرركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكمال بك

كاتبين خاصين للمباين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحرصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميمه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للمباين ، وازككيز سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر السابق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للمباين

مؤتمر الاستانة وعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجلب الاسود والبلغار وتأفهم من الظلم والاستعباد، ومطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأديبته، بعدان كان الدين المسيحي الارثوذ كمي يجمعهم تحت سلطة بطريك القسطنطينية . وكانت أور باتطالب الدولة العلية باجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف ، فقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها ، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا ، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالبوري ، واثنين من فرنسا ، واثنين من اوستريا ( النمسا ) ، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغنايف ، وواحد من ايطاليا ، وواحد من المانيا ، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا ، ففقدوا جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع ، فوقف صفوت باشا قائلا: ايها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم ، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء ؛ وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر ، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العبيات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلن القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم ، واطلق لدى اعلانه مئة مدفع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن ( صدر اعظم ) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخنا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخته ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغتاييف بهذه الاصلاحات بل اصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية ايام ، فكانت من قبيل ( الأوتوماتوم )

#### عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلسا عاليا مؤلفا من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردّها يؤدي الى الحرب ، فتشاوروا بكامل الحرية وابدئ كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحمي يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرثوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وأتقى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والتصيرة على منفعه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك اجاب الباب العالي في ٢٥ كانون الثاني ( يناير ) برفض مطالب الدول المذكورة في لأئحتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

تظلم حزب التقيير وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب المخالف للقانون الاساسي يسعى في التخلص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انعقد مجلس الوكلاء برياسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العديلة ( الخفائية ) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس السلطان الحالي !! ، وكان أحمد جودت باشا من المنسبين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاه مشهور في الاستانة والولايات ، وعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكرهم وبجريدتي ( وقت ) و ( استقبال ) والمقالات الشائقة المحررة فيهما — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدان الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مقبي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لتلا ينتخب مبعوثا عن أهل الاستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسئوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف

---

يوجب علي أن لأطيع امورك ( أو امركم ) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كما تقدم . وبالْحَقِيقَةُ ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلطان بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا وبقية وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفي على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديرى دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وقيق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء و مندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس جورجوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصرو وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغتاتيف الى اور بايقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعااهدة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيالا غيا ، فترددت دول اور باولا سيما انكلترة في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

وأت الدولة العلية اصرار اور باعلى اصلاح الروم اليلى فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يفتقه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدرها وهاحق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يقدونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نحرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا ما لدينا من المحاسن والدوائر المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام  
أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين آراه يصلح  
بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؛ فما بالك في مرا كز الولايات  
والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا بطلب الرتب والوسمة واللقاب  
والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاريهم وذويهم ؛ ! ولمن لاذبهم وحام حول  
حامهم ، أو باعفائهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب  
والمكوس عنهم ونحو ذلك ؛ مما يعود على الوطن بالخراب لا بال عمران ، كأن خزينة  
الدولة كنز لا يفنى ، تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

#### افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة  
١٢٩٤ و١٩ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طولمه  
باغجه بمحلة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في  
دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بالعدل ،  
حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من  
مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعية .  
وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان  
محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد  
سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان  
المحافظة على السنة صنوف رعيتنا ومليتهم ومذاهبهم منذ مئة عام كانت النتيجة  
الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل ينما كانت رُوة الدولة والملة ( الامة )  
وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة  
ووقاية القوانين — أخذنا بالأنحطاط تدريجا بسبب قاة الانقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف . . . . . الخ  
ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال  
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتناء السلطان عبد المجيد خان أثره ،  
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف  
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين  
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفق أفندي الذي  
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لالا انتخاب! ولذا كان رقبيا على  
مدحت باشا ، وقد اتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة  
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،  
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الأنغام وائتلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة  
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما فيها

#### مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في العريضة التي ينبغي تقديمها من  
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فخررت مسودة الجواب واسقط  
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على  
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة  
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلتاه ، لان  
لساننا — نحن ممشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة  
سلطاننا الاعظم ان نمحو كلمة أثبتتها جلالته بنفسها وكررت منحناذلك من جديد »  
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان  
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى !! » أي حسن  
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس  
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت  
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي

( لها بقية )

نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !



## العمل (\*)

لئن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المعادن، أو في مراعيها الغزيرة السكّاء، أو في أنهارها المددقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على الممّول ولو قليلا . فلا بد من فلاح الأرض وبنو الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعمائها، وتبدل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها . فالعمل ضروري للعمران، ولازم لكل موجود، وهو المورد الطبيعية التي هي ينابيع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولاه ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به ، فقال عز وجل في سورة مريم ( وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا ) وهو أمر به ، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت الحاض بهز جدع النخلة قبل أن يساقط عليها الثمر ، مع انه قادر على أن يكفيها مؤونة ذلك التعب ، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسعي في تحصيل رزقه ، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى ( وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ) أي وقتا يلزم فيه السعي لتحصيل العيش ورتب الرزق بالعمل ، وقال ( فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها ، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جلت عظمته من الخيرات ، وقال ( فابتغوا عند الله الرزق ) أي

( \* ) وعدنا قراء المناج في الجزء الماضي بأننا نقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد السياسي المفيد ، وهذا ما اخترنا نشره وقد بالوعد ، وتحريا للنفع

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضرورتكم ، وقال ( فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ) وقال ( وأن ليس للانسان إلا ما سعى ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبا به وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احث لدينك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي العمل في اية حرفة على الاستئمانه الى الكسل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الأنجيل ما معناه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن اتسوق فيه لاهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للإمام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خماسا وتروح بطانا ، فذكر انها تغدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافضة على النوع الانساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتعيش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضوا مد أيديهم للسؤال على مدها للمعل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلقى اليها ، أولئك هم الذين يحمل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستنفدون ثروته، ويستنزفون خيراته، بدون أن يسعوا في احداثها.  
العمل هو أساس الثروة فكيف ينتظر النجاح بدونها، وهو دعامه كل ما تراه في العالم من  
التقدم في المدنية . ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا وتحولت فيه الصحارى  
القفراء الى حدائق غناء، وجادت الارض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب  
أهلها . لولاه لم يصير التراب تبرا، وتبدل المفاز بمعاهد للعلوم، ومعابد للنسك، ومعامل  
للصناعة. لولاه ما ضحكت الارض من بكاء السماء، ولا ابتست الأزهار في الأكام،  
ولا حلت الأشجار لذيد الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها  
قبل أن تصير دانية ظلالتها، مذلة قطوفها، ولا غنى عن تهديها قبل ان ترعرع  
أغصانها، وتصير دوحه تناطح السحاب . لولاه ما استنبط الانسان الوسائل التي  
يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخار والكهرباء،  
ويجعل كليهما رهين إشارته . لولاه ما أخذت الارض زخرفها، وبلغت من المدنية  
غايتها، وبدت آثار العمران في أنحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام،  
وتتضاعف ثروتها آتافاً تافاً .

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع بعصره الكرة الى  
« استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الأنحطاط، لحوّل سكانها  
الاصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت  
من العمران حظا وافرا، وجرت في المدينة شوطا بعيدا . ذلك لان قوما عرفوا  
مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا  
المناجم واستخرجوا كنوزا دفنتها الارض في بطنها اجيالا، وحافظت عليها لمن يقدر  
العمل حق قدره . فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وانما تغير سكانها . بل مالنا ولتمثيل  
باستراليا، وأماننا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم  
والعرفان، ومصدر العمران، ما لها قد عفت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها،  
واندرست معالم علومها، واندرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي،  
أشبه بحلم حالم، أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

أضاعوا الجد الموروث، وأهملوا العمل، وتسلخوا باذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد ( ونحسبهم أيقاظا وهم رقود )  
 كان « كسائي » وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لاجداث الثروة، ويبخسون العمل حقه في الاحداث، وذلك زعم صحيح من جهة ان الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن « كسائي » بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، الى شكل يصير بواسطته آلة تجارية يتهافت الناس على اتياعها. أنكر على العالم الكيماوي تركيه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تقيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على انه بعد « كسائي » كما قدمنا أتيج للعمل ان يأخذ « آدم سميث » بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصمود، ونجمه في السعود، حتى لقد قال فيه العلامة « جيد » انه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في اجداث الثروة حقيقة، إذ الانسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يجر كما كيف شاءت تلك الارادة

## ﴿ ١ - أدوار العمل ﴾

### عصر الصيد

في ذلك العصر كان الانسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالا نعام الساعة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه الى المروج الغزيرة الكلا، ويلقي عصا الترحال اذا قتل الصيد، كما تفعل هي اذا اغيض الماء أو جفت المراعي. وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين: الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، اقله ادخاره، لما يقتات به في اعساره، قالويل له اذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو اتابه حر أو برد منعه عن مطاردة فرسته، والويل له اذا كان ضعيف النكاية أعداءه ( كذا في الاصل ) الذين يداهمونه لسلب ما اقتنصه. وكان عدم ادخاره راجعا الى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكان حقه مزعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هنالك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له او ذرية في

أغلب الأحيان، وإنما لم يوجد عنده ما يدعوه إلى الاحتفاظ بالهوت تحمرا للمستقبل .

### عصر الرعي

ولما رأى نفعه معرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت إلى آخر ، ورأى أنه ملزم بالنفقة على زوجته وأولاده ، توجهت همته إلى تدجين الحيوانات النافرة كالابل والحيل والغنم وغيرها ، مما كان لا يتفق به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الابل والغنم في النوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والانتقال بها من مكان إلى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، ا كانوا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهن تقدر بعدد رؤوس الابل أو الغنم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نعزو كثرة عدد الناس إلى سببين (الاول) كثرة تاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بألبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، ووجب إلى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

### عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرستها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس إلى معالجة الزراعة من اثاره الأرض ، وبذر الحبوب فيها وتمهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمؤوتهم ولا نعامهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلى ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، فأبوي حيث نبتت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معواه ، فيحول به الأرض المجذبة إلى مزارع كثيرة الخيرات ، وانبنى على رغد عيشه تقسيم عظيم في أحواله الادبية ، فنظم معيشته وظهرت الحكومات لأول مرة بالمعنى الذي نراها به الآن ، ولا حاجة بنا إلى القول ان معظم الأمم التمدنية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة ، وعدم

احتياجها الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الامم نفسها وجهت همتها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

#### عصر الصناعة

الصناعة أثر من آثار المدنية تتوجه الهمم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الأول) ان الانسان لا يتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد تحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الامم المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة النجارة والحداذة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة إلا اذا تهنت وتنوعت أساليب مدنيتها ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالتعليم والتأليف .

#### عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدير الآلة البخارية فكفيه مؤونة التعب .

### ﴿ ب - الاعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا ، بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفلاح الارض أو يندر الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من المعلم ، ويتعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تصد الارض ما لم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تمدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم ينتفع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المخترعون « كيمس وات » وغيره قرائهم حتى وصلوا الى استخدام البخار . فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة ، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

### ﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الامم ، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امانة وتجارة وفلاحة وصناعة ، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت معتبرة محدثة للثروة ، بمعنى ان عمل الحاكم الذي يقي البلاد شر العدو ، ويرد المظالم ، وينظم الري ، هو عمل يزيد في الثروة ، وكذلك عمل الصانع الذي يوجد منافع للمواد الأولية ، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها ، والراعي الذي يقوم باثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تنبت ما يسد الحاجة ، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة ، وأما الطيبيون وهم ( كسائي ) ومن كان على مذهبه فقد تقدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها ، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات : طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة ، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث ، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة ، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاوليين . ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين ، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة ، وتبعه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن نقسم الاعمال ( أولا ) الى ماهي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان ، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف ، مثال ذلك العمل الذي يتكبد كل من حارث الارض و باذر القمح وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وان تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا ( ثانيا ) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الاولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة ( ا ) الاعمال التي يتكدها الناس في استخراج المواد الاولية اللازمة للصناعة كاحتقار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتج مادامت نتيجتها تستخدم في الصناعة ( ب ) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ، مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل ( ج ) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك المحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب ( د ) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصناع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كان الصانع لا يشتغل بيده ( هـ ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، ويدخل فيها عمل الحمالين في السبر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والتسبين والسامسة والاعمال التي تحسنت بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويجها ، ولاشك في ان هذه منتج ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تعمله الحكومة أو الاهالي لترقية الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذره الفلاسفة والحكماء من الافكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذره الحكومة من بث العدل في الربوع ، والمحافظة على الامن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية برية كانت أو بحرية

( المترج ) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصحة لاصله أو بسنده

وان كان صحيحا في معناه ووضعه



## باب المناظرة والمراسلة

### مكتبة المامة

بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام\*

﴿لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان﴾

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصحافيا ففيلسوفاً لغويا فنسابة فروائيا مبتدعا فمترسفا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندري ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جلية قلما يخلص بعضها لا فذاذ العلماء ونوابغ الرجال . وهي بخلوها لحضرتة أفادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشرقيات من الأوربيين وغيرهم ممن لا يجبون مطالعة الكتب العربية أو لا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا نتعرض لها بمسح أو نسخ لعلمنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يقضي بصاحبه في النثر الى مثل ما يقضي به في الشعر فيكون أعذبه أكذبه ، ولا اعتقادنا ان نفعها اكبر من اثمها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الفث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى النفس والسخائم الدينية والعصية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ماشاء

\* بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت تعريظ حضرة الفاضل ( المغربي ) أحد محرري المؤيد لكتاب ( تاريخ العرب قبل الاسلام ) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولانا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤيد بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاعراب مما لو قبله القارىء لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المنصور في بطون القدم قد نبشه المؤلف من ناووسه ، فرايبى قوله - والمديفة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كعادة أكثر محرري الصحف لضيق وقتهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للعثور على الضالة المشرودة والحلقة المفقودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزير على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن عني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب باللاف أخذ مناقص بناقص أوراق الكتاب فاذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة هاجت في نفسي ميلا الى تحده ولا ينقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب ( تاريخ العرب قبل الاسلام ) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وانما ذكر فيها كعادته في كنهه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الاعلى من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات لطيفة والميتة والبحث والتنقيب في آثار الامم الخالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم هيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآثرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآثرية وغيرها ( كما يقول ) فاذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة اقسامه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزوا بسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب باعنان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

### فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاوردية يستفيد من الكتاب  
أولا — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية  
غثة كانت أو سميثة

ثانيا — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب  
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثا — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي نقلها من رحلات  
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا

رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبطي والتدمري عن العربي  
الفصح وهي فوائد تشكر للمؤلف اذا عتمها في كتاب مستقل

### الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع  
وتشبهه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات  
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب اواسط الجزيرة وشمالها  
الى قحطانيين ( يمانين ) وعدنانين مال الى انكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر  
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فصدده ان مثل طي  
وكندة وثلثم وجدام ومدحج وهمدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد  
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

«وكل هذه البطون أو القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي  
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يمتلئ  
ذكرة من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذا تدبرت احوال هذه الدول من غسان وحمير وكندة رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بلاد الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل الدولة ويعدونهم الملوك كما ينظر البدوي الأمي الى المتدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أترا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حدائق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الإقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السيل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يعدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحميريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغنى الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم فانها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو اليمنية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

وتجوهم ومنها الحارث وثعلبة وجبابة والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين أسماء بلوك حمير من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شالية وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقفوا عليها في الآثار المقوشة

«فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسايين وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال أن تكون تلك الأمم قد اتحدت الانتساب إلى عرب اليمن القامسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سما بعد أن تقربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عمالمهم» اهـ

وتقول في دحض هذه الأقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الأصول وإما في الفروع أما الأصول فإيكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من أصل واحد كما اعترفت به حضرة وأما الفروع فلم ينكر أحد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الأعراب والتصريف والقلب والأعلال والأبدال مملوء به كتب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والأدب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها إلى ازهاق الأرواح كما في حكاية قتل مالك بن نويرة وقومه وكلنا يعرف ماهي المعجزة والشنشة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاتفاق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من أصل واحد لقد كان المحتم على حضرة المؤرخ أن تقول إن قبائل حمير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لأنها مع العدنانيين في الأصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الإسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثيرا من مقالات وفرد الحميريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية إلا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (الوسط) والمجامع والأسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه أن اليمانيين كانوا هم الأقوياء الغالبين فذلك على فرض تسليمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من القارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بمد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حمير انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كالفهم الصفوي والثمودي واللحجاني وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجذبة بلا سبب عظيم وأن سيل العرم لا يكفي لتفرقهم يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه القفار بل كانت ريف العراق ومشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة بالانبار وفي سورية وفلسطين فلقد احتلوا في الأولى جميع الأراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وفي الثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية اليمنين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بمد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكتفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى ( وظاهوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ) فان الظاهر من الآية ان التمزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا يدخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) واما دعوى اتحادهم في المعبروات فلان سلم انها كلها كانت عدنانية من كانت خليطا من كل الأديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما نهوّد وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك إرث من طبيعة الجوار والينة ونمازجهم في كل شيء كما يسمي الاقباط الآن انفسهم باسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب واترك وكما يسمي الترك انفسهم باسماء عربية مع انهم هم انغالون للعرب وكما يسمي السوريون انفسهم باسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود اسماء عدنانية بين اسماء الحميريين نقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث نقل عن غلازر الالماني احد الأتريين اللذين وجدها في اطلال السد وهذا كته ابرهة قيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقيال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كبش ومرة وثمامة وحنش ومرند وكل هذه اسماء عدنانية كما ان مديكرب الزبيدي إسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميرتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نأتي بها جميعها في هذه المقالة وهي بالغة بسراحتها الى أفق البدييات

فإنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضرين بعد الاسلام وتمصب المضرية واليمانية في اليمن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب

ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحماسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضمافا (لها بقية)

## ﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الأحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الياضي (٥)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ الياضي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى ( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما نقلنا ملخصه عنه في مقالة النسخ والمنسوخ ونقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى ( ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب ) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره ( يمحو الله ما يشاء ) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك ( ما ننسخ ) فالجرد للنسخ في الآيتين بمعنى واحد ( ويثبت ) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته ( وعنده أم الكتاب ) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسياق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيهما وهما مفسرتان ببعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان التقدير فيها : ما ننسخ من مثل آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى ( وما معنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون ) فان تقديره : وما معنا أن نرسل بالآيات التي تقترحونها إلا أن كذب بمثلها الاولون وقوله تعالى ( نأت بخير منها أو مثلها ) فانما المثلية في قوة الحججة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأبي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية ( ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ) الخ الآية التي سبق ذكرها ؟؟



فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبتها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى بمثلا في الاقناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان ويقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقها وأعم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآن أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوروبا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوا أنبياءهم معجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواه لكفى ولذلك قال تعالى ( أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى ( ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون لقال : ألم تعلم أن الله عالم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولما قال بعدها ( ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادا وكفرا ( فقالوا أرنا الله جهرة ) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقربين قد نسخت بحديث « ألا لا وصية لوارث » فلم لم يأت بدلها في القرآن ؟ وأين البدل ( المناجج ٩ ) ( ٨٧ ) ( المجلد الحادي عشر )

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرم من ، الذي نسخ على زعمهم بقوله ( خمس رضعات معلومات ) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل للفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وغير ذلك كثير !!

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالاتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لما أن قوله تعالى فيها ( فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة ) الخ معناه إن لم تفعلوا ما نذرتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قد رجع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتمكم بشيء مما أوجبه عليكم فلذا نذبتكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ فقوله ( وتاب الله عليكم ) قد ورد هنا بمعنى الرجوع إلى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والعدول عن معاملتها كما بقيها لا بمعنى التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى ( علم أن لن نحصوه فتاب عليكم ) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما يشق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين العفو عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الأستاذ الفاضل الشيخ الياقوبي متقدا على تفسيرنا لآية ( وإذا بدلنا آية مكان آية ) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . ونقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواقفة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب فأنهم واقفوا أهل الكتاب منهم في دعائهم الباطلة وعاتروا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن ( أضفنا أحلام بل اقتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الآوان ) فأنهم لا يؤمنون برسول الاوين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقيه لهم أهل الكتاب وإن يخالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاظة له ولذلك ترى في القرآن آيات



بعثه في آيات أخرى كثيرة كقوله ( وكيف يحكونك وعندهم التوراة - إلى قوله -  
وما أولئك بالمؤمنين ) وقوله ( مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار  
يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين )  
( الكلمة الرابعة ) - بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تزيد اليقين

أولا - قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح والتقوى  
لسبب ما من الأسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فيفتخر  
به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه وتستره . وقد يكون  
بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هو لأه المناقنين فيأخذ  
الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله  
ظن أن أمثاله كثيرون وكثر انخداعه بأعمال المناقنين وظواهرهم وتجنب إسائة الظن  
والتجسس لشدة ورعه وتقواه أو بساطته وسداجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين  
وكثرة ما يضعونه من الاحاديث بشوش على الناقدن الباحثين عملهم ويوقمهم في  
الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح .  
ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله  
كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه .  
وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو  
واحدة فلا يسلم ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب او المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه  
يخطيء المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم معتقدا انه صحيح . والتحديث  
بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك  
بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت  
لأرى أي لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متتابعين ولكن بطأني عن  
ذلك أن رجالا من اصحاب رسول الله سسموا كما سمعت وشهدوا كما شهدت  
ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن  
قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا - إثبات عدالة رجال الاسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فان ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم ورعا أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا - أكثر الأحاديث والروايات مقتضية فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد تخرج عن المراد منها خروجا كلياً أو جزئياً

خامسا - من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا نقصا عسير جدا على الناس إلا من شد وقليل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مفتر كذاب فالنقل في أغلب هذه الأحوال هو تقريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الأقرآت والاختلافات والأكاذيب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا - - قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل روايتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذا كرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الأستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذا كرته فقط لا تبرئه من الخطأ والنسيان في جميع الأحوال معها كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطوء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وان أراد أن ينكر ذلك الأستاذ الياقبي زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكبر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف  
عن الأمة الإسلامية من العناية والتمحيص في الروايات والنقد والبحث في رجال  
الحديث ولم يكن يخطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك  
ولا خوف على الدين الإسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على

روايات الآحاد فان حجة ناهضة بالتواتر فيه والجمع عليه فليهدأ المسلمون بالألا

( الكلمة الخاتمة ) -- في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لاجل الحديث

قال الله تعالى ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان اتمم الا تخرضون ) . في هذه الآية

-- وأمثالها في القرآن كثير -- يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل ( وان

تطلع أكثر من في الأرض بضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخرصون -- الى قوله -- وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين ) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطررنا إليه كما في بعض الأحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فما بالك بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الأستاذ الفضل الشيخ الياقبي بأن الظن إنما يندم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الأمثلة على ذلك : --

(١) خالفوا قوله تعالى ( كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرموا أكل الجرا لاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيرا لما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها مع أن القرآن الشريف يقول ( قل لأجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة ) الآية . ويقول ( إنما حرم عليكم الميتة والدم ) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجمرة استعمال الذهب والفضة والحريز للأحاديث التي رووها والقرآن يقول ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا ويستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحطون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريز (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى ( وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من يفتن المرأة على عمتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الإسلام للحديث ، والقرآن يقول ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطبي بالظني وهو مما نكرهه ونذمه وقد نذمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الأستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل بمقل أن الله يبيح للمسلمين ما كان ينفم لأجله غيرهم في كتابه ؟ ١١

أنا لأقول إن جميع هذه الأحاديث يجب ان تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الإسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأملها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم نأت أمثلة هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتنزول من بينهم بزوال علل وأسبابها كما سئنه ان شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة اطولها . فالسالمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الأشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب الطعن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرفنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تعاليمهم في اعتبار الاحاديث لما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لعزا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختمهم أم عليهم العمل به بمجرد نسبه إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الأمر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساده وأما الأمر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يفتي حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا أن التقليد في الإسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال ويقدم ويمحص كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والا بقي ديننا ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد على رجال الاسانيدو بعد مكانهم وزمنهم عنا . والله يقول ( ما جعل عليكم في الدين من حرج ) ( لها بقية )



## مناظرة عالمين (\*)

### ( في مجلس المأمون )

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لانه يكون اذ ذك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كان حادثاً

هذه المسئلة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقتل ويهذب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث - ويسمى (المعتزلة) - فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته انفذ ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وثقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، وكان الناس لهده يسترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة ، ويتسألون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشراً المريني ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخالفتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جراً أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم وفي الباطن يراون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه الحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

( لصدیقنا عبد القادر افندي المغربي الطرابلسي تزیل مصر

( المراجع ٩ ) ( ٨٨ ) ( المجد الحادي عشر )

ويتعمدون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكفائي (الذي تلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) اتصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المرسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه ، فأطال هي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامتي حتى قدمت بغداد فتأهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . ثم إن عبد العزيز جمل بعد وصوله إلى بغداد ينتهل إلى الله أن يسدده ، ويثبت عزيمته ، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديها ، فبداه أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه ، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتنفية آرائهم وطلب محاجتهم ، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته ، واستماع قوله ، ولم يكذب ينهي الامام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الأول حيا القبله والمنبر صوت رجل مكبي الزبي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي أقامه قبائله عند الأسطوانة الأخرى :

الاب -- ما تقول في القرآن يا بني ؟

الابن -- كلام الله منزل غير مخلوق يا بني

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بوا على وجوههم خارجين من المسجد ، وأسرعت

الشرطة فاحتلوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذلك عمرو بن

مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس -- أمجنون أنت ؟

عبد العزيز -- لا

الرئيس -- موسوس ؟

عبد العزيز -- لا

الرئيس -- معتوه ؟

عبد العزيز -- لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فظالم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لأصحابه - مروا بهما سحبا الى منزلي .

فاختلما الشرطة ، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا ، وايديهما في أيديهم يمينه ويسرة ، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة الغليظة ، فادخلا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القرية الى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار المخالفة لامير المؤمنين !

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد لتأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه

لاغير ذلك .

الرئيس - أوتفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسي ماترى ، وتفريري بنفسي

وسلوكي البراري أنا ووالدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في

كتابه ، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت انما جعلت هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت الى

امير المؤمنين فقد حل دمك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شي ، غير هذا ، وجعلت هذا ذريعة اليه ، فدمي حلال

فوشب الرئيس وقال لأعوانه أخرجوه بين يدي ، فأخرجوني أنا وابني بين يديه

وهورا كب على فرسه ، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا ، وأيدينا في أيديهم ، حتى وصلنا

(١) الشوار: اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على الامون ، وبقيت  
 انا وابني في الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمرني :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألتك من الجمع  
 بينك وبين مخالفتك للساخرة بين يديه ، وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره باجابتك  
 الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم  
 الاثنين الاثني ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم  
 عبد العزيز — أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا  
 حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عزك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد  
 أحداً ولا يعرفني من أهلنا أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع اظهاري  
 مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .  
 الرئيس — توكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف  
 فتصلح من شأنك ، وتفكر في أمرك ، فلعلك ترجع عن نيك ، وتتوب من فعلك ،  
 فيصفح أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فافعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم  
 الاثنين حمل عبد العزيز مكرماً الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، نيس الشرطة  
 فسأله هذا عما اذا كان لم يزل مقبلاً على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامته عاقبة مخالفة  
 أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وانه نيس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم  
 ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصصح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من  
 حاجة ، فأجابه عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده إلا رجاء إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجليه — قد حرصت على خلاصك جهدي وانت

حرص على سفك دمك جهودك

عبد العزيز — معرفة الله أعظم وأطول من أن ينساني ، وعدل أمير المؤمنين

وسم من أن تنبذني



وسمعت رجلا من جلسائه يقول - وقد دخلت الديوان - يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، في الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهامنه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا على ما كنت فيه من الجزع والرعدة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظري وأنا ارتعد خوفا وانتفض، واحب ان يؤنسني ويسكن روحي فطفق يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كلة إنامي، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدير نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد اتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد اتفخ وسيقع فبادرني قلمه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون - ما الاسم ؟

عبد العزيز - عبد العزيز

المأمون - ابن من ؟

عبد العزيز - ابن يحيى بن مسلم

المأمون - ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز - ابن ميمون الكناني

المأمون - أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون هنيئة لا يتكلم

المأمون - من أين الرجل ؟

عبد العزيز - من الحجاز

المأمون - ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز - من مكة

المأمون - ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل  
ضوى (لجأ) ، اليها أو من جاور بها ، فاني لا أعرفه .

المأمون - اتعرف فلانا وفلانا (وجمل يمدد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وانما يريد أمير المؤمنين اني اسي ، و بسطي للكلام وتسكين

روعي وجزعي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقني من الجزع ، وجاءت المعونة من

الله عز وجل ، فقوي مظهري ، واشتد قلبي ، واجتمع فهمي ، ثم اقبل المأمون عليّ وقل

يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامات في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن

كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستتك بذلك من الجمع

بينك وبين مخالفتك على القول لتناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت

المخالفين لك لتناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق

معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت اقلناك .

ثم اقبل عليّ بشر المرسي وقال : يا بشر قم الي عبد العزيز فناظره وانصفه .

فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الي الفريسة فرحاً ، فأمحط عليّ فوضع ركبته

وفخذ الايسر عليّ فخذني الايمن فكاد أن يطمه ، وغمز عليّ بقوته كلها ، فقلت مهلاً

فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلمي ، وانما أمرك بمناظرتي وانصافي ، فصاح به

المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم اقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز تناظره علي ما تريد ، واحتج عليه ، وبتحج

عليك ، ونسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، تحفظا الفاظكما ، فاني مستمع عنكما

فحفظ الفاظكما . فقلت السم والطاعة لأمير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان

يشرح في مناظرة خصمه ما لم يندم من ذلك البغيض الذي عابه لامير المؤمنين

بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف صاوات الله عليه

الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه وبالاعليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صيره على خزائن الارض ، واعتزل الامور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال احنف على خزائن الارض ابي حنيفة ، ولم يقل ابي حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين او كان وجهي أفتح مما هو معي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزيينه . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا تقول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ فقلت ابي سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفيك من كلام هذا قبح وجهه » فأبي عيب يلحمني في صنعة ربي عز وجل ؟ فبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتكر اتفاح الجص ، وصممت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحق . فهذا ( يعني جليس سوء ) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة او تلخصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سو الأء وكلفه جوابه ، وواقفه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فبند ذلك جعل ابن الجهم وغيره من شيعة بشر بضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق ورهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وطمعوا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على وكتبه ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، فقال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المتناظر لي ، فضجيج هو لاء ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، واقبل علي وقال تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فسكمت وأخذنا في المناظرة



قال عبد العزيز : وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم  
لجاء بألف شيء فقلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه  
بالضجيج والبروج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى  
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزهرقه، فصاح المأمون يبشر أقبل على صاحبك ودع  
هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم .

قال عبد العزيز : وكثر تبسم المأمون من قولي حتى خطي يده على فيه واطرق  
يكتب في الأرض يده على السرير  
ومما استدلل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء والقرآن شيء من  
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته : قال تعالى « ويحذركم الله نفسه » فله نفس وقال  
تعالى « كل نفس ذائقة الموت » فتقول يا بشر ان نفس الله داخله في هذه النفوس؟  
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت ماذا الله معاذ الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز  
يدحض حجج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له  
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من  
بجلسه على أحسن حال وأجلبها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل  
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفا من الغم والحزن وجعل الناس ينجئون الي  
أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،  
قالوا لا بد أن تلي علينا ما جرى لعرفه وتعلمه فببت ذلك وتخوفت سوء عاقبه ،  
قالوا ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ماجرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حبر  
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أو واقفتمهم لا تعلمهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي

# بَابُ الْحَيْبَةِ وَالْإِثْمِ

## سياحة صاحب المجلة

### ﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صحا الجمهور من نشوة الفرح بالدستور، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويندكرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحرية ومن هذه النشوة الى السكون والروية، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «رد الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسألة والوداد وكان المسلمون هم البدينين بهذا الخير، كما كانوا في الغالب يبدون وكان يقال بالشر،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشترك بين جميع العثمانيين وهو ما تفكر فيه جمعية «الجامعة الثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتربيتهم على الوحدة الوطنية ونحو ذلك من الاعمال. ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متفقين معهم على ذلك وانما اسندت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لاني لم أجمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

مشواي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردة الزيارة لجميع الزائر ين منهم ، ولو طال لتصدت للقاء أهل الرأي من غيرهم ،

والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همة « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي اسستها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدير نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أترأ بعد عين . ولا أذكر ماسمته من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لها بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفسها

رأيت مسلي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الفيرة الملية والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحييت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسعي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الاصلاح وقد سرني من حديث من اجتمعت به منهم أتي رأيت التفاوت بينهم غير بعيد ، والخلاف بين طبقاتهم غير شديد ، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد ، ومقاومة الجامدين للاصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة ،

والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكاء النابتة الذين يحبون الاصلاح لم يربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتجبب اليهم الانسلاخ من كل قديم ، وتزين لهم الافئتان بكل جديد ، كما فن كثير من المترجمين في الاساتنة ومصر وتونس ، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجلاهما مع فنون العربية كل المطلوب لارتقاء المسلمين ، ولم يحرموا منها حرمان من يهادي الشيء لجملة به ، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون العربية لا يوجد كثير من المثقنين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف العصبيات لمقاومة الاصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين

ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم افتنائهم بالترنح قد جعل نفوسهم مستعدة للاصلاح الذي لا يرتقي المسلمون بدونها وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة وبين العلوم والمعارف المعاصرة بغير معارضة قوية

٧٠٨ حكومة بيروت . طرابلس . استعداد أهلها للإصلاح ( المارح ٩ م ١١ )

رأيت من النابتة المصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمعدل عن الشيوخ  
الجامدين ولا نبالي بهم رضوا أم سخطوا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء  
على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول بوجوب مسالمتهم ومداراتهم والاستعانة بهم لان  
جانبه منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتد بها ،  
وأحوج ما يحتاجون اليه المال والزعيم الذي تجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب  
الهمم من الرجال سهل عليهم إيجاد المال ، والزعيم انما يشترط لا تقان العمل وكاله  
فلا يتعذر على أهل الغيرة الابتداء بالعمل مع فقهه . ومتى تكونت الاعضاء تكوننا  
طبعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحرزته  
ودرايته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام  
الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالحي إلى الولاية لقلنا ان حسن حال الاهالي  
هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء  
في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه لقرب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة  
داره فلا مجال للومه

#### طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من  
شعبان) إلى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بئمه فأقبلوا  
يستهلون فبدأ الهلال لعين واحد منهم فحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من  
ليلتهم صائمين

مكثت في دار صديقي الصديق الشيخ محمد كامل الرافي أسبوعا كاملا  
استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات  
الثلاث : جمعية الأتحاد والترقي وجمعية الجامعة العمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر  
لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلي  
طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلي بيروت  
ذلك بأن مسلي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدرس كتب

## (المناج ٩ م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين . حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الإسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين ؛ ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لأنه يشغل الفكرة ولا يكلمها فيكون عاقباً لها عما سواه كما أشرنا إليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نوضحه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطهد بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريباً أو باطلاً بالبداية محتجين بأن من كان أوسع علماً في فن أو علم ما كان أقوى استعداداً لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجّة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرقى منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعثمانيين فإن طرابلس أصبحت كأنها بمنزل عن العالم المدني ، لا يهاجر إليها المرحون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرحون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجاء لأحد في الكسب منها ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد إليها من بيروت لأنها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئاً يمتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذلك كانت حكومة طرابلس شراً من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تنل نصيباً من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الأشقياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من أعراض الناس ودمائهم ، فإن هؤلاء الأشقياء زعماء يشتركون ذمة كبراء الحكام ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لأفراد الشرطة والزبانية بدريهات يستعبدونهم بها فإذا رفعت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال المحاكم فإذا جاء البلد حاكم جديد وحاول أن يقرر فيها الأمن ويقم ميزان العدل وانفذ الشرطة إلى بعض هؤلاء الأشقياء المتهمين بالقتل والضرب أو

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هارين فلا يطأ مكانهم وانما  
يكونون هم الذين لقنوها ما تقول  
عادة الاعتداء علي وسبها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها  
اهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب  
تقصير المقصرين ،

حقيقة الحادثة اني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد  
استقباني عند الباخرة في البحر جمهور من اهل العلم والوجاهة ووفود من الجمعيات  
الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في  
الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة مويستي  
أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم  
العثماني ( أعزه الله تعالى ) صدحت المويستي وبعد السلام على كثير من المستقبليين  
ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركة كبيرة من مركبات الترام  
معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد قبوا أنها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة المويستي  
في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفنا في نافذة من نوافذ المركبة  
وشكرت للقوم أريحيتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا  
فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع  
البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الأشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم  
فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ فعرفني بالقرينة فضرني بعصا في يده وقعت  
على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فلقاها الشيخ محمد كامل الرافي وكان  
عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة  
اعتقدت انه يريد بي قتلي واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحذقوا بي  
وأرادوا إدخالني لأحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه أكثر من واحد  
منهم فشرده ثم استأنفنا السير إلى دار الرافي وكانت قرية منا وهنالك اخبرني القوم  
بالمتمدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلي وأنا طالب علم أشد

## (المارج ٩م ١١) سبب الاعتداء على صاحب المنار . اهتيام الناس به ٧١١

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشيعني عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بايعاز عصابة من تلك العصب التي أشرفنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصابة ثقل عليها ان يعتز من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لظهروا استيائهم ولقاهم قيامتهم على هذا الشبح البالي من حكومتهم على عدم تقمهم بها بل لاستنفضوا همة حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة لاهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالتعدي على الضيف الذي يحقون به تعظيما له وتكريما ، وقد سمعت من الناس وعنهم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء العام كان شديدا وأن بعض أهل الجرأة جهروا لزعماء عصابة ذلك الشقي واه بسوء هذا العمل وبمقت الناس لهم لاجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء أقسموا جهد أيمانهم بأن هذا الامر لم يكن بايعاز منهم وانهم وبخوا الشقي الفاعل وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعاهم الحكومة للشهادة ليكنموها او يحرفوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة قبل القبض عليه !!

هذا هو السبب في سكوت جمهور اهل طرابلس وإغضائهم على القدي ولو رثوا بحكومتهم وأمنوا بهوتها شر تلك العصابة لظهروا سخطهم لها والناس قولاً وكتابة فهم ممدورون في سكوتهم . على ان فيهم من تحمس ليذهب بوفد الى الولاية ليخاطبوا الوالي في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تنهى لو كان حاضرا لينتقم من المعتدي عند الاعتداء

أقول هذا جوابا لاولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا اليانا من بيروت ولبنان والشام ومصر يقولون اترك « فيحاء الاشقياء » تنهى من بنى اول حجر فيها وارحل اينا حيث تنهى من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا معك لعلمنا أهل طرابلس كيف يوجد من عارفي قدرك من يهديك بدمه ،

وكتب اليّ صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واشتروا بينهم ليرسلوا وفدا منهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشجعان لينقموا لي من المعتدين باهتوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو متهاورة فيه وكتب اليّ أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلا من فدائية بيروت ( الابضيات ) بذلك فكتبت اليّ بعضهم إنه لا حاجة اليّ ذلك واتي في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه عزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لأهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثة منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فعلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فطفقوا يذمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد نقل ذلك اليها كثير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والبريد وتحذثوا بخدمتي الصغيرة للاسلام وللدولة والملة فكبروها تكبرا بمثل البرقية التي وردت الي من شيوخين من أشهر أهل العلم والأدب في مصر ونصها «نبهي» العلم والدين بنجاة ركنهما الركين » ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصها «الثناء لكم ولنا والمسلمين بسلامتكم التي تهمننا جميعا» وهنالك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضمة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا تسل عن رسائل البريد وما فيها من الاطراء والتنديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها ما جاء من فضلاء النصارى فكانت الحماسة فيها أشد ولسان الاطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقاتقولا افندي شهادته من رحله التي يمثل فيها بقول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف افندي شدودي من جونه الذي تمني فيها كما تمني كثير من أهل بيروت لو كان معي وقت الحادثة فيري أهل طرابلس



كيف يفديني بدمه ( حماه الله ) فأشكر لجميع أولئك المهتمين أريحيهم وفضلهم  
وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت الي  
الكثير من المهتمين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالغوا وأغرقوا  
حتى كنت أحنبل مما أسمع من شيخ العلم وكبار الوجاه ، من جمل الثناء والاطراء ،  
مثل : ييضا وجهنا ييضا الله وجهك ، شرفت بملك سوريا والعرب ، أحييت  
بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا المجد  
الذي نلته لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء النصارى إن  
الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الاعزاء  
الغائبين . واتي أشهد قراء المار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاطراء  
ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في حبل شديد ولولا قصد تبرئة أهل  
وطي الذي ريت فيه مما جناه عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت  
من الاشارة اليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحداثة  
وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل  
الرأي والمكانة منهم لإياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين وتصريحهم في الملاء بأنه  
أجدرهم بذلك . وليكتفي لم اترك ما عندي من اليقين بعجزني لحسن ظنهم بي ولذلك  
كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب العلوم  
الدينية يرغبون عن التقليد ويفضونهم ، ويميلون الي الاستقلال في العلم ويتحلون به ،  
ويعترفون بأن حياة الدين انما تكون بالرجوع الي الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ،  
وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وذا كرتهم بعد أن كتبت  
ما هدم من المقابلة بين أهل طرابلس وأهل بيروت ولم أر مثلم من الطلاب في

بيروت ولكنتي أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر

وقد رغبت من لقيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة العصرية ، فألفت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهانا مستعدة ، ولكن وسائل العلم غير متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن . ولهذا لم أرجع بعد لتي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلي بيروت للعمل على استعداد مسلي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

#### الجمعيات في طرابلس

الف أهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهل بيروت . الأولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يكون لهم منه ربح يمكنهم من الخدمة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن ففانتهت محصورة في اجتماع أعضائها في نادها فتقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تغذي العقول وترقي الأفكار والآداب ككتب التربية والأخلاق والمجلات العلمية ، وإن يترنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع وال عمران ، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية ، فبذلك تكون جمعيتهم نافعة منذ اليوم ، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الاعمال ، كانوا به أبصر ، وعليه أقدر ،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بجمل تعليم الفنون العربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والمحاماة . ويقول آخرون منهم ان إنشاء هذه المدرسة لا يكون إلا بمال كثير ، وهو عسير علينا غير يسير ، على أنهم لو وجهوا همتهم الى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يعلمون فيها ، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجرا ، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لانفسهم ، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يتوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير ، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الأمر وهو غير عظيم ، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصغر له الكبير ، فبعضه الآخرون بالغرور والتفكير ، وأعلمهم يشرعون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد إلى أن يتسرحم ولغيرهم من المسلمين تحويل معظم الأوقاف الخيرية للتربية والتعليم ، وعمى أن لا يكون ذلك بعيدا

وأما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية ، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم أنها جمعية تجمع الأموال لإعانة الفقراء والمعززة ، ولكن الذي وصل إلينا من خبرها أنها شركة مالية أسسها بعض الأغنياء لاجل استغلال أموالهم بالأعمال الكبيرة التي يرجى ربحها ، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الأخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ « حزب التقهر » ويقولون أن أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخيااتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لهم بأنهم لا بد أن يعزلوا أن لم يبادروا بالاستقالة . ويقولون أنهم أعداء الدستور ويطعنون دائما بجمعية الأتحاد والترقي ويكبرون أنفسهم فيدعون أنها لم تعمل عملا وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئا مما يحكونه عنهم ، ولكنني سمعت من شابين من حملة الأقلام كلاما صريحا وتهكما شديدا في ذلك ، وقيل لي أن هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتب

وفي هذا المقام اشكو مما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والأندية العامة ، وأرجوا أن يفتح الله لهم في أيام الدستور من الأعمال ، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الأقوال ،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء ، حتى خيل لي أن ما رأيته في الدكاكين ومحازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه ، وقلنا رأيت أحدا من أعرافهم اتقل من دكانه ساء كان

مالكاً أم مستأجراً . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدراً لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترتقي بها تجارتها فأكثر الذين أتوا فيها هم من عمال الحكومة آكلة أموال الناس بالباطل

### شعائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام، وأبعدهم عن الجهر بالمعاصي، وحبيك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الأيام بمض النساء الراقصات ليروج بها قهوته فقامت قيامة أهل السلم من المسلمين عليه، وتعصب لهم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنعه من ذلك

## تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة ( ريج ) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاستانة العلية قابل سياحتو شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالباً الجواب عن كل منها وهي :

١ - ما رأي شيخ الاسلام في تعليم المرأة المسلمة  
٢ - ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ - بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ - ماذا يفهم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سياحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعاً ( بالعلم ) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب تقابل - بانسراح صدر - انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء زيادة

على تحصيلن العلوم الابتدائية لاتي أرى من الاوفق والاصوب أن تنولى الطيبة أمر معالجة المریضة المسلمة، لذلك يجب أن تؤخذ القیات الى المدارس الطيبة، وأما مسألة قیام النساء بوظيفة الحمامة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الاخرى ولا أدري بأي نظر ينظر الأهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيباً عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقاً، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذل كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود دیناً عظيماً علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيراً من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت حلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن تعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم المام تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأيدينا بل هو راجع الى الحكومة والأهالي لذلك نحن لا نتداخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الأهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطالب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماماً الى الحكومة »

وقال مجيباً عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا نتداخل في أمور ديانة الامم وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فإما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الحنيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع لزيارة أقرانها ولم يأمر نبينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أتت

تركيا لم تضغط ولا في الازمنة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليأمن كل على معتقده ودياته »

### شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع المخبر كلام سماحته سائلا رآيه في المتقلين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة ندوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنيّة على أساس أن كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالتهوانين والتضييق كما لا يحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنعنا مانع عن اظهار كراهتنا له ونفورنا منه

### زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل المخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح لمتحليه بزواج الفتاة المسيحية

(١) المنار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام الاستاذ الامام بشأن زواج

المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتانية ليعلم

البشر التآلف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتاني

أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم

أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين

زوجه الضعيفة ويأمره بيفضها وبيغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج

بامرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(المارچ ۱۱م ۱۹۱۱) مسلو روسيا . علماء الدين والحرية الدينية . جريدة النظام ۷۱۹

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ! فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نعد كلام اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسالتهم ولهذا السبب الصراح تقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تعد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين إن يضعوا فيآتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم مما يحرمه ديننا الحنيف »

مسلو روسيا

ثم عرج سماحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنهم بيد أنه يجب عليهم أن يعضوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحانيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحانيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عندالله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المخبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على بقية رؤساء الاديان الاخرى » اه

( المثار ) : إن قراء المثار يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا اليها في جزء قادم

﴿ جريدة النظام ﴾

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بعون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالأخلاص والصدق اللذين اعتادهما القراء منا في الخمسة عشر عاماً التي مضت من خدمتنا الصحافية . فإذا تفضلتم بالإشارة لذلك في صحيفتكم القراء بشكل يجذب الأنظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . وإذا اردتم تلك الإشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تتعدى طلباتهم منتصف شهر نوفمبر فانكم يعملون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام»

محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و ( المنار ) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحاً وفلاحاً ، وتوفيقاً لسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاولة الكتابة بضع عشرة سنة ، وتقنه الصحافي ، وذوقه الأدبي ، ما يرجي معه رواج النظام ، ورغبة محييه فيه

( الجزائر ) - وجاءنا من عمرا فندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية « سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فدعوه بالتوفيق والنجاح

### ﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الأخير من ( ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١ ) وهو: «ثلاثون رجلاً . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلكم وكثرة المشركين واستمر هذا» فيكتب بالقلم

### ﴿ بيان ﴾

أصدرنا هذا الجزء من المنار عبر مصدر بالتفسير والفتاوى لأن صاحب المجلة لا يزال في سياحته



بوتني الحكمة من يشاء ومن بورت الحكمة فقد أوتي  
خيبراً كثيراً وما يدعك إلا أولو الألباب

اللحجاء  
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريف ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر ( تشرين الثاني ) سنة ١٩٠٨ ﴾

## اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة  
وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي  
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه ( اعجاز القرآن ) الذي  
جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس  
المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض  
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم  
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقما واليك كلامه :

بث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا أقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي بمنهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة ، نصب لهم الحرب ونصوبه ، وقتل من عليتهم واعمامهم وبنبي اعمامهم ، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات بسيرة ، فكلمه أراد محمدا لهم بها وقرىبا لهم بمحزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا تعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا .

قال فها تروا ولو مقتربات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته ، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت انقض لقوله ، وبلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق اتباعه من بدل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبيل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الأسجاع واللفظ المشور ، ثم يتحدث به أقصاهم ، بعد ان ظهر به عجز أدانهم ، فحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء ، كلهم في الامر الظاهر ، والخطاب المكشوف الين ، مع التفرغ بالتقصير والتوقيف — على المعجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد أعمالهم ، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبت على الحيلة في الامر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، كما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل وهم يندلون أكثر منه ،

## تتمت الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في ( ص ٦٤١ ج ٩ م ١١ )

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالة بحقها أمر عبر غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سيما إذا كان أمة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبه في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المنافقين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه بل يعتمدون ويتكلمون على ما لا يتكلم عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ؛ ولم يجعل الله ذلك سبيلا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذ كر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أندروا هجمة ووسيا عليهم فلم يهدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حامية شاه قشبد ، ( هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة القشبنديّة ) فلما

زحف عليهم جيش الروس لم يملكو من نجدة هذا الولي لهم شيئا ، بل انقلبوا على  
 أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين  
 فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الأمة أن تعدّ لأعدائها ما تستطيع  
 من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، وانكملت في حياتها السياسية  
 والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي  
 حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان  
 لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من  
 المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :  
 ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوردية وعرفوا أحوال العالم فرأوا ان  
 جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترقى وتمزج ودول  
 الاسلام تتدلى وتذل ، وبحوثا في سبب ذلك فرأوا ان المسلمين مؤلفون من كل  
 جنس ، ومتبوئون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر  
 عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا  
 بينهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من  
 الأفرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركة  
 والاخذ بما عليه أوروبا ، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود  
 والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي  
 يمتت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان  
 يتجادبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على  
 ما هم عليه وما هم يباؤين

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت  
 الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت  
 لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم  
 وبين هذه الكتب الكلامية والفقيهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

(المناجح ١٠م ١١) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معنا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجمياتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين فنرتم المسلمين عما به قوام أمنهم ودولتهم

والتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يجمع لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هذا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئا من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام واحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحبيهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا تقام فيها الاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يجعل

أمر المسلمين شورى بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم ك شأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد!! (وذ كرنا مخلص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبددين يحاولون ان تكون رتبتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدما له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاتة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال دأنا ربكم الاعلى ،  
لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى  
الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة  
الشورى ، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو  
النيابي ، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ ، وقد  
عاهده على ان يجعل لمصر — اذ بصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة  
بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشورى المقيد ، ولكنه لم يك  
يستقر على كربي الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر جبا في الاستبداد ،  
وتندداً بالاستعباد . ولكن السيد لم يمل ولم يأس ، بل صبر ينتظر الفرص ، فحذبه الايام  
الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لا إنشاء حكومة الشورى فنفاه الشاه من البلاد ،  
وثقي من البلاء في ذلك مالم يلقه الا قليل من العباد ، ثم قذفت به المقادير الى  
الاستانة فأحسن السلطان اليه ، حتى طمع فيه ، ولكنه ما عتم ان يش منه ، حتى مات  
هناك غير راض ولا مرضي عنه ، هكذا قضى حياته في التطوف في البلاد ولم يتخذ  
له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه ، ولكن لم يصدر أحد منهم  
ريان من مشربه ، ويثبت على مذهبه ، الا الشيخ محمد عبده ، فقد كان هذا الامام  
الجليل تربي تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة ، فقد مكث زمانا طويلا  
لا يكلم أحدا ، وزمنا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير  
إصلاح نفسه ، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر ، ثم رجع  
الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب ، ولقد دخلت عليه مرة بيته فرأيت  
يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته ، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من  
الاذى في سبيل ربه ، وكان في كل سنة أو أكثر يعتره تنبه عصبي من إطالة الفكر  
في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل  
الى جوار الازبكية حيث مجامع اللهو وينادي : أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من  
العيب حتى تركتموه ؟ اخبروني لعلني أبين لكم خطأكم . وأرسل الي مرة يخبرني بأن

مرضا ألمّ به فنغه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فجتته فاذا هو في حجرة النوم  
واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، قلت له ماهذه الكتب وما هذا المرض ؟  
فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المقعدة عن القرآن  
فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى  
أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في  
مصر فترك السياسة واشتغل بالاصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى  
عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد  
بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في  
المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للمرجفين عن  
بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية  
الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات ( الاولى الجامدة ) وهي التي  
تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية  
وأهلها هم الاكثرون ( الثانية المارقة ) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند  
حدوده في شيء ، وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم  
خير لأمتهم ( الثالثة المعتدلة ) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع  
المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون  
التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد  
كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد  
كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح  
الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين  
انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتمزجها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا إذا أقمنا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الأمرين ، فنحن إذا لم نجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا إليها حكما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو إليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستعد بمونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشبهه عليه شيء في ذلك فليكتب إليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقلما يصل الى الاستانة جزء منه، فدعوا جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو إليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لسكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، فمنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعده بحاله ، ومنهم من يساعده بحاله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ، اهـ ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدواك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الاصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القري) والاصلاح السياسي بكتابه (طبايع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه



## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ وركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك ( اوت افندم ) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم — والحق يقال — فئة عارفين بصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب مهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث ( مارس ) سنة ١٨٧٧ على ( بروتوكل ) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقدا الصلح مع الجبل الاسود ، والفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافيا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان ( ابريل )

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

( \* ) تابع لما نشر في ( ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١ ) من رسالة محمد روجي افندي

الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من  
 المسرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين  
 على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ،  
 وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام  
 بمبعوث الأكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا  
 تصديق ذلك وأتم في هذه البهجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن  
 الأثاث والرياش والعربات والخليل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا  
 بوئس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادي لم يكن علي إلا  
 ألبسة مرقعة بالية كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم ترتدون أحسن  
 الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب  
 الذي ترونه علي من سوق الدالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وأنا  
 موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي بيعه فأنا أبيعهُ وأنا  
 منبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل  
 لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية  
 عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايلي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة  
 مؤرخة في ٩ نيسان ( ابريل ) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم  
 بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على  
 ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة  
 باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب  
 العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفقها الى  
 النول في ١٩ نيسان ( ابريل ) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح  
 الموعد به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى ايهاء واجباتها نحو  
 الاهالي المسيحيين !!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها  
واذراء بشرها وعبثا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس .  
وصارت الفشرات ( سيركولير ) والمحمرات السياسية تطير من عواصم أوربا والاندازات  
( ميموراندم ) والمذاكرات تتساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا  
بل اعلنت الحرب في ۲۴ نيسان ( ابريل ) سنة ۱۸۷۷

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر  
في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء ينتخب نصفهم من المسلمين  
والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي  
هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم ( عمانيين )  
بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثريّة في مجالس الادارة تكون  
من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقردار ( رئيس المحاسبة ) والمكتوبجي  
ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المقنين من بين الأعضاء  
الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحانيين .

قال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحانيين ، ورغم انتشار  
هذا الزعم الفاسد فالمفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ،  
وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من  
علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم ( Jurisconsulte ) واعترضوا أيضا على  
تسمية ( متصرف ) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد  
والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين  
عن احوال معسكر الاناضول وتقصان التجهيزات العسكرية ، وعلى تعيين احدنا لخدمة  
قائمقام وقد كان ( شوبجي ) اي حامل قصبه التدخين عند بعض الكبراء ، الى  
غير ذلك .

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدريج بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فتناولوا اقتراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ما طلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز ( يوليو ) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا الينا مبعوثين او فرقا وكثروا قوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم نظرا الوصي إلى الصبي !!!

#### الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر ( نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧ ) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة ما دل على حياة الامة وقتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الادارة كانا سببا في انتصار الروس في أوروبا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة ( الدانوب ) وجبال البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلغنا في الروم ايلي ، وقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروم وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم  
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ١٠ كانون الأول (ديسمبر)  
سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضممت قوتها وافرغت صناديق الحكومة  
من الاموال ، لكثرة الإنفاق واقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،  
فقرر إعادة التأم مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض  
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمور (أوامر) مؤقتة لا كما  
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة  
١٢٩٤ و ١٣ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء  
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية  
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة  
العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجلس  
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة  
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان  
عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا  
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق  
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من  
ناحية اليمين على صفيين ، واطراف مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة  
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم  
الرقم المشتمل على نطقه لسعيد باشا ماشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الايمان والمبعوثان

« اني اكتبت الممنونية بفتح المجلس العمومي وبشاهدة مبعوثي المسلة ( الامة ) - ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي القومية واللغات وحتى المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين - وختمه بقوله:

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمن منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة ارباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي ( وهو اليوم باشا من النظار ) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول ( ديسمبر ) وكانون الثاني ( يناير ) وأوائل شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة - لابين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان - وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة ( فرسان الشرطة ) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على ابطال الحق وإحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد المساكين ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للأعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ٠٠ الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب ( صدر أعظم ) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيتق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية ( تبعة ) الوكلاء أي النظاركما هي الحال في وزارات أوروبا ، فحضر ( الباش وكيل ) الأقم إلى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي أحكام القانون الأساسي ، ولذا استبدلت رئاسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسئولية لا ترغب إلا في سلامة الدولة وترقيتها والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه أن يقبل في بعض الأحيان وكلاء عن أعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !! » فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« إن مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الأساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لأننا نحن الذين نمثل القانون الأساسي ونحافظ على أحكامه ، وأنتم الذين تحاولون قضاؤه وإبطاله . . . » فأحيلت المسألة على قومسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط ( فبراير ) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعسا كروسيا استوات على أدرنه وتجاوزتها ، وطلبت اوستريا ( النمسا ) أن تجتمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتفحج المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، واتتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبشت

انكثرا بأسطوها الى بحر مرمه في ١٤ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨

### المجلس العالي

تداخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمفاوضات — على عادتهم — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما يئنه من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الأستانة وهو الحاج احمد افندي كتبخدا الاستراتيجية (الكش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتصل من كل تبعه تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعه في الحال الحاضرة .

### تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في أعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الأستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان ظلوا بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط ( فبراير ) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!

### استخفاف المبعوثين والامه لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعزرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطه المتطرفين منهم بالجسورين على التكلم وإيقاظ افكار الامه . وجوب المهاجرة من الأستانة !



فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية - ولم تعلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات! كأنها جل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجريز  
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا تكبر

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كبعوث القدس الذي كان - بجرأته - يثبت على بطاقة الزيارة ( كارت فيزيت ) انه مبعوث القدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، والى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا - ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرنائه في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها - آخذة لكتابه في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق ( Ex - Député ) فحكا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائرة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكروهم بها مذكرا ولا وعظهم واعظا !! ولا حورت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالغبلة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، وقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لا دار الا وفيها أتم ، ولا اسرة الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البهران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات ( النقود ) فكانت الاسرة تبعث خادمها الى السوق لشري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتفتت اكباد الوالدين

لبكاء أطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقري ، والصاكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فإنه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لأن جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عايشون في ظل الموظفين ، والصاكر المسلحون واقفون لهم ولأهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن الصاكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لأن قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها وإثارة اضعاف العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والأديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفضائح ومداخله الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخليل شريف باشا فإنه لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صفار الموظفين وضباط الصاكر والمتعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك ، روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الأوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن المرعي دوشاتونيف الفرنسي ، وكثير غيرها ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوربيات وربوا أولادهم تربية أجنبية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدنية الأوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المنوية الفكرية ، لأنهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطروهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لا مريهم إطاعة ، يفرضها القتل والسياسة ، والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

( التاريخ ١٠١٠م ) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الأوروبية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الإسلامية ، وشتان ما بين المدنية الأوروبية والدين المسيحي ،

سماوي أفندي وحادثة جراجان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة علي سماوي أفندي ، وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلقا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الأفكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وقرالى باريس ولوندره ونشره الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيهما مما ينفحه به بعض رجال الاستانة ، ثم عاد إليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤط احد الضباط وجمعا فئة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لاجراج السلطان مرادتها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ، ففاجأهم الصاكر بالسلاح فشنت عليهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فاكسب فيها ثقة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لها خير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ، وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، ويجول في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الأفغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقى في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقى

( المجلد الحادي عشر )

( ٩٥ )

( التاريخ ١٠ )

جلس بته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الأستانة - فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين ، وهو مخالف لحقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالأمر ، ويحول بينهم وبين مآربهم ، وهو أشد وطأة عليهم من القانون الأساسي وحزب تركيا الفتاة .

#### صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير ( كجوك سعيد ) تمييزاً له عن سبيه ناظر الداخلية الكردي الأصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محرراً في جريدة «حوادث» فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته الماين وصار باشكاتب له ، وهو المنسب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الأساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السرदार) عبد الكريم باشا وإخلائه موقم (بيله) امام بلغنا ، ومداخلة الماين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الأمور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستافانو التي تفتحها معاهدة برلين ١٠٠٠ الح فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب الماين وتوقيعه ، ولهذا كان مفوضاً من حزب تركيا الفتاة لأنه كان آتة وعونا على الاستبداد ، وعلى إدارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب الماين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة المنطى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانهات واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن لباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في إدارة المملكة ، ولا سيما في أيام رشيد باشا وقواد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب ثقافته وتملقه للماين وتهديه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا باشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

الاعمال والادارة في الماين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الاعظم الى الماين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!  
تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادات من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة المدلية وأصول المالية وأسست إدارة الديون العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمبارك من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الاخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف احكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب الماين ، لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا . لانه نشأ وتربى في الماين . ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكانتها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعاً للريبة ، وكثرت الوشائيات به فصار مبعوضاً منفوراً منه ، ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في الماين وانجمن التفتيش ( مجلس التفتيش ) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها ( ١ ) على زعمهم وبحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ملعدا دوائر وشعب الخفية ( الجواسيس ) المتعددة المحدثه التي مركزها في الماين تحت نظارة السرخفية ( رئيس الجواسيس ) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب باصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلغار للروم ايلي الشرقية ، واصراراه على ارسال العساكر كما تصرح بذلك معاهدة برلين .

صدارة كامل باشا الصدر الخالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الخالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وبادارة الدولة ، لانه تولى في جميع وظائفها ، فمن قائمقام الى متصرف الى وال الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آله في يد المايين ، مطيح لما يلقي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا وضيف الدولة

لما ولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يحظر تعيينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من النابذة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كانت الغرض من تعيينه هو الأيهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه !! ، كما كان رئيس الوزارة الألمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسئول امام الريشستاغ ، فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المايين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشي من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بائتراع الممتلكات من أيدي أصحابها بالتمن البخس ، وإقامة الموظفين فيها بعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المايين حكومه صغيرة قوية !! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية !!

## الجاهلية في الدولة العلية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تدهور بسرعة إلى دركات التأخر والأخطار، بعد أن خطت خطوات محمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تخلص الدولة والمملكة من المرض الذي منيئا به قديما . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد العذاب الوجداني والأدبي، وصار أرباب الدناءة والفساد يتقربون إلى المايين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنيا من الاستانة ، فكانوا — بمقرباتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه وتزعج تاجه ، ويزينون في عينه الاستبداد ، ويغدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين انهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التمدلي والأخطار ، رغم الابهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سبأ في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحيدري امام باب السراي صفوفا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الاجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي وده المشيرون وكبار رجال المايين حاقون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا ، وكاهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم ياشين الجواهر تحطف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعسكرية ( الحفانية ) والالوية والشيخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة ، ويتقسمونها هم وكبار الموظفين ، فمن اشترى وظيفة بمئة

أيرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم  
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما !!

الميل عن انكسار الى ألمانيا والحوادث الارمنية

انحرفت سياسة الماين عن انكسار الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير  
الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر  
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم  
السرية التي في لوندرة ، وأشار عليهم بعض رجال السياسة كفلادستون بالقيام والهيجان  
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار هاجت الافكار العمومية في أوروبا ،  
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجبيل  
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين  
فقد جاء فيها ما معناه « يتعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات  
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحمياتهم من الجراكسة  
والاكراذ ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في  
هذا السبيل للدول المشرفة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين  
لادولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها  
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ،  
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .  
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشااوروا ، وخبر بعضهم  
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا محل لاصلاح ولايات ارمنيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، قالوا يجب  
طلب الاصلاح للحكومة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتلمون من الادارة  
الحاضرة ولكن انظروا والاستبداد ليسا وجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تأسست جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس



والاترك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يتنون تحت اثقال التكليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقدمهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد، وان اتفاق الارمن والترك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يمد من الحمية والغبرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضرا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لايزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الفنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق وائتلاف تام مع الاترك حتى اذا أطلقت كلمة « ملت (١) صادقة » لاتصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبد التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وساوكت سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا -- ولا سيما انكلترا -- واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) المنار: يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل مايرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكره ، على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

الى المشككة الكريديفة الى المسألة القفدونية وهلم جرا . . . ورجال الماين أكرمهم جهلاء  
أغبياء ، لاخبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم  
شياطين ابالسفة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى  
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركي القفاة ومن  
القيام بالاصلاحات . ويشيرون بانخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من  
المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يبرأ الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا يبي الحق ان وجبا  
والمرء يعيه قود النفس مصعبه للخير وهو يقود المسكر الهجبا

#### تأسيس جمعية الأتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الإدارة والاستبداد والفسف بالامة أن تأسست  
في الاسفانة جمعية الأتحاد والترقي لاخاد نار الفتن المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية  
والعدل لجميع العفمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من  
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بشت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)  
فريقا من الشبان الاحرار — أكرمهم من طلاب المدرسة الطيبة — الى  
باريس ليؤسسوا فرعا للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في  
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العفمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة  
الحكومة العفمانية او نفقة الخاصة ، وبعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم  
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

#### احمد رضا بك ومبادئه . جمعية الأتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاسفانة منذ خمسين سنة تقريبا ووالده انكلز علي  
بك وأمه مجرية ، وسمي انكلز لعله الانكليزية ووقفه على المدنية الاوربية كما  
سرى عنه ، والافهم من الاحراك المسلمين وكان من معتبري المواطنين الذين نشأوا  
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فخرج أحمد رضا بك في مدارس الاسفانة

وعين مديرا للدرسة الاعدادية في مدينة بروميه فأحس من نفسه لزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شقبي بك الذي كان يصدر جريدة « استنبال » في ايطاليا ثم في فرنسا وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لأئحة منصلة مشتملة على وسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرها من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلة الفلسفة .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخطيته يدير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التناهي في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينكرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الأغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يتزورن الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويبعثون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مما بلغ عليه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبداءه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزىء بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قاتلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتمصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في ككل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الأهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع موج في بيت صغير ( Appartement ) في الطبقة السادسة قصد اليه الوفد وذاكروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمتم على شيء فاني لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة البيزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

#### معاكسة المايين للأحرار في أوروبا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العائم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا ما أدب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت هم رجال المايين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب تعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتماً

بل أكثر ، كان سلطاننا شاهانبا !! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي !! - واقدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية اثني تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة قتله وذ كائنه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بجلب أهل الظنة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيداء والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر ، وولف الرسالة الحميدية . فلو اطلمت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولأريت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ابطال الشككية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، ووافهام الدول الاوربية الموقمة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة «مشورت» يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرانجه القاتلي بالسباح عنه . وبيدنا كان المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالتملكة الكريدية ولدت الحرب بين الدعاة العلية واليونان ( نيسان - - مارس ١٨٩٧ ) وتم النصر فيها للمساكر العثمانية فأخذته المرة بودام على سياسته الاستهدائية وقعدت همه الاكثريين

من حزب تركيا الفتاة فخصموا الاحكام الاستبداد جيرا وقهرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوروبا وكثرة الاطلاق فيها مع قلة ذات يدهم وقرانهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللثة التركية أو العربية وسماونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم امدوا بعضهم بالاموال وكانوا عوننا لهم . اما الجميات الارمنية والمقدونية الانتقالية فان اصحابهم وأغنياء أمتهم أعانوهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فاین هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان الميانيين لجمياتهم هو موت النعرة الوطنية في نفوسهم وقد الحاسة القومية وكونهم لم يفتقروا معنى الاجتماع والتعاون .

#### غرور المايين واستعمال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية السمانية فتوة الامة العثمانية وحيثها وسلطانها من عوارض المرض أو الهرم كما يصنفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد المساكر وكنهم عن النهب والعبث بالأداب وغير ذلك من الافعال الممجيبة ما يتخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

وإذ غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصوره ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الائتلاف والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى ( الشيخ ) الى ( العابد ) الى ( الملاحه ) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العاتي - أولئك الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذنب حيران ، حتى لم يعد لأحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بله غيرها من لغات أوربا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الإدارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

( لهاجية )

## البلاد العربية والسكة الحجازية \*

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب قاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما ( العربية السعيدة ) الا انها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الحر قليلة المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال التواء وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعا

(١) المأرج : الشفرة في اللغة التركية هي الخطاطبة بالأرقام بطريقة لا يعرفها الا

الخطاطبان وهي مأخوذة من كلمة ( جفر ) العربية

(٤) بقلم رفيع بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة الخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات الينابيع  
الغزيرة والاشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع  
لهم المجال وتساعدهم الحال ومع هذا فان بلادهم مفتقرة الى اصلاح كثير  
وعناية من الحكومة كبيرة، لتقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنابت أنواع  
الزرع وتقد الراحة والامن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام  
وتزعج بين الحاكم والمحكوم له كادت تنفضي الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران  
الطبيعية ثمة لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم بيضة عشر مليوناً من  
الديرات ، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة  
والاهلين هي :

( أولاً ) إن مياه الامطار الغزيرة التي تهمر في اليمن تكون مجاري وسيولا  
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض  
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فاذا تبست مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار  
ثم استكبر من عمل الخياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا  
طاسة في أكثر اطراف اليمن ونحوها تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة  
حافلة بالزرع والضرع ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات  
والخصب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن  
والقطن والنبيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات  
ويؤخذ منها ثلاث ثلاث ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنابت جميع أنواع النبات  
الذي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كالبن اذا بلغ نظام الري  
في هذه بلادهم في الهند ومعهم فانه يكثر بل اريب من اثنى البلاد المعتدلة  
بمجموع ما يزرع في بلادهم من سائر الثمرات والحكومة والاهلين اذا أضيف الى ذلك قوة

الاهلين

الاهلين ان تقسم ولاية اليمن الى ثلاث ولايات احداها صنعاء والثانية صنعاء



والثالثة نعر، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرفا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناثية وينشراية العدل والراحة والأمن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عازمت عزما كيدا على اصلاح البلاد اليمانية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

( ثالثا ) إصلاح مرفأ الحديدية وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدية الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدرج بقدر ما يمكن ماله الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارحاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الارضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعاً منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجه فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

وعما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليماني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة والدولة خاصة ، فانها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدية عن طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدية الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وافصاها في الشمال والغرب . وتتصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المتوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما بعد

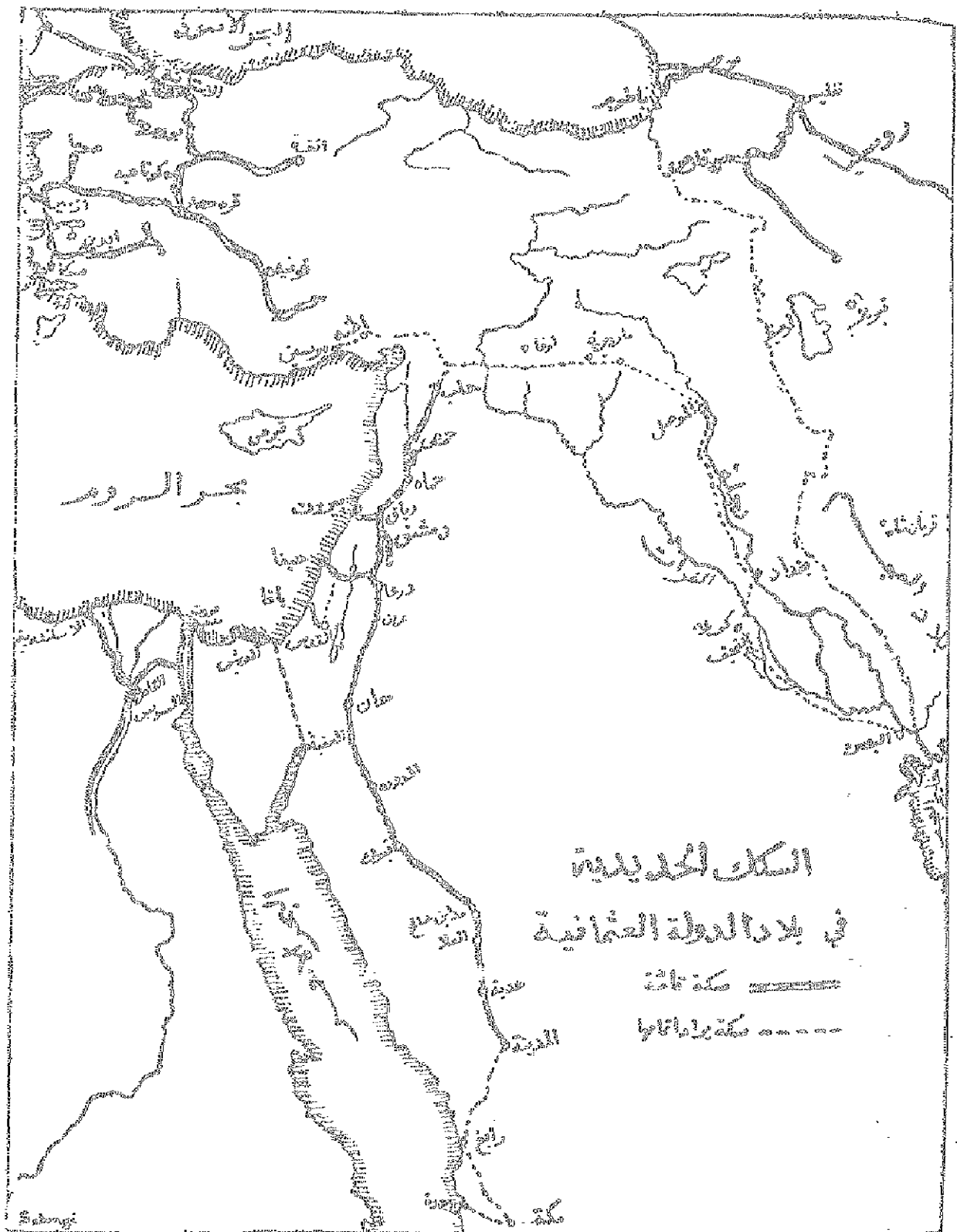
ان صار البحر الاحمر مزدهرا لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية  
ويجدر بنا أن نطلب من مجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح  
شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد  
الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها  
وضف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من  
ثمراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فإحدى الدول المعنية بأن  
تنافس الدول بقطر عظيم فسبح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل  
العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظا من اصلاح عظيم ، ولاسيما في  
عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة  
العثمانية جماء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي تبنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه  
جزيرة العرب في مستقبل الأيام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم  
عظيم وبلغت المدينة المنورة على ما كتبنا الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط  
باختلال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لانمام الخط الى مكة  
البلغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها مددّة على ما نعلم ، وطول الخط من  
دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة وكيومترات يضاف اليه الخط من  
حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ماتم من الخط الى  
الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين  
ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة  
وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠

كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مشرقة فيها  
القرى الآهلة بالسكان ، إلا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت  
أراضي معان أخصب من أراضي حوران



( مستعارة من مجلة التنظف الفراء )

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شيء كثير ومنها الملعب ( Amphithéâtre ) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر ( بلاطة ) وهي أعجب وأبدع ما روئي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعا . ولقد هم كثير من الناس باتباع الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لحياء مواتها واستقلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأثر بها أفراد من المقرين ولم يكن شيء من ذلك الى الآن . فخرجوا ان توفى الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين واذا مضت المدة ولم تصلح الارض وتستمر ساع للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همه الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل ( ورشة ) لإصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويلبها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفأكة والنخيل ونجود في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة . ثم يعودون الى بلدكم لاجل الاعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والاكثر من زرع أنواع الفواكه والبقول والاشجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزراعة النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفصوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبها في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمد نشاط من هذه السكة الحديدية من موان الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كبير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهممة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لأنجاز هذا الخط خير الجزاء

## باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح الباصي (٥)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يطمئن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم والحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية فهو هؤلاء الآحاد الذين كان يعيّنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها ان يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحقّقوا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاحتساب منهم وقيل أن يحقّقوا ذلك لأنجب عليهم طاعتهم ولا الأخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنهم مطيعون لله ورسوله ولأولي الأمر ، فإذا قالوا لهم ان الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لانهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لانهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا اذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الامر إلى رسول الله فيحكم بعرضهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو هؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لامر يسمعون منه من أولياء أمورهم

(٥) تأييداً لتأريفي (ص ٨٦٦ ج ١١٠٠م) من مقالة الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي

بآذانهم فأخذون به ويسلمون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أول  
قوله فالعبدة فيه علي روايته

فإن قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن والإفكيت  
يوفق بأن هؤلاء اتقوا لا يبنون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت إن الرسول إن لم يعلم ذلك  
بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن أصحابه البصيرين عنه  
كأهوا مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايان  
وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأماهم  
وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدا — وإن كان  
نظره أضعف من نظر الرسول — يصدق صاحبه واخلاصه بعد مباشرة له زمنا طويلا  
في أحوال مختلفة . وإن بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز للخطأ أو النسيان عليهم  
فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات متقطعة عن المسلمين بل كان بينهم  
و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين  
مرات عديدة في السنة لزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب إليهم  
المسلمون لمثل هذه الأغراض فإذا حاد المبعوثون عن شيء مما تنهوه عن رسول  
الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ  
أو يعزهم أو يعاقبهم . فبالوحي وبقته الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا  
طويلا وبأخبار الناهيين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ  
عنه في تلك الجهات ومهيئا عليه فإن حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به  
مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب إلا  
قليلاً فيمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية  
في مبدأ الدعوة حتى يتم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا  
متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع  
معلمي المدارس وتقييم العلم عندهم وعلمهم به فإن الأمة رقية عليهم فإن أخطأوا في  
شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الأمة وأولياء أمورها فيتلافونه  
في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك  
اختلافا كبيرا لان رواها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه  
الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الأمر ولم يقرهم رقبيا عليهم  
لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الخاتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلهات نظرهم إليه  
وتبنيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان  
لأجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة  
الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف ينم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله  
سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان  
أمرهم بما ينم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة  
الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الاخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني  
على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنة صلى  
الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله وأقنديه به أصحابه فيها وهي  
واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقته صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد  
بما جاء في الحديث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا  
كما لا يخفي على متأهل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين  
من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلانزاع في أن  
اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين  
أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع  
بجسنا وهي المتصودة في مقالاتنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو  
كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم



وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت إليهم لأحوال خاصة وظروف مخصوصة أو أنها كانت للإرشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ ( السنة ) ولفظ ( الأحاديث ) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخطب . وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صححت أسانيدها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما نسية الأحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا إلى تقييد لفظ السنة بقولنا ( العملية ) فإن السنة لا تكون إلا عملية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعاً لسنة الاستاذ الإمام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعاً سنته فإن سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصاحبة في زمننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعاً سنته صلى الله عليه وسلم فإن سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الأخبار المتعددة المصادر المختلفة المبني المتحددة المفردى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحى به إليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجهود والتقليد

## (المنار ج ١٠ ص ١١) السنة النبوية حقيقتها . آراء الأئمة في أخبار الآحاد

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كانت أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لأرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فإن سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح المباد وتحمري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقوائه وبعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وقفنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور نظم من نصوص الكتاب العزيز وماتواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما رووه عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . سنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والاقداء به والجرى على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها

وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير

عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها غنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كبير من الأئمة كالتقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدينية المحضة ولو كانت موثوقة بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتمييزه عسير وفي بعض الأحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « إن الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك

أكثر أسباب قوطا

(١٢) قام الدليل الحسي على أن الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل

والزيادة والتقصان

(١٣) لم يجمعوا الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلقوها إلى الامم بانوار مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام

إلا لضرورة

(١٥) أهم منها عن كتابها وأمرها بالحرق ما كتبه منها كافي الروايات التي

صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبلا كان

هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر

بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوا للجنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أخذ بالإخالف في

مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعان المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأبي فائدة منها ترجون؟ وأي ثقة بها تتقون؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعته حتى أرمى بالكفر أو المروق؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعيننا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ الياضي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثيل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وبأملائه على ما عرفوه إذ ذلك من أنواع القرطاس ( كل ما يكتب عليه ) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورته مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وإنما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد ( كالورق الآن ) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتابا ما كان معروفا لهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو رقي في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعلموا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثناث ( راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار ) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الأمم الأخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتابا كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي

صناعة أخرى بل تركوا شأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان  
 وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .  
 وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت  
 الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الأحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع  
 استاذ المناجح فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) - أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي -

إعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالاقناعي) وذلك ان يحتج على الخصم بما هو مسلم  
 عنده كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الإنجيل الحالي وان كنت غير معتدله .  
 فإنا أورد الأحاديث غالباً لا لا ثبت معتدي نفسي بل لا تقع من لا يقع الا بها  
 ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الأحاديث إما  
 لاقتناع المسلمين وإلزامهم بها او التاكثير من الأدلة بضم ضعيفها الى قوتها ليقوى بها مع  
 استعمال مبدأ الاستنتاج والتقدم فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين  
 فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت  
 من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجهاد من الحقائق بعد ان يستنبروا في  
 دياجير ظلماتها بمصاييح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين  
 حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من  
 وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ما التقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فإذا  
 أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الأسود عندنا عمدنا الى رواياتنا فيه وحكامها بحك  
 التقدم والعقل فإذا سمع رواية : ان الله استودع الحجر أبا قيس حين اغرق الله  
 الأرض زمن نوح عليه السلام وقل له اذا رأيت خليتي بني يثري فأخبر بهما فما انتهى  
 إبراهيم لمحل الحجر نادى ابو قيس إبراهيم فإذ فخر عنه فجعله في البيت . استخرج  
 منها بعد ان يزيل قشورها واولهاها حميتة هذا الحجر وهو ان اصله قطعة اخضر ابراهيم  
 نبيه السلام من احجار جبل ابي قيس السوداء الحميرية من الكعبة عرضها في أحد

اركان الكعبة علامة على الركن الذي يتبدأ منه بالطواف يعرف الطائف كم مرة طاف  
باليتم وليتدنى الناس بالطواف من قعدة واحدة حفظا للنظام ونسيلا للطائفتين (١)  
وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عندهم  
من الاشعار والحكايات القديمة كاليادة ( هو مير ) فاذا كان هذا ما يفعله العلماء  
في الاساطير فهل يستنكر مني أن استشهد لهم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم  
وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من  
ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان  
صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فانها تكاد لا تقادر شيئا ( إني والله لفي حيرة  
من أمرهم !! ) على ان كثيرا مما أذكره في مقالتي مروى عن كثير من الصحابة  
بالاسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول  
بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لأرواء غلظهم وإشباع  
نهمتهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتنقيب . ولو رفض المسلمون الآن  
ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفما

(١) حاشية للكاتب — قبيل الحجر الأسود هو كتليل آثار رجال التاريخ  
العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وجبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أودواة  
شكبير وقطعه ان وجدت ولكل أمه آثار موروثه عن رجالهم العظام ويقبلونها  
وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناء الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الأمة العربية  
فلما قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون  
في ذلك إلى اليوم وإن لم يزل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في  
القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع فقد خرج  
عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الأفرنج يسمون قبيلا لهذا الحجر  
عبادة — مع أن القليل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجدتهم لصورهم  
وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه  
الاشياء مع أنه شتان ما بين السجود والقيل فانظر وتعجب !!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التمييز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟  
فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيلك  
إمامنا وقدوتنا ولا تخزننا يوم يعشون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

## المامة

### ﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾<sup>\*</sup>

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الأمر الأول من الأمور التي تؤخذ على المؤلف وهو  
« تودده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . وتشبثه بتحقيق  
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذهنه  
قطر » ومثلنا للشق الأول من هذا الأمر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل  
الثاني ونأتي على بقية الأمور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن التوراة وعن  
كلام مير الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا  
عرباً وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوا ثم رفض  
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر  
الأول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحداً  
على تقضا واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الأول ان اليونان  
حينما ذكروهم سموهم عربا ( ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بثرية  
في الشمال وسعيدة في الجنوب ) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلا

( \* تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الأسكندري

يتضاء لان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين  
 ينمسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لانه . ونحن نفي أولا هذين  
 الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية  
 اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البتريه هي تسمية جغرافية  
 كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي  
 الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبيجة  
 لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اتيفونوس وابنه  
 ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك  
 ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر صومط عن يوسفوس ( جزء ثالث . مجلد ٣٣٣  
 مقتطف ) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافهم  
 حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان  
 الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاة  
 وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد  
 من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند  
 انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على  
 ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا  
 عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف  
 واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يعم عليه دليل وما كان  
 أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن  
 الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير  
 العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء



العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية - بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتم من الادوميين وضر بهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احرافا لليهودا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارستو بولوس بن يوحنا هرقاتوس بن سيمان أخي يوناتان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحميقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاءه ويجعل جبال عيصو خرابا وميراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يفنيهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وثقاة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما برى في لغتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المصرية من الالفاظ العبرية

على ان المؤلف لما أحسن تضعف دليله عن تبريره تلك الحجة التي هاجها في

أكثر من خمس صفحات من كتابه مع تيقنه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا  
زعم بلا دليل ان لغة تخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجح وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة  
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتقاء»  
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد  
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا  
تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعراها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي  
لا تنتهي قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل  
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس  
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه  
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون  
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم  
يبدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنوا لنبطي تشهد بذلك  
فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الخنازير وكرات وطلب وعبادا  
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول  
اليمين ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل ( معين ) وقهى على أثر  
ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا بتندي: أخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد  
لمشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسامري « ان زام سين حمل  
على مغان وقهر ملكها معنيوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم  
في «معنيوم» للتوين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار ( معينا )  
وكذلك نقل عن سفر الاخبار « أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين  
بجوار بعل وعلى المومنين » أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث  
حدثت في برية الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى  
ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أميين لقدحق لنا ان نقول  
على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا أنهم من جالية الآراميين أتوا من العراق  
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الأمر بأن المصينيين لو كانوا  
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من  
الفينيقي فلم يرحلوا لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط  
الفينيقي لسهولة هذا الأخير في نظره !! ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من  
وصفهم في موضع آخر أنهم كانوا معاصرين للسبثيين الذين لم يتبدىء دولتهم على  
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة ( ١١٦ ) ان هذه  
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم يتثبت في موضع آخر بأن  
القحطانيين السبثيين كانوا يمد المصينيين أو أنهم ورثتهم أو أنهم حبشان أو أنهم  
عماقة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة  
وأوتباك يهون عليه مهما نبذ كل هذه التخريعات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت  
قبائل متجاورة في محاليف متقاربة أعظها مأرب

الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

#### عدة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن فيها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة  
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لا برهة  
الجيشي وفيه يسي ولاته من حمير واقبالهم يزيد وكشة ومرة وثمامة وحنشا ومرند  
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر  
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال حجبا مدينة الفاخر  
وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الاصفر مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر  
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين جيشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان الميين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكومته وقسموا اليمن الى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وانشؤا الدولة الميمنية والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في ان الميين لم تعرفهم العرب مع انه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل ان «محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقبلتان فمعين بين مدينة نشان وبين درب شراقة» وروى ان مالك بن حريم الدلاي يقول فيها

ويحى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا

وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أحل يجابر جندي عطيفا معين الملك من بين البينا

وملكنا براقش دون أعلى وانهم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحزرة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته ادوار تاريخ العرب وكتسميته الامم التي سماها استرابون اليوناني جرهدين بالقريين نسبة الى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون «انهم أغنى أهل الارض ويكثرون من آنية الذهب والفضة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة» فتي كان أهل اليمامة أغنى أهل الارض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟ ليس كلام استرابون أشبه بانحرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي ييكت حضرة جرجي افندي زيدان جهلة مؤرخينا على ذكرهم (المناج ١٠م ١١) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)

٧٨٦ ذهاب مواف تاريخ العرب وراء الظنون ( المنارج ١٠م ١١ )

لها! ولكنه لا يكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه ( جرها ) باللفظ ( قرية ) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسومها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف اوتياب القارئ في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقيا في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهير يدوت مع انها لم يدخل بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة ( ١٣٨ ) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« وذكرا استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريبي في بابها فعد ان أورد اشترك كل عائلة بالاموال والتماع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب واللبل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ماتهم واحتالت على منعهم بعصي اصطنعها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعها على مثلها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فبديل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم باب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها سوء فشكاها إلى أبيها ولما اطع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اد

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتد بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدبجه ويجميل فيه ويحيل القارئ على الكتب الأخرى !!

الامر الخامس سوء التصير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادو العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم هم ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتى انه لا يرى المطلاع على كتابه خيرا مبرهنا على صحته بدليل متنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريبه الاعلام تخريبا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكامل لله وحده

## أَنَّ عَمَلِي بِرَبِّي

### ترجمة الخنساء (\*)

هي السيدة تُمَاضِر الصحاوية الشهبرة الجليلية بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من سرة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواغر العرب المشهود لمن بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالطيبة لان الخنفس من صفات الطباء وهو تأخر

( \* ) خلاصة درس اتقاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي

الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتقاع في الارنية ، ويقال لها خناس على سبيل التلميح ، وقد كانت من أجمل نساء العرب وأفصحهن ، نشأت عزيزة حرة لافقات عشيرتها عليها بأمر مربها دريد بن الصيحة فارس هوازن وسيد بني جشم وهي تنها بعيرا لها فأنخلع ليه على كبر سنه وانصرف الى رحله وهو يقول :

حيوا نُمَا فَمَرَّ وَا رَبَعُوا صَحْبِي      وَقَفُوا فَاثَ وَقُوفِكُمْ حَسْبِي  
أَخْنَسَ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ      وَأَصَابَهُ تَبَلٌ مِنْ الْمَبِ  
مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِهِ      كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتَى جَرَبِ  
مَبْدَلًا تَبَدُّوْا مَحَاسِنَهُ      يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ (١)  
مَتَحَسِّرًا نَضَخَ الْهِنَاءَ بِهِ      نَضَخَ الْعَيْرَ بِرِيطَةِ الْعَصَبِ (٢)  
فَسَلِّمِ عَنِّي خَنَاسَ إِذَا      غَضَّ الْجَمْعُ هُنَاكَ مَا خَطْبِي

ثم غدا إلى أبيها فخطبها إليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية ان يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أأترك أولاد عمي كعمالي الرياح وأنزوج شيخنا من بني جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها أتكرهني هبلى على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر

معاذ الله يرضعني جبركي      قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)

فهبها دريد قبيل لها الاتجيينه ؛ فقالت والله لا أجمع عليه أن أردده واهجوه

ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحرمتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتيم والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الاول سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثرت من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما واكثرت المراثي ، وأجود مرأثها ما خلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام المخلوقين ، كقولها في معاوية :

(١) الهناء : القطران ؛ والنقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير

(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاة

أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف

القبور (٤) الجبركي : القصير الرجلين الطويل النظر . والشبر : الخبر والعطا .

سأهمل نفسي على حالة  
تهين النفوس وهون النفوس  
فان تك مرة أودت به  
فيوما تراه على هيكل  
ويوما تراه على لذة  
فخر الشوامخ من قدسه  
وكقولها في صخر

ألا يا صخر ان أبكيت عيني  
دفعت بك الخطوب وأنت حي  
إذا قبح البكاء على قليل  
وقولها فيه

أعني جودا ولا نجمدا  
ألا تبكيان الجري الجميل  
طويل النجاد رفيع العما  
إذا القوم مدوا بأيديهم  
فقال الذي فوق أيديهم  
يحملة القوم ما عالهم  
وان ذكر المجد الفيته

وقولها:

يا أم عمرو ألا تبكين معولة  
فابكي ولا تسمي نوحا (١) مسلبة  
فقد فجعت بيموث تقينته  
فمن لنا ان رزئناه وفارقنا  
قد كان سيدنا الداعي عشيرته  
على أخيك وقد أعلى به الناعي  
على أخيك رفيع الهم والباع  
جم الخارج ضرار ونفاع  
بسيد من وراء القوم دفاع  
لا تبعدن فنعم السيد الداعي

(١) النوح جمع نائحة على غير قياس



ورأيتها المشهورة التي تقول فيها

كان لم يكونوا حتى يتقى  
هم معوا جارهم والنسا  
بييض الصفاح وسمر الرماح  
وخيل تكدس بالدارعين  
جززنا نواصي فرسانها  
فن ظن ممن يلاقي الحروب  
نعف ونعرف حق القرى  
ونلبس في الحرب نسج الحديد

ورأيتها السائرة مسير الامثال

اغر البلج تأتم الهداة به  
جلد جميل الحيا كامل ورع  
حال الوية هباط أودية  
لا يمنع القوم ان سالوه خلعت

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقخرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها  
ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على  
كرسي فينشدونه ، فيفضل من يرى تفضيحه ، فأشادته الخنساء فأعجب بشعرها وقال  
لولا أن أبا بصير انشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فأعظام حسان بن ثابت  
(رض ) من تفضيل الأعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن  
أيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأني عنك واسم

ثم قال للخنساء الشديبه فأشادته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا غلام

قال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول  
 لنا الجففات الفر يلعبن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما  
 ولدنا بني العتقاء وابني محرقي فأكرم بنا خلا واكرم بنا ابنا  
 قتلت الخنساء ضمت افتخارك وانزوته في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت  
 لنا الجففات والجففات مادون المشرق قتلت المدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،  
 وقلت الفر والفررة البياض في الجبهة، ولو قلت البياض لكانا أكثر، وقلت يلعبن  
 والمع شي يأتي بعد الشيء، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الاشرار أكثر  
 من اللعان، وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف  
 بالليل أكثر طروقا، وقلت أسيفنا والأسيف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان  
 أكثر، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يسبن لكان أكثر لانصباب  
 الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك!!  
 فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من أشعر  
 الناس؟ فقال انالوا الخنساء، قيل بم فضلتك؟ قال بقولها

ان الزمان وما يقضى له عجب ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس  
 ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس  
 وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له او كذلك  
 الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

#### الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تناصر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابية  
 قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، بيد  
 انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسلبها (١) على ايها واخويها، وقد بلغ من  
 وجدها على صخر انها عبيت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل  
 بها بنو عمها عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نبيتها، فدخل عليها فوجدها على ما وصفت  
 من تهرج ما قيها، فقال لها ما افرح ما في عينيك يا خنساء، قالت بكائي على السادات  
 (١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والسلب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى متى ؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،  
وانه لو خلد احد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكبن هلكوا  
في الجاهلية وهم اعضاء اللهب وحشو جهنم ، فقالت ذلك أطول بمويلي عليهم ، ثم  
استشدها فأثدته ارنجالا :

متى جدنا اكناف غمرة (١) دونه من الغيث ديمات الربيع ووابه  
وكنت اعير الدمع قبلك من بكى فانت على من مات بعدك شاغله  
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجزكم فكل امرئ يبكي شجوه  
وقد رأها مرة تطوف بالبيت محلوقة ببكي وتلطم خدها وقد عقت نمل صخر  
في خاوها فوعظها وقال انه لا يحصل لك لعن وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت  
عن ذلك وقالت

هرقتي من دموعك واستنفيقي وصبرا ان اطقت ولن تطبقي  
بناقة قات الصبر خبير من النملين والرأس الخليقي  
ولما لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد  
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انك حتى أفارق مهجتي ويشق رمي  
يذكرني طلوع الشمس صخرًا واذ كره بكل منيب شمس  
فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم قتلت نفسي  
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي  
قد ودعت يوم فراق صخر ابي حسات لذاتي وأسي  
فقالت عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة ، فقالت نعم ان لشعاري  
صبا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فاتفق فيها ماله  
حتى بقينا على غير شي ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرًا ، فأتيته  
وشكوت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي قمار به فقبر  
حتى لم يبق لنا شي ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فساد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلقه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فمذلته ، ثم قالت ان زوجي  
مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلحتها فأعطيها أخس مالك فأعما  
هو متلف ، والخيار فيه والشرار سبان ، فأنشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها  
ولو هلكت قددت خيارها وأنخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله  
لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة  
وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى  
رضوان الله وابتغاء ثوابه ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنينا الأربعة يوم  
القادمة سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت  
مع بنينا الأربعة وحضرت الواقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني  
انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل  
واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أبائكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت  
حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل  
في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله  
عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ) الآية فإذا أصبحتم غدا ان شاء  
الله سالمين فاعدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وباللغة على أعدائه مستنصرين ،  
فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجلت نارها على  
أرواقها ، فقسموا وطيسها ، وجالدوا رثيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمغمم  
والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين  
فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم  
في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري وأنشاميون انصدريه

(المنارج ١٠) (١٠٠) (المجلد الحادي عشر)

أولادها الأربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

## بَابُ الْحَبِيبِ الْأَبِي

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

( أقوال الصحف فيها )

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الأسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر أنحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والأستانة وكلها تبدي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتنهى صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدت نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخرين

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبت بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الأستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعضا فجرحه في رأسه ثم ابتدروه باطلاق الرصاص فخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الأستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

وصل الأستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبلين يربو على الخمسة أشخاص ، أرسلت شعبة جمعية الأتحاد والترقي العثماني عربية

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البندة بكل احتفاء تحفه الامل والاحباب  
إلى ان اقترب الجميع من سوق المطارين قصدي كامل المقدم الذي كان ضرب  
صالح وأدم رضا سابقاً ووقف امام الاستاذ وابتدعه بضربة على رأسه بصاعلم  
تصبه تاماً فأراد أن يضربه ثانية فثاقها الشيخ محمد الراهي يده وتمسك بالمصاحي  
أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر سديسين وأخطر كل من يقترب منه  
بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق  
عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ

محمد الراهي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكدر عمومي من جراء ذلك، الاستاذ  
لم يبد عليه أثر كدر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه  
إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى  
أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوطة »

فهنيئاً صديقنا الاستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التعري على  
المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تكليلاً وارهاباً لغيره (الأمجاد الضماني)

\*\*\*

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب  
مجلة المنار وافى الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المنة لتزوله  
هجم عليه أحد الاهالي وضربه بصاع على رأسه ونحاً عن شدة ازدحام الناس الملاحين  
حواله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق وكأنه لم يأت  
شيئاً مذكورا

قول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل  
الفظيع إلا مغرئ مدفوعاً بيد أعلى فغسى أولياء الامور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة  
لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدها على الاقل (لسان الحال)

\*\*\*

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه بأصابتهم من اضطهاد المتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقعت وقتئذ في وجه الظالمين وقفة طويلة . ولا أعلن الدستور سافر السيد رشيد إلى طرابلس فمر ببيروت حيث قبول مقابلة شائقة جدية به وبعد الإقامة في بيروت أياها سافر إلى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي . فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس وأعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون . وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص المهين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى وإطلاق البارود إلى منزل فضيلة مضيفه الأستاذ الشيخ محمد الراهي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه . وحدث في أثناء الطريق أن شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعضا وضرب به بها فأصابته شظير رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ بإطلاق النار على الجمهور وفر هاربا وكان هذا العمل مدعاة للمغامرة بالسيد رشيد ووردت عليه تهنئات التهنئة من والي بيروت وجمعية الأتحاد والترقي والوجهاء والأعيان والعلماء . وزاوه القومندان وأعرب عن أسفه وظهر أن الشقي مدفوع بأيدي أناس من الحساد ثم زاد القومندان والضباط وأعضاء نادي جمعية الأتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه أن يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له أحسن وقع

وقد أهتم والي بيروت بالأعداء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكيلاً لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن إذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا أن يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم ( الأهرام )

\*\*\*

اعضاء ذمهم — ورد كتاب من طرابلس ينبيء بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار بينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدمه وضربه بهصاع على رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تقي المصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الأتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلايك تستشيرها في إعلان الأحكام العرفية في طرابلس بعد حادثة السجن وهذا الحادث الموجب للأسف . أما الجنائي فاهمة مبدولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن ( الجريدة )

اتانا من غير مكاتبنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الأتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربية خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصب أحد بسوء والحمد لله . وظل حضرة الأستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من أنحاء سورية تهنته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ماجرى الى دوتة والي يبرت وجمعية الأتحاد والترقي فيها فأرسل دوتة الوالي وكيلاً لتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعدما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دوتة بالقبض على الجنائي الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمنون منزل الشيخ الرافعي تهنته ضيفه الكريم بالقدم والسلامة ( المقطم )

\*\*\*

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد



سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الاحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والاحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم ( وفي رواية الاحوال انه عبد القادر مؤذن ) وابتدره بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور الترية فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم ينزل هناك وقد اتفقت الاحوال والاتحاد العثماني على تواني من بيدهم أمر الضبط في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناك وسرور في زيارته لوطنه

( المؤيد )

## الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أ كثر العبر في أعمال البشر وما أقل المتعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيته عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خياطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأثيره حكومة بعد تقريره في دار ندمتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من اشباه هذا وانفاثره كثير جدا ولكن قل من يتدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمانها واخفائها ، بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع اقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا اذا كانت النهب والاحتلاس في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا ، والحق الذي لا مرء فيه ان الانسان مها استكنه أحوال البشر  
قائه لا يحيط علي الإبحر يسير من كل كبر ، وعليه فلا تريب علي من قال وهو  
يظن نفسه مصيبا ، بل علي من فعل وهو يوقن انه مخطئ ،

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي انها ألحقت مقاطعتي بوسنه  
وهرسك بملكيتها وانها صارتا بهذا الالحاق جزءا منها ، قلب هذا الحادث  
كيان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما يراد  
بها فصرنها عن القيام بالأصلاح الداخلي ، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها  
قبيل ذلك يومين ، فكان هذا وما سبقه صادقا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه  
أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجيء في عالم السياسة حربا ضروسا  
تشتعل جذوتها في ( ترنوفو ) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان ، وتنبأ فريق  
بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض غمراتها ، فيمكن إذ ذاك  
من جناتها وكتاتها ، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على ان هذا الفكر والذهاب  
اليه ليس من باب الحدس والتخمين ، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة  
الإمارة الزفة لحلم الأمر وجف القلم ، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار  
الفلج والخلدان

عظم على الصنانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدورهم آخرون ، على أنه لا محل  
للغربة فان بلغاريا تحفز لهذا الأمر منذ أمديد ، وإنما دعاها الى التسرع ما توقعه  
من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عاينها نصف عقد من الأعوام  
وهي دستورية حرة ، فانها إذ ذاك تخشى أن تعبت بحقوقها ونسبها بسيادتها فأسرعت  
الى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت  
ورضى ، لانها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب  
اقل ما يخشى فيها من الخسائر ان تقلب الحال الى ما كانت عليه ، لا قدر الله ، وفي  
ذلك البلاء الجم والمصائب العم

إن استقلال بلغاريا يتألم له الصناني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولا من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما ننال شيئا من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال الا أن صنع النمسا لهورشر صنم يقع أو يتصور ، وشر منه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكده هذه الدولة التهمة نعلن الخاق هاتين المقاطعتين بملكتهما حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبأونها يعلنون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيهم بالفعل وأن يؤذوها هم بالقول فصنعوا على الاعراض عن مشتري سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سيما إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الأمة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تغادر الاستانة كما تغادر بيروت وياقا واللاذقية وغيرها من دون أن تأخذ شيئا أو تعطي شيئا حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك قطعوا يمزقون مالدتهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكا لهم !! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجروح هذا الاعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معاملة النمسا ومصانمها حدا بالأكثريين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الالحاق ، الذي يخشي ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (٩) إلا أن أوعزت الى متصددها في الاستانة بأن يمتحج على حكومتها !! طالبا منها حمل رعبها على نبد المقاطعة !! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم انه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الخاق بوسنه وهرسلت بملكتهما وسلبا من الدولة العلية جبارا وتحظر على الأمة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعبها على مشتري سلمه دون أخرى قسرا فكيف يكون ذلك ميسورا للحكومة دستورية ؟ !! ان في هذا المواطن للعب وموضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!

حسين وصفي رضا

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

# المعراج

١٣١٥

فيشرح جادى الدين يستعمل القول فينبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر الخميس ٣٠ ذى القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر ( كانون الاول ) سنة ١٩٠٨

## الإسلام والمدنية الحديثة (\*)

هل يتفقان ؟

اني اخترت موضوع البحث في الإسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسيين : الاول ان المسألة الإسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الإسلامية الأخرى اذ كان بين الإسلام والنصرانية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب . والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليونا من المسلمين ولكن الانكليز لا يخلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الإسلام مدنية لا يخلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والأوروبيون لا يقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع النصر الوطني في مستعمراتنا الأفريقية على ان المسألة الإسلامية يجب أن تقدم على غيرها من المسائل الأخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم لا يكون الاستعمار موطن الأركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة نجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الإسلامي الذي يربط الأمم المختلفة الأجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلسي وخليج قابس

(\*) خطبة لموسبورنيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فأرنا تلخيصها لقراء المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

(المراجع ١٩١٩) الافرنج فتنونهم بالشرقيين والاسلام. الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر اكبر منه شأنه وأعم فائدة وهو أن فتنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذكرياتي كنت أسمع وانا يافع ان الامم الآسيوية لا تقوم لها قائمة وانها ستبقى رازحة تحت اعباء الأنحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين معا بها على ما فيها من التناقض اذ حينما تترجم حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لا نزاع فيها ان الصين امة جامدة وان اليابان امة ليس لها الا مدينة سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم ففسها وان الذين هم في سن موافقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والتهضاء والتقدير وولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسبها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكاما عليها بالموت والجمود يقظة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستورا وهاهي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعه وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطرأ تغيير على برنامج دوامتهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجدبداً من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شينا بنهمة التحول التي الصقوها باليابان وما لبثت أن اوضحت وظهر بطلانها ١١

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا يقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انها نشأ بقوة الذاتية وبالهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم المتدين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومتر!! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه؟

وان فرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا ان نعالج هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدة خلافا لما جيلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم؟ ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فمن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية ونقودها معنا في طريق المدنية وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبضون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن يثقلها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصالح لاقتناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها ( الاولى ) اني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام اسنا بصحة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها ( والثانية ) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يجيدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشراح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلو عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ما قرره الامبراطور بيزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

وتقدم كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتبع الديانات الأخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والمهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطورة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضمض ملكهم واتقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيما الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » !!

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكونة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الأولية فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهام الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب



فلم يكده يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف ومثلت جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد احتاض عن تعدد درجات الادارة بسطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة مما وبالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حاله الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة استياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يطنون أنهم أهل التسامح مع مخالفيهم في الدين لا يطلبون منهم الا ضريبة يستعينون بها على اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تسيط دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرههم عليه لان اسلامهم يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تتصوروا كيف تضمت يانيع الحياة في الدولة البيزنطية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتعسف مع انها لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الآسيوية اعتبرت ظهور الاسلام ايدينا بنجاحهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الأساتذة يقررون سرعة انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

( المراجع ١١ م ١١ ) الأسلام . ارشاده الى البحث . نبوغ العلماء من اهل ٨٢٣

حرية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها ! مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الاقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

وإذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .

أنى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إلي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منهم من إدراك الأشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون ، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — ولقرط تقديرهم للحياة الدنيا نبع فيهم الشعراء الجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بانه أرضي فذلك لأنه قريب من العقول يفنديها وينعمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تحبط الغرب المسيحي في تماثله وأوهامه وانزوائه !!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يتبادر الى ذهن الباحث التزيه وهو ان الأسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان اقتراق هاتين الروحين كان وبالاً عليهما ما

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلاً عن كل عامل اجنبي عنه للوقوف على قيمته واكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفاً عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقبيتهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبدالرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء فأحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاعنياء ولا تولّ أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنودك بالشدّة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لا عوناً للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظلّ الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بموتك ، لانهم مورد حياتنا واحرص على محبة الرعية لك واملقهم بك . . . الخ

اني أود أيها السادة أن أسمع مثلاً هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهووني بعمل مقارنة تشوّه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه المدينة التي أتت بالدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الأندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم إلا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب " وإذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين البيزنطية والرومانية

ولكن ثمة أمراً يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن ( موضوع التوفيق بين المسلمين ) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الايض وفي الأندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتألفها

ابتداءً هذا التعارف في الأندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتكم أن ما يرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفبا ( كورنيل ) بطلاً مقدماً أعده قومه لمجاهدة الكفار ( يريد المسلمين ) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمرء الاسلام في الأندلس يعلم ان الأمرء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيراً ما كانوا يفتدون الى قصور الخلفاء و يقيمون بها حتى يتم شفاؤهم فترون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الأندلس التسامح مع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذي

## ٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا ( المارچ ١١م ١١ )

اضطحت فيه دولتهم وأخذاء المسيحيين يتقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيده في دور اضطحالمهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الامراء من بأسروهم في ساحة الحرب بانفاسهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إزباً إزباً

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارها مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفى كم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى فقت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آفهم وعدوهم اللدود !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن ننبينا وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما تشتره ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثر الى قهر أوربا واعوازاها من الحاصلات التي تبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أوربا لبثت ثلاث

مئة سنة تقتبسها من الاسلام وكانت المدنية الغربية تبجي ثمارها اليانعة

ولكن حادثين عظيمين أوقفنا سير ذلك التيار الكهر باني الذي كان يحيط

بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣

واستيلاء الاسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الأحقاد الدينية حتى انك ترى آثار التمصب

الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالتقطعة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة

ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الأمير يوسف جماعة القسيسين . وفي

رأبي ان تمصبا الاسبانيين كان أفضح وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد

لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يقتخر به الاسبانيون والذي يحسبونه بجمل

عصر فرديناند ويزابلا لم يكن في الحقيقة الاعمال وحشياً بربرياً لم أعهد في التاريخ

أقبح منه ، خصوصاً وان امارة غرناطة لم تكن لتهدد أسبانيا في شيء لاسيلاًها على

ما حوالها من الاراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها - ولا

بد ان يكون الا كليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يحق هذا الجمال ويزيل

المدنية البديعة خدعة للمسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم

أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها قتلذوا بمنظرها وظنوا أنهم بسلهم هذا

قد قضاوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية

كافة ولما لم يجابوا الى طلبهم جمعهم زمرا زمرا وحبسهم في غرف واسعة ورشومهم

بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ا - - ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المنتصرين

لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آتٍ لآخر . ومن ذلك

ما وصل الينا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اللغة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الامر الاخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرماً لا يغفر !!!

وقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحيطة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقداً منه على المسلمين ومطابوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين !!! . في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المجهرون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدين بربرياً نعم لما انفرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوروبا بتخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كاشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجرع ولكنها تثمر ثماراً غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوروبا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوروبا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن أذكركم بفظائع دخول الاسبانيين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الأمم الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوروبا وانتشار نفوذها إنما كان باسترقاق السود وتمذيبهم ولرأيتم ان غرضها إنما كان جمع المال لا تخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقترافه عنها — ولقد بلغ من غلوها في الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحياء أنه لا يستقيم لها بلداً الا اذا استأصلت أعلاه وأهلكتهم وهكذا فعلت انكثرا في أمريكا

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين ايديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفقهوا مدنية أجنبية عن مدينتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالهم في خطتهم الاولى وشرعوا بتلمسوت خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لا يقاومكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهين الدينية والفلسفية لانا اذا قصرنا إبحاثنا على ذلك انسدادا أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الاشياء فنجدير بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لتعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الأمة بالسقوط الابدي و باستحالة يقظتها وارتقائها لان الأمة التي أمكنها أن تهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا تقول عنه في المسيحية ؟



ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجب عن هذا السؤال متبعا للطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان يتحلله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بعيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحدو بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الا ولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثاروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرون على الخلاص منها مكفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ما توحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدنية الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدنية تكفيها نعمة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة: اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اخص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحلها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالمهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة ونشبت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابته في فروعها كافة

وإذا أردتم ان تهفوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكس لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة تعيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكس السابق قضى حياته في الحروب الداخلية فضاهاها على ظهر جواده منتقلا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تنبها لأمحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الأرواح بل يكفينا ان تتبع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بحمايتها وتحقق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من المنظمات التي أنبتتها مدينتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فيقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عمره بل في

٨٣٢ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية ( المارح ١١١١ )

العصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان يتبع فيما اتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الأكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من الدينين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاوية زاهرة في العصور الوسطى وانها أمدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كها في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟

ان السبب الذي أراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا نتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكنا أن نخرج من حالنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

تقد شاهدت بنفسى أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآنتست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكان محادثي مع علماء تونس وترغبي لإياهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المتقاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النيرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الأعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

ولقد سبقني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفت يسرد الادلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فإنه وإن كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل المدن الغربي سهلاً فإن هناك فريقاً كبيراً يطعن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لأن كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثرت أعضاء هذه الجمعية وصار طلبه مسجد الزيتونة بعد أن تلقنوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يقدون إلى دار هذه الجمعية فيستشيرون بما يلقي فيها من العلوم الحديثة وإن هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

بقيت مسألة جديدة بان نبحث فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني مبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع الققط التي تناولها بجثي اليوم

ان هناك أمراً يجب أن تقف على حقيقته وهو هل تقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكملت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تقلب علينا وتتجه ضدنا وتم على ما لا نرضاه ولا يتفق مع صالحنا البتة

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين  
ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في  
نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حي فيها الاسلام حياة جديدة  
على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى أن  
لا ننظر بين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهوان هذه الحياة الجديدة التي  
ابتدأ يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي  
والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض أن المسلمين يسبرون في طريق المدينة الغربية  
سيرا حثيثا فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تقف المدينة الاسلامية في  
جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي أساس كل  
مدينة ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة  
لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في احوال  
الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود  
دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتداء الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك  
الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مها انسحت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما  
استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من  
دائرة العلوم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة  
مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين  
الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سعد حظه بان امتد ظله  
على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديم لم تلبد بالقيوم كما تلبدت سماء  
بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلالتا في تلك البلاد المتناثية الاطراف ولم  
تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

( الماروج ١١ م ١١ ) الاسلام . اقبال اهله على العلم . مبادئ حكوماته ٨٣٥

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم الادة وعالم ما وراء الادة قد تبينه المسلمون فجعلهم يقابون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن اتخذ من التونسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطة التي نوحيا اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الاتراك وكيف وفقوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الاسلامية قابلة لبدا الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطب مبادئ حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الاسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل باشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقائها . انذكرون أيها السادة ما قاله الاقدمون في المسيحية؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الأديان فلو ان الاسلام اتخذ شكلا من اشكال الحكومات وظل باقيا عليه لا يبدل فيه ولا يغيره ليات موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها ماسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدرية وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسما غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

## الخطبة الثانية (١)

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردّما ، فرب فكر فيه أريد ان ألقه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، ووجال في مجامعكم ، فيقف الفكر ، ويتلثم اللسان ، وليكنني لم أحضر تلك المجمع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يجاو ، ورب إعادة ، فيها اقادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا يديره رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أندرون ما هي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون ها كل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الوالد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره !!!

(\*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطابا نثبت هنا ما تذكر من مسائله ولعله معظم كليتها ولا نزيد شيئا الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحتمونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، و يكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ، ؟

كلا إن ذلك أمر غير مقبول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تنفضه ، والتاريخ ينفذه ، فقد قرأنا في سير الغابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان اكثر الملوك والامراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الارض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بمجنون الامة أو سفها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ، أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواء ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والامراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتهم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسيتون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، وبالقوة القاهرة يمنونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ما تملك ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيتم ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تذفونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قراها ، فتزل العقاب الشديدين اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الاذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهربون فيها بالاوراق المضرة ،



لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يجرمون من التمتع بذلك السلطان المطلق ، والتنصرف بتلك القناطير المقتطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المنصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظللا ممدودا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بصيد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدا همس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وانتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لهم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافتون بينهم في تدبير الخيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة الطيبة ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الأساسي ، فها هو رأيكم في هؤلاء المجتمعيين ؟ ألا يقول أكثركم انهم مجانين ( مجانين مجانين ) بلى ولكن قد علمتم الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة الطيبة ، فما الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وأوف كثيرة من الأعوان والانصار ، القابضين على زمام الأحكام ، كانت ترتعد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ إليس هو الاجتماع للطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان أكثر العثمانيين ، لما نالت الأمة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوروبا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لأن المعبود في التاريخ أن هذه الغاية لا تنال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئاً ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الأمة وظهيرها ، فما عدا مما بدا ؟ أليس قد أخذ بعض ضباطه اهل العرفان والحجية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحريية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني  
لنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الأمة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الأمة حقيقة وصارت أهلاً للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الأمة العثمانية عسير جداً . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الاكراد، والاسنانة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن، وأنا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فإذا نقول فيما دونها، فكنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الأحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نثر في أكثر المدن على من تثق بقبوله لدعوتنا، ودخوله في جمعيتنا، دخل في الجمعية رجالان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف احدهما الآخر بذلك الا بعد إعلان الدستور، وناهيك بجماعة أهل بيروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء ( المرحوم محمد باشا المحمد ) فقسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضيعات لتفاجئهم الثروة فيموزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في إدارة ثروتهم ولا بالتعنى بما تستشرف له نفوسهم منها، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، وإذا كانت إدارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون إدارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يعجلن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنها الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الأحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لو قامت الأمة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبه ، وإنما قلت ما قلت آنفا لانه الافكار الى حقيقة  
حالتنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الأمة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فان فيها من الاحرار  
المرتقين في المعارف والاخلاق من جميع الشعوب من يرجى ان يقوم بهم هذا الحكم  
خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الأمة في  
كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل ، واصلاح حال الملك ، ومقاومة  
كيد المتفهرين ، أعوان المستبدين الظالمين ،

لا تظنوا ان الاحرار الكرام الذين ثلثنا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن  
هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها ان  
تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه الى أن يبلغ أشده ويستوي ،  
فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والاقضية في  
المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان ؛

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل ان تنفذ الشريعة والقوانين  
في دائرة الدستور ، ويحفظ الامن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد  
الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الأمة وتحبيب الحرية اليها بث الآراء والافكار  
النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المليية والتعليم العصري الذي  
يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الاسقام والادواء .  
فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الأمة كلها ان تساعدوا في سعيها فانه  
لا حياة لنا الا بالتربية المليية ونعلم الفنون العصرية . . .



## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ وركيا الفتاة ﴾

٣

#### تفتن المايين فربا كل الرشى ومنع الرتب والاوسمة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطه كير ماش اورمانه كوندر يورم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتمدنة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعدها كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ، تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعوا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجه الارادة السنية وتنتشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

(\*) تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القاري، ان لقبك توجيه جديد كلقب كونت أو مركز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التعيين التحري على موظف قادر على ايفاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقرين والملتبس لهم أو للذين يخشى بأسهم ١١١. فزاد عدد الاعضاء في شوري الدولة عن المئين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك مجلس المعارف ومجلس المفتش والمعاينة الضابط على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل بحرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد... كما غيرت اسماء الموظفين من عهد الخيدوسلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكتي وضع الموازنة ١١١. فكانت معاشات المسلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسمية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والمسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسي للجلوس عليه ١١١. وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

#### اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في حياة الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساوق الموظفون الى المزاودة بأعشار الاقضية والالوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزراع والفلاحين يشنون تحت اثقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقلما كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصروف (بنك) الزراعة وادارة

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع اراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الأموال الأميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الأرض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الأراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الأرض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبة مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نضرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المابين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية ( Budget ) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلفت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!  
مع ان دول أوروبا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة  
بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع اولاده وأسرتهم وجميع ضباط  
السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني  
الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول  
مكثه ، فصدمات آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البطار ، واختلست أموال  
كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر  
والمدرعات ، وصار الترفي في المراتب لا يبني على القدم والاضطلاح والاستحقاق ،  
بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة  
في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندي معنى حتى ولا احترام من فوقة في الرتبة ،  
وكان الضابط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للممارسة بأثمان بخسة ،  
حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة ( بدلة ) العسكري التي تشتريها  
الدولة بمئات من القروش بششرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان  
يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة  
من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماير فيعطيه  
هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماير مع المحاسبه جي ومن فوقة ويربحون  
الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر ( ايراد ومصرف ) كأنها جرت على القاعدة  
والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية  
البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في  
شوارعها وحاراتها !!

اشتهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوروبا وخدموا  
الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فأبعدتهم عن الاستانة  
وأشغلهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون  
الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين  
شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد



باشا الشير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا وأصبحت قيادة العساكر وادارة المدارس العسكرية بأيدي اناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل الا التجسس على أصحاب الافكار النيرة وابعادهم عن مركز الادارة، وكانوا يمدون ذلك خدمة لمنافع الساطنة والمحافظنة على الخلافة الاسلامية، فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات، فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويحققون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبندها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم، وما ذلك الا لظهار خدمهم واثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فاذا قالوا: «فلان له قصد سيء بالخليفة» أو «له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة» أو «عنده أوراق ضارة» كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله واباده، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكة والمس يحقوق الخلافة الاسلامية، على انهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة اسلامية وهي المبرعنا عند الافرنج بقولهم «بان اسلاميزم Panislamisme» كما توجد سياسة سلافية «بان سلافيزم Panslavisme» وسياسة جرمانية «بان جرمانيزم Pangermanisme» ولا نجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الاسلامية درسا تاريخيا علميا للوقوف على افكار المسلمين وهيتهم الاجتماعية، وعلى أحوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية، فقصدتهم من السياسة الاسلامية انما هو أكل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه ببني العباس لم يتأثر الحكومة أمرا جديا العمران البلاد واستخراج روثها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد، بل ما كنت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الأجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حية أرباب المهتم تذرعا بأنها تؤدي إلى الثورة والانتقال ؛ فحكم نظر الولاة والمتصرفون شزرا إلى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو إلى مدرسة سلطانية أسستها الجامعة أو إلى شركة صناعية أو مالية عقدها الأهالي، وسرعان ما كانت تستغل ويمحى أثرها، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية أو إلى مدارس أوروبا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح المرافئ التجارية وتطهير المستنقعات إلا اجابة لطلب الشركات الأوروبية وتوسط بعض التنفيذيين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به الفرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر بمحاصفيا له في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين إلى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم إلى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة تحتاج إلى اكرام و(شوقه خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مد سكة حديدية كبيرة على أخذ أر بسين ألف ليرة عثمانية، وأنه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهباً عيناً قال الراوي فجاؤا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرتجة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة مصفوفة متوازية ملزوزة، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي؟) يريد هل العدد تام فقبل له نعم ياسيدي تام، فأخرج الختم من كيبه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا !! ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المنظرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً، ويويل لعالم الخزانة ان لم يدفعوها — وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النقمة الضرورية ، وكان ضباط المساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتأميناتهم على قلوبهم - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقباً وعلوه حقدا »

#### سقوط هبة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الإدارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولاً مرجعية لافي سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وإنما أصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الأمس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الأشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الأجنبية فجزر أن على تهديدها حتى في المسائل الحقيرة كسألة تونسي دلوران دو التي أوجبت خروج الأسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ إذذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : ما هذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكناً في المذابح الأرمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الإصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الأمة وارسال الأسطول لحماية نفرين من المرابين اقترضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الأجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعية الأجنبية بالتابعية العثمانية

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الأسف والاستياء ويمتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الأمة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من نبات افكاره . فكان الاستبداد ضاغظاً على جميع افراد

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقر بين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لسعد النكاح أو الختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مرضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص واردة سنوية لحركاتهم الشخصية وافعالهم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العام) فقال: اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتهيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التزهر في ناحية من المدينة لا استطيع . أيتها عيش الانسان بغير الحرية ! ولهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

#### اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذبح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحيات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسلط التتار المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذبح باكو وفضائلها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، فقتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة أمام سراي يلديزفانه كلفهم خسائر جسيمة ، فمدت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفناء فعددت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان افندي الارمني الشهير وقدم اتفاقهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلامية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المتبذرة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحجبت المعلمين ونفت التلاميذ وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقضت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة وال عمران ، بل على الجواسيس والجرائد المويذة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولاسيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز ( Passes-port ) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقندان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراهبة وقندان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المديت السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهجرة والقحط أكلا العمل الذي بدى بالمذابح وانتج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

### نهضة جمعية الأتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الأتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وقارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيره من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الأصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الأتحاد والترقي العثمانية ضميعة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم ينتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخريف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك مماندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تداخلت الدول الاوربية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادولتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم - وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته ( Comité ) فسموا الداخل فيها ( كوميته جي ) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوزاعهم ، وكانوا يبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف - وكانت الحكومة المحلية تمابهم وتلاطفهم وتستبيح رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والاوناوط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استغلالا كلما أه حزننا كماننا ، الصب ، الحما ، الاسد ، الهاله ، فانه ، باللفظ

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقى في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضمير يراد به إلا الاذللان غير الحلي والروتد  
 ما لنا لا نفعل كالروم والبنغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟  
 ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابهم بان الاسلام يساعد ويحض على ذلك ،  
 ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الأتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،  
 عارفين بما ينتجه فهلهم من الفوائد المادية والمضوية ، فشكل هذه الجمعية مركز  
 في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ  
 عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون  
 لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة  
 يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ما أصاب كريدو ولاية الرومي الشرقية والبوسنة  
 والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على  
 التظاهر بذلك .

#### الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده  
 فاستثار فكره ، وجنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا  
 يعرف بحزب ( المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي ) ولسان حال الحزب  
 جريدة ( ترقى ) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك  
 كاتب الجمعية . فعدم المركزية ( Décentralisation ) يقسم إلى قسمين عدم مركزية  
 سياسية مثل مستعمرة كندا الأمريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو  
 عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية  
 فيها كما أشير اليه في المادة ( ١٠٨ ) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا  
 فشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان  
 ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبيت الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين تيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائما الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللاتفة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

#### نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعمرتدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الاذهان كدر من الامس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة و بغض وحقدا كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الانقراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهال كوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باو أمر يكاه وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فناوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة اعراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعمائم ، ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا نصب الانعام على فرد أو أسرة انهم كالفيت المتواصل وانصب



كله في ذرع ذاك الفرد أو الأسرة دون أن يفرض منه شي على المزارع المجاورة ، ولذا قال أحد الفضلاء :

أبى المؤمنين فذتك نفسي ونفس (أبي الضلال) لما فداء  
 نصيبه وهتلنا جميعاً لمرك ان ذا لمو البلاء  
 فلا والله ما هذا ببدل ولكن انت تفصل ماتناه

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل غلبوها ضبطاً بلا حكر ، وبلغوا امتيازات الامور النافعة للأجانب فاضروا الدولة بذلك اضراراً جمة وشرعت نفوسهم للعجب وتلعت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الانسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وابعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من افعال فهم باشا وهو منفي الى بروسه الذي أهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا الى هذه الحالات المتكررة المذكورة ، والى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد ان بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد ، نظماً منها أنها تخفى وربما خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تنفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن بقاء الخلال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوروبا والشرق الأوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطنا بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على شواطئنا ، ومشاهدتنا صور السينماتوغراف وساعات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوائط والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الامم وامتزاجها ، واصبحت المسافة بين الاستانة وباريس اقل من ستين ساعة بعد ان كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الأجنبية التي افتتحها الأوربيون والامم يكون في الشرق ونعم من الحكومة

المسلمين من دخولها والتصديق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي استهانت طوائف الروم والأرمن واليهود والبلغار ، فعملت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية ، واطلعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وادركوا محل الخلل ، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم متشبعون بفكر الحرية ومنتخفون بالأخلاق الأوربية والحاسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالامر ، ففضيتوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادات كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الأوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الأستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الأتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لأن الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين أودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لأن كلامهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذلك مدهشا دموريا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ٢٤ تموز

تسنى لجمعية الأتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمرها مدة ولكن رأتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء ، فاحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين ، فأرسلت الجواسيس من الأستانة ، فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائيين من اعضائها بالترعة أو بالتراضي

وكان القائم نام ناظم بك قومندان مركز سلانيك ينقل بمجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذلك الى الأستانة ليرضى ملاماته ، ورجع منها نائلا لثي قروش ضما على راتبه فراد اجتهاده وتجريره ، وطلب ثانياً الى الأستانة وبينا كان على

أهبة السفر اذ فوجيء بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلانيك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الياوريه وعدة من موظفي الملكيه، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بعضويه الجميه، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام ارکان حرب والبيكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من المساكر الوطنيه وذهبوا لتاحيه (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينه مناسر على مسافه ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البيكباشي صهر ناظم بك قومندان سلانيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافئه كبيره ولكنه اختار نفع وطنه على منفعه الذاتيه

ثم قتل في سلانيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مفتي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير، وهرب الجراح من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (مترويجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وقابورا من المساكر وحضر على القطار الى سلانيك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التلغراف لخابرة المايين، فخرج عليه أحد الضباط وقتله، وامتنع من معه من الضباط والمساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من مساكر الاناضول. ولما وصل منهم إلى سلانيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا، فأحس المايين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إتمام لهوة الجمعيه فأوقف ارسال بقية مساكر الاناضول الى سلانيك، ثم اجتمع في (فيرزوبك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلانيك

( المارج ١١ م ١١ ) اعلان الحرية بسلايك . خلاصة أسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات مخنومة بمختم الجمعية أي جمعية الأتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبيوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلايك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طَنَف (بلكون) فندق ( أولمبيوس بلاس ) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية ( الاسبانية ) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب شعر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المخصوصة ( فوق العادة ) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة » فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسيية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي » وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلمي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدور الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

( ١ ) المنار : هذا البيت من آيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالحرية

ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد واني

( المارج ١١ ) ( ١٠٨ ) ( المجلد الحادي عشر )

الملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم ، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية مالم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسمياها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع انقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الالهية ١١١١ حتى اتصرها فريق من الناس وقتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم ، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الانقلاب الفرنسي وحرهم من حقوق المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الانقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكر «\*) (المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة التي بعد التتكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانا ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضما وترتيا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع وغير المسلمين « لم مانا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(\*) المنار : يراد بكلمة (دره بكر) في التركية اصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الفاخر للروم وأقرتهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحساناً لا يجرى وغلبه فسيجري الاتفاق عليها بصورة حية برضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يتعرفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعرف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وقائده ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جاعفيرا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا يتقنونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لتم سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة ( Réaction ) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملمهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اه

## افتتاح مجلس المبعوثان

﴿ ثلاث خطب ارجالية في الاحتفال به ﴾

بطرابلس الشام ﴿٥﴾

غلامه الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهتلك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين وانني  
لاهنك بأمر عظيم ، أهتلك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول  
في في ، وأجبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار بصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم  
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .  
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي  
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .  
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المؤلفة من جميات بعضها أكبر  
من بعض أدناها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي  
متهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا  
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

( \* ) احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤  
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيئتي  
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام  
الهيئتين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الاب يهرب من ابنه والابن يفر من ابيه والاخ يفر من أخيه خوفا من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفا ومهددا في دار السلطنة !! منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة المحاضر ، وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين ينعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارتهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع تحقق لتكون الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فان ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثا كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين ممتزجا بعضهم بعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة ممتزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر اصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من التصرف الخ



## ٨٦٢ حكم الامة لنفسها . خطبة صاحب المنار بنادي الجامعة الشامية ( المارح ١١١١ )

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وانما كان هذا من الامة فهي التي انابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من اعلام الى أدنانهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح

المعموية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الامة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح

لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية

بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الامة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كعلاقة الدولة مع الدول الأجنبية وليس منه ما رأيناه من تجرؤ بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة للإلزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والامة .



### خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة الشامية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الامة ودوام الدستور : سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراده حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الالسنه متدققا عن القلوب ،

انني أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فاننا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، وليكتفي أدعو وأنا ممثلي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلاً بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملاما ، بل كان برداً وسلاماً

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسمي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم ألزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منقدا ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقيه اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصيرين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؛ انها هددت المبعوثين ذوي الجرأة وأنذرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليا للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابغين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

لابسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ماأصاب مدحت باشا واخوانه من نفي واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الامة ويموتان بموتهم . كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامة على نيل هذه الرغبة ولولاه لم نصل الى هذه النعمة ، من غير خطر على الدولة والامة ، ومن ورائهما احرارنا المنبشون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوروبا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأسا وثباتا في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولك القائد الالماني الشهير الذي نكل ذلك التكيل بالفرنسيس : اعطوني مئة الف جندي عثماني افتح بهم أوروبا كلها . ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا أعلى التربية وهم الذين كانت نظاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفا أن يقضوا على استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الامة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وقل منهم يفدي الدستور ومجلس الامة بروحه وينذل دونها آخر قطعة من دمه ؟ كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبما آتته جمعية الأتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامة لا يخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الأتقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان تقوم في وجهنا أوروبا فتنفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الأجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة ولله الحمد والمنة ، بل رأيت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة الطرية

أما المشاغب الداخلية التي يجرها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب التمهق كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي ، يثير حربه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يعجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يعجزهم التنكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويعجز المبعوثون عن القيام بما نيظ بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، وانني أصبح بأعلا صوتي ان هذا الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى تقبوا بكلمة «أوت أفندم» لخضوعهم لما يراد منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنوع الكثيرين من رجالها قد انتصرت على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أي عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم والدين ، وانني أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فاني أعرف كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح ، وقد يكون من المستعجل الزلل ، ومن تأني نال ماتمى ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تنجو من خطر أو ضرر فان خاب الامل ( لا سبحانه الله ) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب

## ٨٦٦ جمعية الاتحاد كفالها الدستور - خطبة صاحب المنار في ناديها (المنارج ١١م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسمى عند الانتخاب الثاني او تجتهد في جعل جميع الاعضاء أو اكثرهم من نابهي الأمة ونحمد الله ان في أمتنا من النابغين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ساسة الأوربيين ، ناهيك بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الأمة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإنما واثقون - مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه - بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ما تقتضيه مصلحة الأمة في حالها الحاضرة ، آمين

\*\*\*

### خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للأمة العثمانية أكبر عيد ، كانت أسباب سرورنا في الأشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ أعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالأوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحرارا لا يمتنع أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا - كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم معناها سلبية تفسر بلا لا لا في هذا اليوم بتبدى المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الأمة الذين أنابهم

عنها للقيام بما يميز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اننا ننهيء أنفسنا بأن الامة قد صارت مذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؛ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعززها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن تتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا تتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم مناعون ومساعد على ذلك ، وأن تتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كثرية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمهد لهم خطوط الحديد ، وان اتكالم الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار مذ اليوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فبينما هي تتمتع بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تبرا من كل عمل لها وتلذذ بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما لها للقيام بأعمال مخصوصة لا تستغني الهيئة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارتهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء ، فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الأمرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافية له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

## ٨٦٨ تربية الامة . كفالها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبهما (المناج ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي ثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصبح أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامسة ممتدة اليها ، وبراثنها ناشبة باطراف جسمها ، فعزموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الإصلاح في الأمم لا يأتي الا بالتدرج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الام الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحيي الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه همتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وولنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وبما ينذر بها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

( المارح ١١١١ ) وجوب اعتماد الامة على نفسها . قيامها بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشا » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوفها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فمقد السنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم نجهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحجيء بهدم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الامة فان النتائج والنماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار العصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدروهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلم أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد استقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأبي برهان أقيمه لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بكركه بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فطينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئنا المدارس والكتاتيب ، وان نعصدها بأهوانا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعزبها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي



٨٧٠ العراق خصبه في الماضي وموته الآن . الحرية . فوائدها ( المار ج ١١ م ١١ )

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وانمي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين ( دجلة والفرات ) التي قال هيرودس أبو التاريخ انها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف الى مئتي ضعف أي ان الشبل ( كالاردب ) من القمح كان ينفل لصاحبه مئتي شبل . أيجوز ان تبقى هذه الأرض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء ؟

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرا ولا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستقل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سقم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فمن لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ما قالوا فان المجال ذوسمة

الحرية تقابل الرق والعبودية . فعنى كوننا صرنا احرا اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والاعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الجبوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرا يتمتعون بمزايا البشرية . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمر ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

( \* ) ذكرت لهم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر يخطب أنني فسألته ان يبرها بضيفة خربة فقال لها اني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيفة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث تصير أرض الجزيرة مهرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الأسلاك الكهر بائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية المالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج النكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور المادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعداداً للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تظفي نور فطرتنا ونحجب على استعدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : ( هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ) وقال تعالى ( وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً )

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليقة ليخترع شيئاً ينفع الأمة اسراً له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على اظهار أثر علمي أو عملي برقي الأمة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشراً ، لا غنماً ولا بقراً ، فالانتفاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترقى بها الأمة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا بتباعد الشهوات ، واتيان الفواحش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبو الانسانية ينشدون الحرية ، ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الغرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالقبي والفقير ، والصلوك والأمير ، والعالم والجاهل ، والنيب والحامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذان العملا من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتم من كان مستهددا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يمدفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعمير التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

## باب التربية والتعليم

### ﴿ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد اجيب :

- ١ - تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله و بيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية
- ٢ - تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين
- ٣ - تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيد
- ٤ - تدريس أصول الفقه و بيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وتفرعاته وتدریس الفروق في القواعد والاصول بين المذاهب الأربعة
- ٥ - تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الادلة الشرعية الاربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الاحكام
- ٦ - تدريس التاريخ الاسلامي
- ٧ - تدريس تواريخ الاديان المشهورة
- ٨ - تدريس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ - تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الالوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ - تدريس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدريس المقاييس بين اصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها

- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ابضاح نشبث المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
- ١٩ - تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

## بَابُ الْحَيْلِ وَالْأَكْبَادِ

### رحلة صاحب المنار في سوريا

( ٢ )

#### القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستعجلوني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر أفرادهم من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس، وأكثره من الشيوخ والنساء والأطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فاستلوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حنيفة القينا فيه نفراً من شبان طرابلس

فمينا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تخبثهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لهي بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وكذلك فعلوا عند ما شرفوا من راية «ظهر الرويات » على القلمون لا يزالان من بقي فيها بقومنا وعند ما وصلنا إلى دارنا أيضا لأنه من قبيل سلام الفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن يحمل بعض نساءها جواهر العود الهندية وغيره من البخور أملي من طرابلس إلى القلمون وكان فيمن خرج للقاء ممن بقي فيها من يحمل الجواهر أيضا . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتعسفون الطريق ويتسلقون الروابي بين الأشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان النساء يعنين ويرغردن ولهن في ذلك أعالي مناسبة لل مقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب ان النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يضربن بالدفوف وينشدن الأناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أبها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد من هؤلاء الصغرى . وأهل القلمون يعمررون لأعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها ولله الحمد والمنة ، وهاتان الكيرتان هما افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ ( هو الحاج علي طوط ) عن سنة فقال : أربع وسبعون سنة . وهو يواطب على صلاة الفجر في المسجد غلما وربما يجيئه قبل

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كئذه الايام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر ( هو السيد عبد القادر علي ) عن سنة فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاءه مرة علي طوط ليمسك معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك الجنداف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعزق وشيبه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزین لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلوا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المصنية لاجل إصلاح المعدة والمعي وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فماذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

وما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا يهدي يتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم إلي رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصباني الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الأمهات وثانيها قبر بني حديثا عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العليقة خرقة صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثارا لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذلك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتبني بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لمن مكاناً أعظمين وأعلمين به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكن أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البلاد الخيامين فأمرت الشبان فسحبوه

سجبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضروه كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهدي الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المتبر الشيخ عبد الباقي الأفغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفره له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ، ولما عدت إليها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على بيتنا من أشقياء طرابلس فأغرامهم هؤلاء بقطع الأشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم يحمونهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الأشجار من بعض بسايننا وكرومنا ، ونحمد الله ان كان هؤلاء المفرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهالي لهم ولمضليهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والاطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضمضاء والمرضى والمُخدجون يتمسون الشفاء مني باللمس والرُّقى وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحسهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة الاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث



الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رفقوا المندوخ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسرقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الارشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى ان لا يجعلنا فتنة لانفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لشيخ الرحمن افندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا ان نجعل بعض هجي الاصلاح المتصمين بالكتاب والسنة شيخا للطريق لا يمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخا لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلا من الصالحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم الى طريق الدين السويّ قبل بعد إباء وفور فلما رأى إقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته قتن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سببا لضلاله بدلا من ان يكون سببا لهدايتهم وخسراؤه خسارة لا مطمع في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار )

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية قتاب الناس توبة يطلب على ظني ان اكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الاصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم جمعية شنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سميت بتأسيسها في طرابلس

#### دده ومائر الكورة

بدأت الوفود تفتد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا اليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلقاهم

( المارچ ۱۹۱۱م ) احتفاء اهل دده والكورة بصاحب المنار . خطاب السلطان ۸۷۹

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القلمون لقائهم لمادخلوها لان ذلك يعد من الأهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحلقوا أمامها وطلقوا يهزجون ويطلقون العبارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الأيوبي وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لتقتضى الحال ولعل أكثرها الرنجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه المجلة) وفيها إطراء له بالأعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القوالين المسلمين فيما أنشده عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رفيق له من النصارى بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا !! وقد أضحكني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فخذنا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدثت عليه اهل دده هذا جيلا ( للرحلة بقية )

## خطاب السلطان

### ﴿ في افتتاح مجلس المبعوثان ﴾

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته موضع الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطرار الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون واروجي ، عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ؛ وقتت عنايتي على ايجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي ، وفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا وبناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تتردد — رغم الدين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تفسير طريقة الحكم الاداري اسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .  
وبينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الامانة لسלטنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والمهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاودة برلين . فابلت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثن العظيمان اللذان يخرقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفاً عظيماً

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الأمل انه مع معاونة الدول صديقاتنا تحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلتنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

وعلى أمل ان مبعوثانا سيدلون كل جهدهم في هذه السبيل نعمن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتى متمنا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة التي

لا تغيران تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها

( المارچ ) : بعد ان تلا رئيس كتاب الماين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه

الجملة بصوت خافت « انني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكمل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » وقد كان للخطبة وقع سيء في الامتانة وانتقدتها

الصحف ثمة انتقادا شديدا

بمؤتي الحكمة من يصابون يؤمن الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما يؤمنه غير إلا أولو الألباب

الملك  
١٣١٥

بمؤتي الحكمة من يصابون يؤمن الحكمة فقد أوتي  
خبراً كبيراً وما يؤمنه غير إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ ﴾

## خطب ودروس

### ﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار ﴿

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فاني نشأت  
في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في  
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي أقمت فيها إحدى عشرة سنة أدعو إلى  
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وقرأت الدروس واعمل في بعض الجمعيات .  
ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت إلى زيارة  
وطني الأول لرؤية الأهل والأصدقاء وللاختبار حال البلاد بعيد ان اشتدت عليها  
﴿ نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التنبه لما يجب ان تترجه  
اليه اللهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت إلى  
دمشق الشام فجلت فحمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطباً  
ودروساً وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفت على ما أحبت  
الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم المصرية التي عليها مدار نروة  
الامة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم  
من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة  
الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب  
العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا  
الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدى  
وطريقه أقصد الطرق . وبينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال  
(٣) أما العقائد فبينت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام

لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها  
مخرجاً . ذلك بأنها لم تولف الا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما  
بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجامع العوام عن علم الكلام) وفي غيره  
من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال  
عليها بيديع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال  
والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيصمد في تعليمها على الآيات الصكرية  
والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتميم والصلاة والحج فقد بينت أنه ينبغي أن تعلم بالعمل كما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب ولم يتلق الأمور العملية بالتدوة فإنه لا يجنبها على أن الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب أن هذه الطريقة هي التي يمكن تسميتها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وأنه من استطاع أن يعلم الناس كلمهم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي قد رجحنا لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى أن من المتعذر تعميم تعليم هذه الكتب فلنبداً بالمكن الأسهل طريقاً الذي لا يد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لإنشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولاعانة المنكوبين والمعوزين عند الحاجة لتكون طبقات الأمة متعاطفة متراخمة يحترم فقيرها غنياً ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الأتحاد والترقي على اتعام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الإدارة ، ومن بث الآراء والأفكار التي تنفع روح محبة الدستور والمحافظة عليه في قلوب طبقات الأمة المنهنية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الأمة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاتة الدول التي توالياً ومعاداة الدول التي تعادياها ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فإنه لا شيء يهيم أوربا من بلادنا مثل رواج مجاوتها فيها . ولما جاءنا

(المناج ١٧م ١١) مقاصد خطب و دروس صاحب المنار . واجبات تحقيق الوحدة ٩٠٧

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الأتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقته امام الكتبة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الأمة بلل مال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقته في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، وفت الأذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الأمة العثمانية واشتراكها في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها ، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الأتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والاساءات العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكريم الشعب وتثنيها الى انه أهل لكل مكرمة وكل خير ، وان العامي إذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورجب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يفتح الأمة بنائه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثير من الفقراء

يمكنهم ان يبدلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حالهم للجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي :  
هذا يفهم فهمها اجالياً ، وذلك يفهم فهماً تفصيلياً ، وقد رضيتها وأثني عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العالم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئاً فاتقي العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ماسمعوا مستحسننا عندهم غير متقدّم .  
ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

#### حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب اني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدّع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وانما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام باثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فأيّاه اسأل دون أولئك الأثوف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « لينبئنه للناس ولا يكتمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والأحاديث الشرعية في عيد كآبي العالم



كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم تعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لنقد العلماء وأنشر كل ما يرد علي منهم في ذلك ولا تتسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وانما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيها بعض الناس بسوءنية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشمون عنا الاباطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطالب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ! وربما تطرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم اني أظن في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم اني أعني هذا بالترغيب في الاهتمام بالكتاب والسنة فهو محطى . فائما أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويعث روح الدين في نفوسهم ، وأطالب المشتغلين بالعلم ان يعنوا بهمهما ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ للدرس كتب المذاهب كعض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراء بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبذلوا جهودهم بإرشاد العامة بها كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وانما أنكر دائما ما يكون ضد ذيلاتها من

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة  
المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما  
ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله  
وقهواه بترك المعاصي والعمل الصالح مع الايمان الصحيح والا كان غرورا . ومن  
الغرور الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد انهم  
يستجيبون لمن دعاهم وان لهم سلطة غيبية وراء الأسباب والسنة الالهية ينفعون بها  
وينصرون ، ويصطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا  
فان الاسماء لا تغير الحقائق

وعما يتعلق بهذه المسألة بحث الكرامات والتي لم أنكر جواز الكرامات ولا  
وقوعها ولكن بينت انها لا تكون مخالفة لسنة الله تعالى في خلقه بتخير او تبديل او  
تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معادة  
كأنها صنعة بيد الولي بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معادا لا  
خارقا للمادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل .  
وحذرت عوام الأئمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا  
الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد  
السادس من المنار ففيها بضع عشرة مقالة مطوية في الكرامات . ومن يدعي ار  
شيئا من كلامنا الجميل هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب اليادعواه  
مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

## باب المراسلة والمناظرة

### ﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارغ الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده

الله وسدد مسعاها

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى  
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العماني من اجمال رحلتكم الى سورية  
فنهنتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا  
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس  
وشعور من تبيينهم للتعاون على البر والتقوى والتماضد ماديا وادبيا والسعي في  
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين ان يكون وعظيهم وتعليمهم مؤسسا على  
الكتاب وما صحح من السنة فقها وعقائد وادابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية  
قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد ابغتم  
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة  
والجماعة ولا يستقله الا جاهل او حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم تعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الان اماما احترم  
عليه في مجلدات المنار فمع الاسف انني الى الان ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان  
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جلية من  
الاجمال المسطور في الاتحاد العماني وقد اكدتم على اهل العلم ان يكتبوا لكم ما ظهر لهم فانكم  
طوقتم اعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور  
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي  
يتبين لكم فتقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير  
او تبديل او تحويل لان الله تعالى اخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تعنون

قوله تعالى ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) تفسير هذه الآية ونحوها بهدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قفاهم ، وخذ لانه لا عدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبديل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ماجرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم و يضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بهموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كمنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان نقول نزوعا بالآية اعتباراً بهموم اللفظ عموما لا ينتقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب الحكمة واشياء بلا اسباب الحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بمداشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السارون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بان تلك سننه ولن نجد لسنة الله تبديلا . اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوفا توسيع الخرق على الراجع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقا للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيادة الاولياء والغلو في الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفرائيني والقشيري المروي عنها البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكانا وسنة ، لاني عوارضا وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأمأوا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بفساد خرق العادة فيا بشرهم بينون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبهم انزال الخلق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال وبالله تعالي التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالأسنانة

( المثار ) إننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني مجسلة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إنجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأسا لاننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس يان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق

وفي عدد كثير من علماء الدنيا اياها شبهات على الدين ومنفرات عنه ففسي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مفيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١ م انصه (ص ١٧)

« أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصمهم الله تعالى بها كما خصمهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؛ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك السموات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصنوعة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا ، اه من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد ( ص ٥٥ م ٦ ) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون المعجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانظار ، أو خداعاً للأبصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لا التماس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يوئل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوه ؛ حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك وانترض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولتلك قلنا في المسألة العاشرة ( ص ٥٩ م ٦ ) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، ( أي كما يعتقد منكر و الخوارق الآن ) فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور بطلانها ، كلا إن تحقق ( تأمل ) فلا يعذر ان يكون تحققه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الفريية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عنده لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سنته الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بعشيتهم و ارادتهم كما شاؤوا وكيفما شاؤوا ، وإنما كانوا يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاهدة من قومهم والخاص في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في اعالم السبيية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي المصنعة في إثبات الدعوة الى الله و بيان وحدانيته وقدرته و علمه ووجهه ( ألم يأتيكم نأ الدين من قبلكم قوم نوح و عاد وحمود والدين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدقونا عما كان يبدأ أبائونا فأتونا بسلطان مبين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله ينف على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليترك كل المؤمنون ) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيبتدأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فينضع المستعد لقبول ذلك، ويتماد الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى ( وما نرسل بالآيات الا تخوفاً )

«فإذا فرغنا ان العلم أظهر سيئاتهم ولايات موسى عليه السلام فهل يتأني ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بأمثلهم في بلادهم وجنوتهم ؟

« نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالسجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين ينطقون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد ( عليه افضل الصلاة والسلام ) السجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !! . فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربي يتيا في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرويه تأييداً إلهياً ، وبرهاناً على صدقه قطياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي نقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، أه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرمانا في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بدهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شياً لم ترد علينا كما فعل كثير من عالمانا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثير الحديث فيها .  
وهالك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٦١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفاء مريض ومكاشفة ظلال القول المشهور : ما جزأ ان يكون معجزة لبي جاز أن يكون



(المنار ١٢م ١١) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام بتونس ٩١٧

كرامة لولي . ولقائل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل » اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد . وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فإرادته سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهدت في زمن ظهورها ونطبق به الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالنا التي نشرناها في جريدة الأتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويتعابون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا انظروا أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

## صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصالحين وقد سألتنا نشره في المنار واننا نشره اجابة لسوءه مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما نجاك ممن أراد بك كيدا، فهنيئا للعلم والحكمة، بما أسبغ الله عليهما من النعمة،

وقد رأيت المصطفين الأخيار، من نابتة هذه الديار، فرحين بما آتاهم الله من فضله، واقاض عليهم من طوله، إذ حفظ زعيم هذه الأمة، الداعي إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة، وأحب أن يذكر ذلك أسرى الأوهام «حيث كانوا» ممن يرون هذه الحادثة أثرا من آثار تخرج الدين عليك، وانتظاره الفرص للانتقام منك، كلا والله، انك لمن أحب الناس إليه، وأكرمهم عليه، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه بحمد الله حمداً كثيراً، ويشكره بكرة وأصيلا، على أن الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجتك إلا ارتفاعاً، وصيتك إلا اشتهاراً، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوبا، والمجد معكوسا. فيالله والدين والانسانية، وطلاب الإصلاح من نطاء الجمعية البشرية، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون، ويحسبون انهم على شيء، ألا انهم هم الكاذبون.

وانا نشكر للسنار الزاهر فضله في تبديد حزبهم، وتزيق شملهم، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة إلى سبيله، والسلام.

## أثر انقلاب العثماني

# الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل (١)  
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصني رضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

( وماورهم في الامر )  
( واورهم شورى بينهم )  
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،  
الى نهايات أيام السلطان عبد الحميد العاقل الابي ، — دولة حرية بحثة ، شادت بناء  
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والطلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت  
من الدول ذوات البأس الاثني يتهي غضبين ، وتخطب مودتهم ، فأمنت في  
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقبلها كانت ترجع من غزوة إلابونود الفلج  
تفتق فوق رأسها ، ورايات الظفر تقابل في أيدي رجالها الكفاة صلفا وفخرا ، فز  
مكاتها ، وتناول بنياتها ، واتسع ملكها ، حتى تفلطت في أحشاء أوروبا ، بدأ أن  
استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ باقطع الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيفة في

مكتبة المنار بمصر وطرابلس

كانت سرية الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، و بنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسونها العصور المظلمة الا بقوة المراسم ، وثبات الجلس ، والنشوء بين صليل السيوف ، ومزاحف الصفوف .

أخذ بمضدها ففتح القسطنطينية وكان تيا صالحا فاناف بها على اليقاع ، وتوقل بها سني المراتب ، ناهيك بملك القسطنطينية اذا كانت خيرا عادلا ، وما زالت تندرج في منازل العظمة ، ومواعظ السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقت عند منتهى القاي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على قائلد محفوظة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسيها وكان اهل اولي الامر وجهلهم وسومهم الرعية سوء العذاب مساعدا على غناء الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمد الثاني ذلك الهب للاصلاح ، والدولة على شفا جرف هار يندرها بالاضطلال والفتاء ، انفاها وقد فقدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع والقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، هتوم منآدها بما في وسعه ، واصلح قاسدها بما في طوقه ، وما يذكر له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت ومام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة واضعافها ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خلوجية ، تضمت الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وانهاضها من كبوتها ، بله اوجاعها الى سابي عزها ، وسالف مجدها ، فأخذ بضمتها ، وحدد للحكومة وظائفها ، وبين للرعية حقوقها ، ويكفيه فخرا انه هو الواضع لخط د كلخانها « المعروف لم يكبد عبد المجيد يوازي في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكث قتل سلفه ، ويصدخ رأب ساقيه ، وكان عوننا له على هذا التخريب وزيده محمود نديم باشا ، حبيب ( اغتاييف ) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ قايه ومقاصده

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوماً ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكذب تقر عينونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد وإقائهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصلون بها على الامة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحمق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكوا برجاله شر تكييل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بأمتهم قد اجتمعوا أمرهم سراً وانشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

راق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله إلا بعد خوضها في بحر لحي من الدم ،  
لم تكن دهشة الأمة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الأمم الأخرى ، فقد تجاوزت صيحات ( نيازي ) و ( أنور ) بلاد الدولة العلية إلى مدن أوروبا وغيرها ، فالتفت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لها ببال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع التاريخ في صدره له ضرباً ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السيامي ، والأديب الألماني ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضواً للقدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جلية في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الأسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثاً فلسفياً في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليد الموروثية ونظاماتها المكتسبة ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الأمر فيها ، مما أدى بها إلى شر حالة ، وكان سبباً في قيام الأحرار ومطالبتهم بالإصلاح ، وأفاض القول في شؤون الأحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا إلى مقاصدهم ، مع تراجم مشهور بهم جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردتها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائداً لمن يأنس في نفسه شقفاً إلى استكناه تلك الغوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوفاً بذلك ؟

نشرت الرسالة في مجلة ( المنار ) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الأبياء ، وكان بدالي ان استأذن مؤلفها في طبعا على حدة لتكون كتاباً مستقلاً تلمذ مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت إليه راجياً في ذلك ، فرجع القول ملياً للطلب ، ساعياً بتفتيح ما لا تسلّم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كمولفنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرفها اليوم إلى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحاً ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويقفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخلق بأهل هذا

العلماء الذين شفقوا بالدستور وقد ضاوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه، أن يمضوا في معانيها  
ويتبينوا مراتبها، عسى أن يتأسروا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختارين لهم  
في هذه الديار

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ١٣٧٦

حسين وصفي رضا

## التقرير والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التنويه بالكتب التي  
أهديت اليها، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا  
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت اليها فيها تلك المطبوعات رأينا أن نموه بها  
على سبيل الاختصار، وربما نعود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة  
التالية عشرة :

### ﴿ الكتب ﴾

#### تاريخ مشروع السكة الحجازية

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة  
في ثلاث لغات : الأوردية والعربية والإنكليزية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

#### اعلم الرواد

مؤلفه الشيخ محمد الخضرى المنوس في مقدمة القضاء الشرعي وهو يحتوي  
على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسمين : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة  
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظامات الأمة الإسلامية في ذلك الحين ،  
وقسماً سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخليفتين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ٢٣٦ صفحة بالقطع الصغير ويباع بخمسة قروش في

جميع المكتبات

تاريخ اعلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي الهولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن  
اعضاء الجامعة الطليقتي أوروبا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور  
عبد الله بك جودت منشي ، مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

الفتح السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر  
صلاح الدين يوسف وقد طبع على نفقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي  
افندي انخير بالحاكم الاهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقطع النار

تأويل معتك الحديث

هذا الكتاب من فائس الكتب وضه الإمام ابن كتيبة الديفوري من أهل  
أقرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا  
عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو  
المشكلة بأبي الرأي » وقد طلبه الشيخ زكي فريج الله الكردي بعد ان منحه  
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأوسمي عالم العراق ونسخة مصححة  
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب فقه ان يكون مصححا بقلم هذين  
المالين ، ويطلب من طابعه بمصر

نادر القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالي صاحب قيمة الدهر وقه اللغة وهو من كتب  
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالي من الادباء ، والكتاب  
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعا نظيفا على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي  
افندي ابو شادي بمصر

الدرة الثمينة قبل السطور ويده

تأليف صديقتنا سليمان افندي البستاني المصروف في مجلس البحوث عن ولاية بيروت  
والكتاب مختصر على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومرثياته ، وهو مطبوع



## ( المآرج ١٢ م ١١ ) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمنه ١٢ قرشا صاغا وهويباع في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

### تركيا الجديدة

مؤلفه جميل افندي معلوف من مشهورى كتاب السوريين في امرىكا وقد قسمه الى ستة كتب : ( ١ ) اسباب الانحطاط في الشرق ، ( ٢ ) تفرج الشرقين ، ( ٣ ) التعليم ، ( ٤ ) القانون الاساسى ، ( ٥ ) الديانة السياسية ، ( ٦ ) ابقاء أم فناء . وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

### عنة الاولاد

كتاب صغير يمتوي على نصائح وعظات يجدر بالثابته أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالعربية سليم افندي خوري « بقلم سكرتير مالي السودان » وهو يطلب منه

### جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والأخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمنه ثمانية قروش .

## ﴿ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ﴾

### ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

### ديوان الحمويات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الحموي وهو يمتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحلوان

### رسالة العطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاساتنة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنظا

المباديه النحويه

رساله في النحو مختصره سهله للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة

العريه بالمدارس الخره »

فتح القيوم

وهي ختمه مقدمه ابن آجروم للسيد محمد بن سوده من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطاب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الايراني نزيل مصر

يوم الحساب

هو الجزء الاول من مجله حدائق الظاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي

ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربه الجمال

قصة ترجمها باللغة العريه اسكندر افندي خوري وتباع بسته قروش في

المكتبة الشرقيه

### ﴿ المجلات والجراند ﴾

The Near East. الشرق الادنى

مجله انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على أجود ورق ، وتنشر صوراً للبلاد الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ، وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجلس اللطيف

مجله « أدبية اجتماعية لصاحبها ومحررتها ملكة سهد » تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتنين وثلاثين صفحة وطبعا في غاية الجودة؛ وورقا صقيل وموضوعها جليل، فخلق بالشبان والشباب التوفر على مطالبها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صافيا في السنة

#### بيان الحق

مجلة تزكية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الاسلامية تحت، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الاسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صافيا عثمانيا ومن السنة قرش ونصف

#### المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير اليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان يتفكر من منشئها صديقنا جرجي افندي بنو وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبصيرة واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

#### روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت لمديرها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي حلام من علماء بيروت. جانا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها وبالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

#### التعدد

«مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالتقطع الصغير، منشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٥ فرنكات في خارجها

#### الاعمال اليدوية السيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صافيا في مصر

#### الترانس

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية ظهرها أحمد افندي فائق وقيمة اشتراكها ٢٥ قرشا صافيا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها  
 محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيفي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها  
 مع قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

المدونة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب »  
 تصدر في الشهر مرة بأثنين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً في مصر

فرعون

مجلة تبحث في شؤون القبط الية وتصدر في الشهر مرتين بإديرها توفيق افندي  
 هيب واشتراكها ٢٠ قرشاً في مصر

سبعية

مجلة أردية تصدر في حيدرآباد الدكن ( الهند ) لمنشأها مولوي محمد أكبر  
 علي مستند مجلس المعارف بمكة

ابوقدس

جريدة اصلاحية اسبوعية تشر الجدل في قالب المنزل، يصدرها في تونس السيد  
 الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين « وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

المحکم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كوردوبا (الاربعين)  
 عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالابحاث الفلسفية

شمس العدالة

جريدة اسبوعية « سياسة فنية ادبية » أنشأها فريق من الكتاب بالبنة العربية  
 في الاسكندرية، وقد سرها في هذه الايام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها البرة عثمانية  
 في السنة

الاتحاد العثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهوري أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلية الحق

جريدة عربية تصدر في الأستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رياسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجية وأربعة ريالات في الأستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الآهي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا باناشئها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرهايب

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » مديرها ومحررها حكمت بات شريف من مشهوري الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريلان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كردعلي

الكتاب المشهور، والمقتبس من الجرائد المتأخرة بتعري الصدق والتزام النصيح،  
والبعد عن سخي القول ورذيلة التملق، وهي تصدر في دمشق الشام بقيمة اشترائها  
اربعة ريالات ثمة و٢٥ فرنكا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي  
ابطلت منذ زمن فاعاد اصدارها في مصر الياس افندي زيادة، وعهد في رئاسة تحريرها  
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهوري علماء سورية، بقيمة اشترائها  
وخمسون قرشا صافيا في السنة

## بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

جواب مجلس المبعوثان (\*)

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار القصور التي حدثت على اثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور  
القوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي اشد تأثيرا في التخريب  
من جهة اخرى - كانت نتيجة استياء جميع العناصر العثمانية، وكان من ذلك ان والدكم  
المعظم قد وضع خط ( كلخانه الهمايوني ) الضامن للحقوق الشخصية، والقاضي بالمساواة  
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة  
جديدة ملائمة للحال المصرية

(\*) نشرنا في (ص ١٧٩) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس  
المبعوثان، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يد انه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وحياتها بصورة واسعة ثابتة وكان من الضروري - صيانة هذه الضمانة - تبديل شكل الحكومة لتقديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوبسكم السعيد ارادتكم السنية بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب اجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي اصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تباين هذا الشكل المشروع ناتجة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة مؤقتة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهلها في ذلك الحين مسلم بها ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع مواثيق الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير اهل بصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا ١١١

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي أحدثوها لم يكتفوا بالعمدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمنة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالكم إرجاء تنفيذه مستخفين بقوة ادراك الامة

ولكن نشكر الله فان الامة ونما عن المساعي التي بذلت من نيط بهم نشر العلم والمطوف في سبيل تعطيل ادمنة وتنطية العيون قد أدركت بحسب استعدادها النظري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تل حقوقها السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة والمملكة بسبب الطمئان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال ، فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدهرة الى افتتاح مجلس الأمة واعادة الانتخاب موافقة  
لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحته ، وذلك فان الأمة تشكر  
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا تقاؤ الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوتها  
الى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم تظلمتم قبلاً على خدام أرباب الطبايا فكانت الاراضي الفائرة الموجودة  
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،  
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التذني والأنحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي  
استفادت من الاستبداد فتمت في قلب الأمة جرحا كاد يصير قرحاً ، ولكن  
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكنها الدولة العثمانية استقرت  
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الأمة العثمانية تشارك جلالتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان  
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما اللواتيان  
اللتان كانت تديرهما موقفاً بموجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور  
اقلابها السعيد تقطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهراً  
لموازية الدول المتقدمة وأهلاً لانمطاتها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي المديد  
سيندل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لخلقها ، وميقوم  
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرز ثقة الأمة والمسئول امام مجلسها النيابي  
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية  
وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الاقلاب السلمي الداخلي  
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موعودة للسلم

وان آمالنا مفعودة بان دولتنا ستترقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي  
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من  
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلاً لجهة الدول كافة



وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازرة الدول المعظمة التي ثبتت لها خططنا السلمية وبيتنا السلمية.

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقيها صادقا على الواردات، وسيطرنا غيرا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء درهم واحد من الخزانة على غير وجهه، كما أنه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتنعا في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقينا في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمه التي اتت بها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يبعد لها نظير في تاريخ الامة، حتى ينسى دولتنا ان تكسب لقب دولة مقتصدة تدير امورها على القواعد المالية، وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة!! واننا نرى من الامور الهامة الواجبه بنذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهته العناصر المختلفة المولفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة بحراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل العقلية وفتح الطرق والمعابر لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولينسى لنا بهما المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا القيدة، لا لتعدي على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نؤكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت واسخ لا تزعه اية قوة مهما عظمت، كما اننا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابهاج والسرور بروية شخصكم الكريم ماثلاً امام نواب الامة مما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آماننا الاشتغال بخير المسلك  
والامة ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقد عاهدنا  
ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بهد و كالتناخير  
توبيخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

\* \* \*

## جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي  
فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين  
انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزال بزواله تلك  
البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ،  
وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مضبوطاً بروية  
سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه  
الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار  
والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس  
هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهاها عن التبعية الا حفظ ذلك الاساس المتين  
لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره  
وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا تقابل ذلك بالحمد  
والثناء الجليل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهممة والمساحي لانجاح  
المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والهرسك والبلغار  
— ذلك كله — من مهات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة  
خير قيام بمهامها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك الا بنجاح حقيقي في  
النظام الاداري والمسكري ، ويبرزنا بذل المساعي العظيمة لنحفظموا زرة الحكومات  
ولتكون لنا مدينة صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة وجماعتها وتعليم الشعب  
وتهدية حسب حاجات الزمان على نخط الشعوب المتدنة والاعتماد المالي الصحيح  
وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من  
الامور الضرورية التي لا قبل التسوية والتأجيل

وان تقنا كلها موضوعة في مجلس الأمة ( المبعوثان ) وآماننا بمساعيهم الحكيمة  
محقة ، وسرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا ونسهل بلوغ الاماني المشار  
اليها ، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان  
والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسير البلاد بسببها في سبيل التقدم  
والنجاح ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه  
المساعي ، وحينئذ نال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الفرض الذي يري  
اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نتمتع عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالكم لتهدكم وعزمكم الأكد على  
حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالكم أن مجلس الاعيان يسند جهده  
في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدم الواجبات  
وانا نعرض لجلالكم بان مجلس الاعيان يقوم بخوكم ونحو الأمة بكل ما يجب  
عليه من الإخلاص التام

## رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وفاة بو عدي لأصدقائي والوالي فأقت فيها أربعة أيام كنت أقي في كل يوم منها دو سادينا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبت القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار ردي ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من المطار الذي بين ربات وحمص ، فبلغ بنا محطة دمشق قبيل المغرب فاذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك المظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحيين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العامل المجد الذي قتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النعم بآبائهما وعملهما

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أدبهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعتنا منهم مذ الليلة الأولى أخباراً سببة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وحرنا على جمعية الأتحاد والترقي ، وقال آخرون انها ضد الترك ، وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو يندم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينثر من جمعية الأتحاد والترقي ، وذكروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودون بعض

افرادها يمحقرون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يهد السبيل  
لندره المطران ويجعل دسائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير  
العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك  
والإخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أخرج إليهم منهم الينا  
فن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولهم فان كان سعيه لهواه فهو شر  
الشياطين وان كان سعيه غيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك  
من نبي المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكوا على غيرهم  
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم  
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة ولقدروا على  
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم  
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من  
الاحزاب التي ينتظر ان تتكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون  
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم  
المركزية ( Décentralisation ) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل  
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في  
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك  
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر  
الأمم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف  
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون ( لا قدر الله ) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرتقية  
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته  
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان  
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس  
( المراجع ١٢ ) ( ١١٨ ) ( المجلد الحادي عشر )

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والائتقاد بالترك وسائر العناصر  
العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد  
الاعوان لجمعية الأتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات، وبقاء على  
الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان  
على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب  
العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف  
على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد  
الفقراء بنير أجرة وتعليم أولاد الاغنياء بالأجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى  
حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغني بها عن الرحلة . وهذا  
ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها .  
وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر  
العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم  
والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولاً من  
زينة الفسيفساء التي يهتز عنها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظم  
أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن  
باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلام جاهلها ومنزلة فقد  
تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فليقع نظري على شيء فيها من غير صنع  
الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربائية النحاسية التي فيها هي من  
صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والنجارة وغير ذلك  
وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إليّ بعض الفضلاء أن أقرأ درسا في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت  
وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفتهم لرغبي  
واستحسنت ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة ثقيل ان هذا هو الوقت الذي يتختم

( المارچ ۱۷م ۱۱ ) درس صاحب المنار الأول بالأموي . حثه على العلوم العصرية ۹۳۹

في المدرسون الرسميون حوسهم فيرونك فيه مزاحا لم يقتل عليهم قالا ولي ان يكون درسك بعد العصر فوافقهم على ذلك . وقد صلبنا الجمعة في الجامع الأموي ووجدنا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المصوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب وجاؤنا فسمعنا ما ملكه اسماعنا من عهد الخدائفة وهو مدح رمضان وتغريير العامة بمحدث العتق فيه الذي بنا في المنار من قبل ما قبل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دروس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح التومني يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدها بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تلثم ولا مكث

#### درسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تبيه الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطبقة علينا أم لا . . . . . وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدهم الى ما فيه سعادة الدارين ويمدحهم بذلك جزاء على نصره وإقيام بحقوقه . وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرقى بها الاجتماع البشري وتميز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . وبما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قائلا أننا لا تقوم لنا قائمته إلا بالاعتماد على هذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فاننا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونصل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتعزيز دولتنا وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مسيرتنا ونحفظ تراثنا

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآلهيات بمخاطبات أصول الدين وقواعده، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مبينة لتلك النظريات وناقضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والصل فمن فروعها علم الكبرياء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلاً ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسيرون به قطارات السكة الحديدية من بلدكم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن أن يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفعة شأن أهله فكل من يصد المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وقائده وإما عدو غاش للمسلمين

ثم ينت لم أن الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لا عسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين أن يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون المصرية التي نوهت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بإنشاء المدارس الأهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الأمة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعا للمعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنكم ان آيين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم المصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعتز الدولة ان شئتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا عليّ بعد الدرس بالتحية والتناء واظهار الإعجاب بالدرس والدعاء بان ينفع الله به وبالوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الأمير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبدته وألحوا عليّ بأن أعيد في اليوم الثاني



درسنا الثاني في الأموي والحادثة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الأول في ليثهم تلك وانه على غير ما يهدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن - وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونفتل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الأول ( تحت القبة ) وصار يلز ويلزم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم الا بالهعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله واثناء على الصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاما لجميع البشر موافقا لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هديته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاجاء الاسلام في زمن قليل لا يحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنقطعين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماءنا للتعليم العام في هذه القرون الاخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وهنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون فقلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . فقلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تصد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد فقلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيقتها وقد افترض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون بإقامة الحجج عليهم وظهور بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلا وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلاسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلموها هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها لعامة المسلمين ولاتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبني على فرض خلاف المطلوب قد يكون أهمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليقة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفردته بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان ( وذكرونا بعض الآيات في ذلك )

لماذا تقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك اولم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت تقيضه وهو ان للعالم إلهها — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه مر كباوأبعده مطلبها! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الايمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر باديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الطلقة فأكثر علماء أوروبا وقلاستها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين اوتت وثبتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة ومن شد من البشر فأكثر وجود الباري تعالى لشبه آثارها في نفسه قائله دينه أو نظريات فكره الضعيفة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قلوبهم في مجموع البشر فهم مرضى الأرواح - أو قال العقول - من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض بطراً على بعض الناس كمرض البدن، فمرض الجسد معها كثيراً لا يعد هو الأصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعد في الأصل وأن أكثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بطله وقدرته وادابته ويظفونه ويقدمونه وقللاً أخطأ الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات. فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شاربين يشبهون للناس من الدين ما لم يأذن به الله. وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ) وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم ( قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون \* سيقولون لله قل أفلا تذكرون \* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل أفلا تتقون \* قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون \* سيقولون الله قل فأنسى تسحرون \* ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق \* ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ) فقد اثبت لم الايمان بوجود الله وانه هو الخالق الذي يده ملكوت كل شيء وقال فيهم مع ذلك ( وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ) فما هو شركهم؟ هو ما يتتبعه في آيات أخرى كقوله عز وجل ( والذين اتخذوا من دونه أولياء: ما نعبدهم الا ليقربونا إليه ونحن ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض، سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد روي في الصحيح أن عدي بن حاتم أسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال ما مناه: اليس يحلون لهم ويحرمون عليهم فيعتبرونهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا ومثله هو الذي قن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقديسه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تمهيدا لبيان ما يجب اتباعه من ثقلين المسلمين عقائد دينهم على طريقة القرآن المثلى وأردت أن أشرع في التصديقاذا أنا برجل مغربي قد اخترق بهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح ياخواننا المسلمين اسموالي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له . فأما احدي كلمته فكانت في مشروعية زيادة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقربوهم اليه ! ويقضوا حوائجهم هذه واعتقاد كرامات الاولياء ، والتحذير ممن يتكبرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهابية ، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهابية ومحاربة السلطان وأمير مصر لهم . وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الأئمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة . وكان يقول ما مثاله؟ ياخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله؟ هل الذي يحب الصالحين ويعظمهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله؟

فلا أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في أثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ وانني كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم انني لم أترض لهسته المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أمس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يبعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في أشد الحاجة إليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيما قلت إلى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقتني إلى ذلك حجة الإسلام الغزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه ( الجوامع العوام عن علم الكلام ) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسلمين ، وإن طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة محكمة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل أن أصل إلى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي أن يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي عني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لأجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الأذن بها بعد النهي عنها والتي أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فإن من لا يحب الصالحين يكون أشقى الأشقياء ، وأعظم الأئمة المجتهدين واعتقد أنهم كانوا على هدى وإخلاص في خدمة الدين وإن من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد أن يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصدّه عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الأخوات إنه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا إلى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الأستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء إلى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فترلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجاني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم يقول هلمّ واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب إليّ الشيخ أديب تقي الدين أن أدخل داره وهي بقرب المسجد ( المراجع ١٢ ) ( ١١٩ ) ( المجلد الحادي عشر )

للاستراحة وردت الزيارة ( فقد كان زارني في دار عثمان بك ) فأجبتة الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون علي ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . ففجبت من ذلك كله لا أنني لم أكن أعهد ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أعراً عظيماً ولا مصاباً يعزى عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هف الناس وعنايتهم بتسليتي هو عدم تعودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل علي ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظننة فانه هو الرجل الذي ذكرت اني رأيتة يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليثب دسائسه فيها

قيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك بيكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجة لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فعلنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبدالرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بانهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثيرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجبت ان تختم الدرس وتخرج ولا تطيل في الرد علي الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد علي اساءة رجل

يقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبية تنتم لي ان أحببت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أن ذلك الرجل عصبية قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح !!! قال اني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتنة مدبرة براد يقعها في الجامع بأذني مناسبة أو يخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس للشيخ صالح عصبية ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفنهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤدي من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالاجمال إنها تتعلق بانتخاب المجهولين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحدي في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية تحميها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقهر في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلع النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدياء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكيان من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكر لي أسماء شيخان آخوين علي مشربهما وقالوا انهم يكتمون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شيء عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو من حضر الاجتماع عند الوالي ليسان . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الأبحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلت من ذلك وما سمعته في حمص وقراته من المكتوبات التي بعثها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكائد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

## أسباب فتنة دمشق

الأصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجهاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والدكتور حيدر وكلهم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكرهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت هؤلاء منزلة ونفوذا في الشام يعلو نفوذ أولئك الوجهاء المتعضين الذين يرون أنهم سادات الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخاصة بهم !! قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجربوا على الوقوف في وجهها وفماجزتها جهرا فتربصوا بها الدوائر حتى إذا ما جاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من أعضائها يشتغلون بأمره عيل صبرهم ولبأوا إلى الكيد وجراهم عليه ندره بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم إلى جمعية الأخاء العربي فإنه كان يهون على الناس أمر جمعية الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الاقتراق والتدلي ، أي التي تفرق بين الترك والهرب وتنصر الاستبداد وتمخذل الدستور ، فاندفع أولئك الوجهاء إلى الفتنة بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتكيد ببعض المشايخ المدرسين لأنه نخم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم اننا نطلب بهذه العريضة ابطال رقص النساء في بعض الملاهي !! ووقعت قنن ومشاغب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقفني القنن ومثيري الشعب لم يكن لهم سبيل للتبيل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيما جرى الا بالكلام كهولهم انهم علة اختلال الأمن وحدث الاضطراب في البلد « رمتي بدائها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتجريئهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجهاء البلد وعلمائه !!

هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي اليها كانت تتمخض بالقنن التي يدبر أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قریش وكان



أشدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بظلمة يته يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العياض الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وأني هؤلاء الكائنون تحت قبة الجامع الأموي أيمن الناس اتهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحجوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الامم روية وأعلما جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد وهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الأتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويحرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، يظني ، غليلا ويحبي مواتا ، فيجب ان يبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يكررون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الدرس الثاني فلولوا وهم يعتذرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الا رجل يشترى ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذلك الاداعية ابن صياد الدجال المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي بطبعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي الهندي دعوتهم ، وقبل صلتهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيل ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء علي وتسليةهم اياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يفتنون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم وزأى اعوانهم قد أدلوا اليه بروسوسون له وبعده في الغي ثم لا يقصرون ، فظن ان

## ٩٥٠ أسباب فتنة دمشق كونها لم تدبر لإيذاء صاحب المنار (المخارج ١١٢م ١١)

حبسه يسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحاً، وفتح لهم به باب جديد أقرب إلى مقصدهم لأنهم يصلون منه إلى الأيقاع بعدوهم أسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة، فأنفذوا أناساً إلى المساجد يستغيثون المسلمين ويستفرونهم لإعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الأتحاد والترقي والحكومة الجديدة؛ فصاح أولئك المنفذون بصيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون: أي خطب دهي الإسلام وأي بلاء نزل بالعلماء؟ ويجيبهم خطباء الفتنة إن فلانا الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزوجه في السجن فإذا لم ينادوا إلى اتقاده بقوة الشعب فإن هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الإسلام من الشام. ويقال إنهم أنفذوا أناساً آخرين يقولون مثل ذلك في الأسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون: ليستط أسعد بك لتسقط جمعية الأتحاد والترقي. وبلغني إنهم قالوا أيضاً ليستط القانون الأساسي وليمش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الأساسي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا أن تواري أسعد بك لقضوا عليه كما قبل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه، ما لا ينتظر أكثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لما رأى الجوع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الأمر وأرجفت، رجفت في قلبه الراجفة، وتلتها الرادفة، ففتح لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يوثق بالشيخ صالح فجي به، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنود ما يكفي لهم الفتنة الأهلية بل لإعلان الأحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هيئة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم، لأقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها، فعلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة أنني لم أكن مقصوداً بالإيذاء الذاتي، ولا مؤاخذاً علي قول زل به في الدرس الثاني لساني، (لأنني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولأنه نوهت بجمعية الأتحاد) وإنما كثرت في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس؟ فكان كل مسؤل يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحمص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من تقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلاً

( المخرج ١٢م ١١ ) فوج مبغري فتنه دمشق - أسباب عداوتهم لصاحب المنار ( ١٥٩ )

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء . ولكن الذي لفته دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاسكندرية وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعف جمعية الأتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يبغون في نفس الشام فكان من المقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الفرض الذي يرمون سهامهم اليه وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لانتحي فصل سهامهم اليه وحده كما هو السبب ياترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبة الجرائد بسني وثلي يظهر لي ان لذلك أسبابا منها أن الشر داعية الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا قس له كما يجب نضري نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهائته وتسخيره له استنادا لذلك وتبعجا ، ومنها انه اعتم هذه الفرصة رجل من أدعياء العلم حاد علي فزج نفسه في حماة هذه الفتنة وطلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد رفعت عن نشر ما بثوابه اليها من الصحف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الإصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب الهائم فكتب له رسالة في الرد على المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها ما زاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له ( ١ ) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقاله ، ولي هنا استدراثة وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت اليه والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المعتدين منهم وذلك تساهل في التمير أدى الى خلاف ما يريد الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الاكثرين فساده خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العداء وآذوه بالكلام وإن أهل بيروت انصروا له وأهانوا

( ١ ) راجع مقالات طهارة الاعطاردات الكحول ( ص ٨٢١ و ٨٢٦ م ٤ )

اهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والأدب بل سمع من كل من ثقيه منهم أرق الكلام واعذبه وألطف عبارات الترحيب والثناء وإنما تصدى لقطع درسه وإيهام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبو باعندهم لأنهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدي والدعاة له، وشاب آخر من طلاب العلم أراد أن يسأل عن شيء سؤوال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . واما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آفنا فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اني لم اكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لاصدوا لا يذائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان اهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحيين للمنار الذين كانوا يروونه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب الي بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لتجول وايم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار هيان بك تلك المقابلة لكن ربنا علم بأني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء العائمه المتزيين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد السياء عن الارض قري ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أقدام الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت اقبية ولا حبة — انه صار عالماً » ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من اهل الشام في الا ذلك الحاقه الذي اشرت اليه آفنا ، فاهل الشام ليسوا خصمالي ولا لاهل بيروت وليس اهل بيروت خصمالمهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من اهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندر في الجملة وانه لم تصد أحد من علمهم للرد على في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه مينا اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلون اني اخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب الي مينا خطأي ان كنت اخطأت . سأته ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العماني وأسأله هو وسائر علماء انشام ذلك

لسان المنار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في المنار واذعن له إن كان حقاً وأين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليأس فم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئاً مخالفاً للشريعة وهذا كافٍ لتكذيب أولئك المذاهب الذين خاضوا في الآثم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يطمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكتابين (تبييه) - سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من دليل مقالة التقاريف سواء إذا انه هو الكاتب لها

﴿ تصحيح ﴾ وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا بيانها فتصحيح بالقلم :

صفحة	سطر خطأ	صواب	صفحة	سطر خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	٨٧١	١٢	قال
٨٠٣	٢	المعتادين	٨٧٢	٦	ولا براعى
٨٠٥	١٧	نزرع	٨٧٥	٢٥	وسبعون
٨٠٨	٢٤	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر
٨١٠	٧	له	٨٨٣	١٤	تتوى
٨١٢	٢٢	يستوي	٨٨٤	١٥	دخلت
٨١٥	٦	الذين	٨٨٥	٢٥	وقالوا
٨٣٦	١١	كان	٨٨٦	١٥	ظاهراً
٨٣٧	١٢	حال	٨٨٦	١٦	الواجب
٨٦٤	١٦	دونها	٨٨٧	١١	قالوا وفي
٨٦٤	٢٤	الحرب	٨٨٨	١٦	ويبدل على
٨٦٥	١٩	عدد قليل	٨٩٢	٢٢	البشرى أو
٨٦٧	٩	التي يرضها	٨٩٦	١٥	فألقى
٨٦٩	١٤	تقدم	٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة: وجمع
٨٧٠	١٢	أوانا			هذه النقطة ( بينه وبين القول الاول )
٨٧٥	١٤	من	٩١٣	٢٩	بها فكان
٨٧٩	١٤	منه	٩١٥	٨	لحقة
			٩١٥	٩	العالية التي تصل

## خاتمة السنة الحادية عشرة

بمجد الله وشكره نضم السنة الحادية عشرة من سني المنار ، فهي وله الشكر  
الاسنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدّها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ،  
فكان تلك السنين العشر ، غير مسدودة من العسر ، وكان هذه السنة الاولى من  
العقد الثاني للمجلة ، هي اللؤلؤة الاولى من العقد الاول لها وللملة ، كيف لا وهي  
سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى  
القارىء هذا المجلد من المنار طامحا باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون  
الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب  
الاحتفال ، وذكور سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس  
والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار ، يعد من  
اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسلم في فاتحة السنة  
القاهرة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي قدمت  
في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في  
الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأ الا بعض المستعدين لشربه ، اذ كانت  
الاخطار تواب من بطاع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين  
والجامدين ، والنصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شي ، لم  
ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما  
كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بمظاء الرجال بمصر من انكار  
نصب التماثيل للموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أي طغنت في اهل  
طرابلس فيما كتبه عن سياحتي

نصب التماثيل لدوني

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة  
تحریم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية  
اليها . ويرى المتقدم ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا  
تثبيطاً للذين دعوا المصريين الى الاكتاب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان  
بيني وبينه من الخلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل وتغييره  
عما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقدم كما أتذكر .  
فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة  
الاستاذ الامام ( بلرم صقلية ) بسنين . ولو تأمل المتقدم ذلك الرد الذي نبى عليه  
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفاً مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم او علمه  
لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل  
يؤيده ، فقد صرح بأن المقى لا يهني بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقاً

وههنا بين للمتقدم وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله  
الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المنار إنما قصد به بيان  
حكم الاسلام ومواقفه لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تسكوا به ودفع الشبهات  
التي ترد على أحكامه دون جعله مذمهاً يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على  
شيء فأخذ به لاعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبئين  
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم  
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي  
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقدم معتقداً ذلك  
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله بإحتمال شرعاً ؟  
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن  
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ا كان  
ما وافق هواهم حلالاً أم حراماً !

المسلمون قسمان : الاول المقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم وقتها المذاهب الاربعية وهؤلاء ، يحرمون نصب التماثيل ، أفليس من امتهاتهم ان يدعوا دعوة عامة لتسليم محرم عندهم ؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بمخاصة نفسه ، وليس له ان يثبت على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة ، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم ، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه وينظر المنكر عليه فان اتقمت دعوته بالجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فتقول :

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخرج من المعنى الوثني الذي يترفق المتقدم بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري الاواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان ( رحمه الله وعفا عنه ) يطري نفسه بذلك ، فلما لم يلق غلوهم قدرا ولا اعتراضا جماله بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الثمراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكفاء بموازن العروض ، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب ، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم ، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على د باحثه بالبادية ، التي اقترحت بناء مدفن لعظام الرجال بمصر . أفرايت من غلا حربه فيه هذا النور ، وجماله في هذا الأفق الخيالي من الملو ، أيستغرب امتنان العامة بتمثاله في بلاد تلمس فيها البركات ، ودفع المضار وقضاء الحاجات ، من نعل الكلشن وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من العجادات وكذا المائات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة ؟

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والظواهر ، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من



## ( المارچ ۱۹۱۲م ) خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ۹۵۷

حل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أعلامهم ونأهيك بجود الشعراء في الكلام ، ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها الهد عبت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطالب منها الحاجات ، فقد الدين هذا الباب سدا محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على المعلم كالتعب والتشرح وعلم وظائف الأعضاء ( Physiologie ) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الالفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فان احالة الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فاذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول الغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكام على حفظ الأمن وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الأستاذ الامام ان الاسلام يجعل عن تحريمها وأذكر اني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجري الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يجرها الشرع

### انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من النصفين ما كتبه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عماعي به أهلها من اللوم والنم لذنبا تاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أئروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتسييح أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين ، وبقني انهم كانوا يطوفون على الأدياء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المنار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد ،

واقف ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة الناشر عن طرابلس وبنائه ود عليهم واعتدوا عن الناشر بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما اتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسموا في الجرائد نقدا الا بقصد الذم والإيتعاج . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا نقلناه لترده وتقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا تقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الأتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها والحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الأتحاد نصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلتطينا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الأتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ما قدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فإذا كانت عبارة الناشر تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة الممارات في جهة التل واقبته على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالنسبة وسأراجع الناشر ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في الناشر بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تتموده سوريا كما تتموده مصر . قلت انه قد صحیح

## (المخرج ١١م ١٢) خاتمة السنة الحادية عشرة. اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والغرض منه صحيح وهو ان يقبّه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في  
في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض  
ولا بد ان نعوّد قومتنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي  
لا يكتب فيها الا المدح والاطراء لأجل الاستمالة والاسترخاء، أو الذم والهجاء، لأجل  
التشفي أو الايذاء، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ،  
وارد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد  
عليهم ، ويان تقصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة  
الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هنا ما أتذكركه مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في  
العدد الآتي من طرابلس للتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان  
يكتب اني ينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا  
عنهم خلافا لما فهم بعض الناس وانني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد  
كتب هو ذلك ونحن بيننا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر  
ما ينتقد علينا

### اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم »  
بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما  
ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر  
الاستاذ الامام والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لا نذكر كلمة « رضي الله عنه » عند  
ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ،  
وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا  
ما تذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسمع من  
الفوائد أكثر مما يسهه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب  
المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والامانة وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلّم »

٩٣٠ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة المنار الى انتقاده . الاشتراك (المنار ج ١٢ ص ١١٢)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفاً منها فاستحسنت ان  
استبدل بها حرف (ص) . ورويت في كثير من الكتب بدل (صلم) حرفي «صم» بمعنى  
عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه»  
بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف  
يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في الصل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في  
بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخطط لأجل  
تقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتصدون  
لذلك كحرفي الجرائد

#### دعوة المنار الى الانتقاد عليه

انا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد  
على المنار ولكننا لا نقبل قدماً مبنياً على ما يقوله بعض الناس على المنار، ولا نقداً يخرج  
فيه المنتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقرة تقبل بنصها  
من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطأها

#### طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها فاننا لم نزلها وان كانت جميع الاشياء ازدادت  
فلاء في هذا القطر . ولكن أمراً عالمياً نراها اليه ولا يزال الناس يذهبون عنه ذلك اننا صرحنا  
مراراً بأن المنار لا يبعث به إلا لمن يبعث بالقيمة سلفاً ، وانا لا نقص من قيمة  
اشتراك شئاً لأحداً ، ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ا فحن نكرو  
القول هنا كما كررناه مراراً بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقاً

هذا وانا ننتقم هذا المجلد بمثل ما افتحناه به من ذكر الله والشاء عليه عز وجل  
ونسأل الله ان يلهنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن  
يحبهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشي المنار ومحرره

محمد وشيد رضا الحسيني